ISSN 2707 - 8191 (online)
ISSN 2707 - 8183 (Print)

INTERNATIONAL
Scientific Indexing

1.181
(2023-2024)

المجلة الدولية للدراسات التاريخية و الاجتماعية

العدد 29 كانون الثاني يناير 2024

International journal of historical and social studies

رئيس التحرير

أ.د ابراهيم سعيد البيضاني

International journal of historical and social studies
No: 29 January 2024

ت	اسم الباحث	عنوان البحث	الصفحة
1	المحتويات	المحتويات	1
2	اللجنة العلمية والاستشارية	اللجنة العلمية والاستشارية	2
3	تعليمات وشروط النشر	تعليمات وشروط النشر	3
4	ا.د.فرقد عباس قاسم/جامعة البصرة /كلية التربية للعلوم الانسانية أ.م.د. منتهى صبري مولى / جامعة البصرة / كلية التربية للبنات	الحرب الروسية-الأوكرانية وأثرها في العلاقات الأمريكية-الروسية شباط-نيسان 2022	9
5	م. م. عدنان حامد علوان (طالب دكتوراه (جامعة بابل /كلية الفنون الجميلة أ.د. أطياف علي نجم الخفاجي	بنية الفكر التواصلي في فنون العراق القديم	29
6	ا.م.د. ايمان عبد الرحمن حميد المشهداني جامعة بغداد/كلية الاعلام	دورالغزو الفكري والثقافي على مسخ ثقافة الشعوب، العراق انموذجا بعد 2003	55
7	د. حنان محمد علي سويد استاذ مشارك كلية الآداب والتربية بجامعة صبراتة	الكوارث الطبيعية في بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط آثارها وسبل الحد منها (السيول والفيضانات أنموذجاً)	77
8	أ.م.د. ليلى توفيق سلمان العاني العراق/ وزارة التربية	تجارب ودروس تاريخية في مواجهة المخاطر مشروع عماد الدين زنكي (ت 541هـ/1146م)النهضوي إنموذجا	91
9	م.د. أمنة كاظم عليوي الجبوري الكلية التربوية المفتوحة / مركز الرصافة الدراسي/ قسم اللغة العربية	تقويم كتاب التدريبات اللغوية للصف الرابع الابتدائي من وجهة نظر المعلمين.	115
10	BECHIR LABIDI Assistant Professor of Medieval History Faculty of Letters, Arts and Humanities of Mannouba. Tunisia	PERIODIZATION OF GREEK, ROMAN, AND BYZANTINE HISTORY ACCORDING TO ISLAMIC SOURCES DURING THE MIDDLE AGES	129
11	ا.م.د.علي جودة صبيح المالكي جامعة البصرة/مركز دراسات البصرة والخليج	العلاقات القطرية – السعودية (1974-2017) دراسة في التطورات السياسية	157
12	د. عزيز اليحياوي الادريسي/ الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين طنجة تطوان الحسيمة	آثار زلزال 1169هـ/ 1755م على المجتمع المغرب من خلال تقييد تاريخي غير منشور	177
13	Asst.prof. Hayfaa Kadhim Al Dihamat University of Missan College of basic education	An Assessment of the Iraqi EFL Student Teachers' English Language speaking Proficiency at Colleges of Basic Education According to The ACTFL Guidelines	189

هيئة التحرير واللجنة العلمية الاستشارية

رئيس التحرير

الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني العراق

نائب رئيس التحرير

الدكتور عثمان برهومي تاريخ تونس

مديرة التحرير

الدكتورة وفاء سمير نعيم اجتماع مصر

الهيئة العلمية

أ.د ناهدة حسين علي الاسدي تاريخ العراق

أ.د جنان عبدالجليل هموندي تاريخ العراق

أ.د محمد سالم الطراونة تاريخ جامعة السلطان قابوس

أ.د حاجي دوران اجتماع تركيا

أ.د علي علام تاريخ جامعة سيدي محمد بن عبدالله المغرب

د. لحسن أوري تاريخ جامعة سيدي محمد بن عبدالله المغرب

د. بدر العلوي تاريخ جامعة السلطان قابوس

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية
السياسات والقواعد والاجراءات

ترحب المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية والاجتماعية البحوث العلمية المكتوبة وفقا للمعايير العلمية في اي من الحقول الدراسات التاريخية او العلوم المساعدة ذات العلاقة ويشمل ذلك كل العلوم نظرا لطبيعة التاريخ كعلم يتناول النشاطات الانسانية كافة مع مراعاة عدم تعارض الاعمال العلمية المقدمة للنشر مع العقائد السماوية، والا تتخذ ايه صفة سياسية والا تتعارض مع الاعراف والاخلاق الحميدة، وان تتسم بالجدة والأصالة والموضوعية وتكتب بلغه سليمه واسلوب واضح.

سياسات النشر

تسعى المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية والاجتماعية الى استيعاب روافد كل الافكار والثقافات ذات البعد التاريخي ويسعدها ان تستقبل مساهمات الافاضل ضمن اقسام الدورية البحوث والدراسات عروض الكتب عروض الاطاريح الجامعية وتقارير اللقاءات العلمية.

هيئه التحرير

تعطي هيئة التحرير الأولوية في النشر والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية الواردة للمجلة، ووفقا لاعتبارات علمية و فنية تراها هيئه التحرير.

وتقوم هيئه التحرير بالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشر بالمجلة للتأكد من توافر مقومات البحث العلمي وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي والمراجعة اللغوية.

يحق لهيئة التحرير اجراء التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر لتكن وفق المعيار تنسيق النص في عمودين مع مراعاة توافق حجم ونوع الخط مع نسخه المقال المعياري.

هيئه التحكيم

يعتمد قرار قبول البحوث المقدمة للنشر على توصيه هيئه التحرير والمحكمين، اذ تجري عملية التحكيم السري للابحاث المقدمة وفقا لاستمارة خاصة بذلك.

يستند المحكمون في قراراتهم في تحكيم البحث الى المدى ارتباط البحث بحقل المعرفة والقيمة العلمية لنتائجه ومدى اصاله افكار البحث وموضوعيه ودقه الادبيات المرتبطة بموضوع البحث وشمولها، فضلا عن سلامه المنهج العلمي المستخدم في الدراسة ومدى ملاءمة البيانات والنتائج النهائية لفرضيات البحث وسلامه تنظيم اسلوب العرض من حيث صياغة الافكار ولغة البحث وجوده الجداول والاشكال والصور ووضوحها.

البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون اجراء تعديلات جذريه عليها تعادل الى اصحابها لأجرائها في موعد اقصاه اسبوعين من تاريخ ارسال التعديلات المقترحة الى المؤلف اما اذا كنت التعديلات طفيفة فتقوم هيئه التحرير بإجرائها.

تبذل هيئه التحرير الجهد اللازم لإتمام عمليه التحكيم من متابعه اجراءات التعديل والتحقق من استيفاء التصويبات والتعديلات المطلوبة حتى التوصل الى قرار بشأن كل بحث مقدم من قبل النشر بحيث يتم اختصار الوقت الازم لذلك الى أدني ممكن.

في حاله عدم مناسبه البحث للنشر تقوم الدورية بأخطار الباحث بذلك، اما بالنسبة للبحوث المقبولة والتي اجتازت التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها واستوفت قواعد وشروط النشر بالمجلة فيمنح كل باحث افاده بقبول بحثه للنشر.

البحوث والدراسات العلمية

تقبل الاعمال العلمية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها وتقديمها للنشر في مجله الكترونيه او مطبوعة اخرى.

يجب ان يتسم البحث العلمي بالجودة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه متوافقا مع عنوانه.

التزام الكتاب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات واقتباس الافكار وعزوها لأصحابها وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.

اعتماد الاصول العلمية في اعداد وكتابه البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع مع الالتزام بعلاقات الترقيم المتنوعة.

اعطاء مساحة واسعة للتحليل والاستنباط والقراءات الفكرية والتوقعات المستقبلية بالنسبة للموضوعات التي تأخذ بعدا تاريخيا سياسيا.

ارشادات المؤلفين (الاشتراطات الشكلية والمنهجية)

ينبغي الا يزيد حجم البحث على ثلاثين 30 صفحه ولا يقل عن 12 صفحة حجم A4 ،مع الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميا بشكل البحوث بحيث يكون المحتوى حسب التسلسل ملخص مقدمه موضوع البحث خاتمه ملاحق الاشكال الجداول الهوامش المراجع .

عنوان البحث

يجب ان لا يتجاوز عنوان البحث عشرين 20 كلمه وان يتناسب مع مضمون البحث ويدل عليه او يتضمن الاستنساخ الرئيسي.

نبذه عن المؤلف والمؤلفين

يقدم مع البحث نبذه عن كل مؤلف في حدود 50 كلمه تبين اخر درجة علمية حصل عليها واسم الجامعة والكلية والقسم التي حصل منها على الدرجة العلمية والسنة والوظيفة الحالية والمؤسسة او الجهة او الجامعة التي يعمل لديها والمجالات الرئيسية لاهتماماته البحثية مع توضيح عنوان المراسلة العنوان البريدي وارقام التليفون الموبايل الجوال والفاكس.

صور شخصية

ترسل صوره واضحة لشخص الكاتب لنشرها مع .

ملخص البحث

يجب تقديم ملخص باللغة الانكليزية للبحوث والدراسات باللغة العربية في حدود 100 الى 150 كلمة، اما البحوث والدراسات باللغة الإنجليزية يرفق معها ملخص باللغة العربية في حدود 150 الى 200 كلمة.

الكلمات المفتاحية

الكلمات التي تستخدم للفهرسة لا تتجاوز عشره كلمات يختاره الباحث بما يتواكب مع مضمون البحث وفي حاله عدم ذكرها تقوم هيئه التحرير باختيارها عند فهرسة المقال وادراجه في قواعد البيانات بغرض ظهور البحث اثناء عملية البحث والاسترجاع على شبكه الانترنيت.

مجال البحث

الإشارة الى مجال تخصص البحث المرسل العام والدقيق.

المقدمة

تضمن المقدمة بوضوح دواعي اجراء البحث والهدف وتساؤلات وفرضيات البحث مع ذكر الدراسات السابقة ذات العلاقة.

موضوع البحث

يراعي ان تتم كتابة البحث بلغة سليمه واضحه مركزة، وبأسلوب علمي حيادي وينبغي ان تكون الطرق البحثية والمنهجية المستخدمة واضحه وملائمه لتحقيق الهدف وتتوفر فيها الدقة العلمية مع مراعاه المناقشة والتحليل الموضوعي الهادف في ضوء المعلومات المتوفرة بعيدا عن الحشو تكرار السرد.

الجداول والاشكال ينبغي ترقيم كل جدول شكل مع ذكر عنوان يدل على فحواه والإشارة اليه في متن البحث على ان يدرج في الملاحق ويمكن وضع الجداول في متن البحث اذا دعت الضرورة الى ذلك.

خاتمة البحث تحتوي على عرض موضوعي للنتائج والتوصيات الناتجة عن محتوى البحث على ان تكون موجزه بشكل واضح ولا تأتي مكرره لما سبق ان تناوله الباحث في اجزاء سابقه من موضوع البحث .

الهوامش

يجب ادراج الهوامش بطريقة الكترونية في اسفل كل صفحة في شكل ارقام متسلسله لكل صفحة، ووفقا لدليل شيكاغو.

حجم ونوع الحروف

تعتمد المجلة الدولية للدراسات التاريخية حرف Arabic Typesetting حجم 20 غامض للعنوان الرئيسي وحجم 18غامض للعنوان الفرعي وحجم 16 غامض للمتن وحجم 14 عادي للهوامش.

عروض الكتب

- تنشر المجلة المراجعات التقييمية للكتب العربية والأجنبية حديثه النشر.
- يجب ان يعالج الكتاب احدى القضايا او المجالات التاريخية المتعدة ويشتمل على اضافه علميه جديده.
- يعرض الكتاب ملخصا وافيا لمحتويات الكتاب مع بيان اهم اوجه التميز واوجه القصور وابراز بيانات الكاتب كامله في اول عرض اسم المؤلف المحقق المترجم الطبعة الناشر مكان النشر سنه النشر السلسلة عدد الصفحات .
- الا تزيد عدد الصفحات العرض عن 8 صفحات.

عروض الاطاريح الجامعية

- تنشر الدورية عروض الاطاريح الجامعية رسائل الدكتوراه والماجستير التي تم اجازتها بالفعل ويراعي في الموضوعات المعروضة ان تكون حديثه وتمثل اضافة علمية جديدة في احدى حقول الدراسات التاريخية والعلوم ذات العلاقة. وخاصة التي تعالج موضوعات فكرية تاريخية تسهم في وضع اطار نظري لمدرسة تاريخية جديدة.

- ابراز البينات كما وردت في اول العرض اسم الباحث اسم المشرف الكلية الجامعة الدولة سنه الإجازة.
- ان يشمل العرض على مقدمة لبيان اهمية موضوع البحث مع ملخص لمشكلة موضوع البحث وكيفية تحديدها.
- ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وادواته وخاتمة لاهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.
- ولا تزيد عدد صفحات عرض الاطروحة او الرسالة عن 8 صفحات.

تقارير اللقاءات التعليمية

- ترحب المجلة بنشر التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية سينمار الحديثة الانعقاد والتي تتصل موضوعاتها بالدراسات التاريخية والاجتماعية والانسانية.
- يشترط ان يغطي التقرير فعاليات اللقاء نوه مؤتمر ورشه عمل سينمار مركزا على الابحاث العلمية واوراق العمل المقدمة ونتائجها واهم التوصيات التي يتوصل اليها اللقاء.
- لا تزيد عد صفحات التقرير عن 6 صفحات.

قواعد عامة

ترسل كافه الاعمال المطلوبة للنشر بصيغه وورد, ولا يلتفت الى اي صيغ اخرى .

المساهمون للمرة الاولى من اعضاء هيئه التدريس بالجامعات يرسلون اعمالهم مصحوبة بسيرهم العلمية وفقا أحدث نموذج مع صورة شخصية واضحة.

ترتيب الابحاث عند نشرها في المجلة وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث او قيمة البحث.

حقوق المؤلف

- المؤلف مسئول مسئوليه كامله عما يقدمه للنشر بالمجلة وعن توفر الأمانة العلمية به سواء لموضوعه او لمحتواه ولكل ما يرد بنصه وفي الاشارة الى المراجع ومصادر المعلومات.
- جميع الآراء والافكار والمعلومات الواردة بالبحث تعبر عن راي أحد غيره وليس للمجلة او هيئة التحرير ايه مسئوليه في ذلك.
- ترسل المجلة لكل صاحب بحث منشور نسخة الكترونية متكاملة للعدد الصادر.
- يحق للكاتب اعاده نشر البحث بصوره ورقيه او الكترونيه بعد نشره في المجلة دون الرجوع لهيئة التحرير ويحق للمجلة اعاده نشر المقالات والبحوث بصوره ورقية لغايات غير ربحية دون الرجوع للكاتب.
- يحق للمجلة اعاده نشر البحث المقبول منفصلا او ضمن مجموعه من المساهمات العلمية الاخرى بلغتها الأصلية او مترجمة الى ايه لغة اخرى وذلك بصوره الكترونيه او ورقية لغايات غير ربحيه.
- لا تدفع المجلة ايه مكافئات ماليه عما تقبله للنشر فيها ويعد ما ينشر فيها اسهاما معنويا من الكتاب في اثراء المحتوى الرقمي العربي.

الاصدارات والتوزيع

- تصدر المجلة الدولية للدراسات التاريخية بشكل دوري فصلي، ومن الممكن ان تصدر شهريا وفقا للابحاث المقدمة والملفات العلمية.
- المجلة متاحة للقراءة والتحميل عبر موقعها الالكتروني على شبكه الانترنيت.
- ترسل الاعداد الجديدة الى كتاب المجلة على بريدهم الالكتروني الخاص.
- يتم الاعلان عن صدور الدورية عبر المواقع المتخصصة والمجموعات البريدية والشبكات الاجتماعية.

رسوم النشر: 100 دولار

المراسلات

ترسل الاعمال المطلوبة للنشر الى رئيس التحرير

historical.magazine2015@gmail.com

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الحرب الروسية-الأوكرانية وأثرها في العلاقات الأمريكية-الروسية شباط-نيسان 2022

ا.د.فرقد عباس قاسم/جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الانسانية
أ.م.د. منتهى صبري مولى / جامعة البصرة / كلية التربية للبنات

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث بالتفصيل اثر اندلاع الحرب الروسية-الاوكرانية في العلاقات الأمريكية-الروسية خلال المدة 24 شباط-7 نيسان 2022 . اختار الباحثان هذه المدة الوجيزة من البحث ، كونها حافلة بالإحداث المهمة ، اختلفت عن المدة اللاحقة من الحرب ، اذ كانت الولايات المتحدة والدول المتحالفة معها حذرة في اتخاذ خطوات تصعيدية قد تستفز روسيا ، وتوسع من نطاق الحرب ، لذا مثلت هذه الحقبة نقطة تحول كبيرة في الحرب ، بعد ان لمست الولايات المتحدة ان روسيا لن تقدم على اتخاذ عمل انتقامي ، في حال اتخاذ خطوات تدريجية ضدها ، لاسيما استعمال إجراءات اقتصادية ودبلوماسية ، ثم تطور الأمر لإرسال مساعدات عسكرية ، وتوقف البحث في نيسان ، كونه الشهر الذي شهد قيام ماعرف ((بمذبحة مدينة بوشا)) الاوكرانية ، وكيف استغلتها الإدارة الأمريكية في تصعيد إجراءاتها ضد روسيا ، بعد ان ثبت لبعض الدول ان الأخيرة ((تنتهك)) القوانين والأعراف الدولية.

The Russian-Ukrainian war and its impact on US-Russian relations February-April

Professor Dr. Farkad Abbas Kasem
University of Basrah/ Education College for Humanities – Department of History
Asst Professor. Muntaha Sabri Maula
University of Basrah / College of Education for Women- Department of History

This research deals in detail with the impact of the outbreak of the Russian-Ukrainian war on American-Russian relations during the period February 24 - April 7, 2022. The researchers chose this short period of research, as it was full of important events. It differed from the subsequent period of the war, as the United States and the countries allied with it were cautious in taking escalatory steps that might provoke Russia and expand the scope of the war. Therefore, this era represented a major turning point in the war. After the United States sensed that Russia would not take retaliatory action if gradual steps were taken

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

against it, Especially the use of economic and diplomatic measures, then the matter developed to send military aid, and the search stopped in April, being the month that witnessed the occurrence of what was known as the "massacre of the Ukrainian city of Busha," and how the American administration exploited it to escalate its measures against Russia, after it was proven to some countries that the latter ((violates)) international laws and norms

مقدمة:

تعد الحرب الروسية-الاوكرانية نقطة تحول كبرى في تاريخ العلاقات الروسية-الامريكية لحقبة ما بعد الحرب الباردة ، اذ لم تشهد اوربا حربا واسعة وشرسة مشابهة لهذه الحرب منذ الحرب الباردة ، ولم تشهد العلاقات الروسية-الامريكية توتراً كبيراً مُنذ انهيار الاتحاد السوفيتي في عام 1991 ، الا بعد قيام هذه الحرب. ففي الوقت الذي حرصت فيه الولايات المتحدة على المحافظة على النظام العالمي احادي القطب [1] منذ ذلك التاريخ بدأت روسيا الاتحادية تبحث عما يقيض هذا النظام ، والدعوة الى اقامة نظام عالمي جديد (متعدد الاقطاب)[2] ، وتبين هذا الامر جليا حينما القى الرئيس فلاديمير بوتين *Vladimir Putin* [3] خطابا له امام الدول التي حضرت الى مؤتمر الامن في مدينة ميونخ الالمانية عام 2007 ، واثار هذا الخطاب دهشة دول الغرب [4] ، بعد ان انتقد فيه بوتين النظام العالمي الذي أرسته الولايات المتحدة منذ عام 1991 ، ومنحها مبررا للتدخل وإسقاط حكومات اي دولة في العالم[5] ، وانتقد ايضا مساعي حلف الناتو للتوسع باتجاه الحدود الغربية لروسيا ، كونها تمثل تهديدا لأمن بلاده القومي[6] ، بعد ان عدت هذه الدول اوربا مثالا جيدا للاستقرار العالمي[7] . ومما فاقم من قلق الدول الغربية إقدام بوتين على الهجوم على جورجيا في عام 2008[8] ، وعدته بمثابة رفضه لانضمام اي عضو جديد يقع بالقرب من حدود روسيا ، ومنها جورجيا وأوكرانيا[9] .

رأى بوتين ان التطورات السياسية التي شهدتها أوكرانيا للمدة 2004-2014 ، اي منذ قيام ما عرف بالثورة الملونة ((البرتقالية))[10] فيها بمثابة تهديد لأمن بلاده القومي ، اذ تمكن حلف الناتو من الاقتراب من الحدود الغربية لروسيا الاتحادية ولمسافة 1800 كم عما كان عليه الحال خلال حقبة الحرب الباردة ، وإذا ما انضمت أوكرانيا لهذا الحلف فتصبح موسكو على بعد 400 كم فقط من حدود شمال أوكرانيا [11] ، فضلاً عن ذلك فان سيطرة حلف الناتو على اوكرانيا سيهدد الأسطول الروسي المتواجد في البحر الأسود ، ويعرض تجارة روسيا مع دول الشرق الأوسط وغيرها عبر هذا البحر للخطر [12] ، لذا اخذ يتابع ما يحدث في أوكرانيا عن كثب ، وأقدم على ضم شبه جزيرة القرم عام 2014[13] ، وتشجيع الانفصاليين الموالين لها في شرق أوكرانيا ((إقليم الدونباس)) على المطالبة بالاستقلال عن أوكرانيا ، بعد ان أطيح بحكم الرئيس الموالي لروسيا في أوكرانيا[14] ، مستغلا انكفاء سياسة الإدارة الأمريكية الجديدة في عهد باراك حسين اوباما *Barak H.Obama* [15] ، ورغبتها في الحفاظ على السلام في اوربا لتركيز

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

جهودها في مواجهة الصين الشعبية في منطقة المحيط الهادئ[16].

لكن ادارة اوباما عدت ضم القرم تهديداً ((لسيادة أوكرانيا وسلامتها الإقليمية)) ، وأضافت ان مستقبل أوكرانيا يجب ان يقرره شعبها بنفسه ، وفرضت عقوبات اقتصادية على روسيا ، ووصفت عملية الاستفتاء التي أجرتها الحكومة الروسية في القرم[17] ، وأسفرت عن ضمها لروسيا ب ((غير الشرعية)) ، وحذر اوباما في اتصال مع نظيره الروسي ((بوتين)) ان بلاده ومعها المجتمع الدولي لن يعترف بهذا الضم[18] ، وقررت دعم الحكومة الأوكرانية الجديدة بالأموال للحفاظ على استقرارها ، وعرضت مساعدتها لها في محاربة الفساد الذي كان يستشري في أجهزة الدولة الأوكرانية ، ومساعدتها أيضا في تقديم المشورة والدعم المالي في الانتخابات التي جرت في اوكرانيا في ايار 2014 ، وأسفرت عن فوز بيترو بوروشنكو *Petro Poroshenko*[19] ، والتقى به اوباما في بولندا ، وأكد له ان إدارته لن تعترف بضم روسيا للقرم، وفرضت أيضا عقوبات اقتصادية على روسيا ، منها تجميد الأصول الروسية[20] . وازداد تقارب أوكرانيا مع دول الناتو ، بل أسهمت في إرسال جنودها الى المناطق الساخنة في العالم ، لاسيما في العراق ، إذ بعثت بحوالي 1700 جندي[21] ، و55 جنديا الى افغانستان[22] ، على الرغم من إنها لم تنضم لحلف الناتو. لذا يمكن عد إقدام بوتين على ضم القرم بمثابة نقطة تحول كبيرة في سياسة الولايات المتحدة اتجاه الأزمة في أوكرانيا.

أولاً : - موقف الولايات المتحدة الأمريكية من بدء اندلاع الحرب الروسية – الأوكرانية وأثره في توتر العلاقات الأمريكية – الروسية 24 شباط – 15 اذار 2022

تصاعد قلق الرئيس بوتين من ان تقدم أوكرانيا على الانضمام الى حلف الناتو ، لذا حاول إيجاد مبررات جديدة للإطاحة بحكومة الرئيس الأوكراني الموالي للغرب فولوديمير زيلينسكي *Volodymyr Zelensky*[23] ، ومرة أخرى اتخذ من ((انتهاك)) الحكومة الأوكرانية لاتفاقيات مينسك الثانية[24] بشان وقف إطلاق النار بين الانفصاليين في إقليم الدونباس والحكومة الأوكرانية مبررا لغزوه الأراضي الأوكرانية في شباط 2022[25]. ويظهر لنا ان بوتين اعتقد ان غزو أوكرانيا ستكون بمثابة نزهة ، ولم يقرأ المشهد الدولي جيدا ، لاسيما بعد ان وصلت العلاقات بين الولايات المتحدة وحلفائها في الناتو الى مرحلة خطيرة ، بعد ان ضغطت الإدارة الأمريكية في عهد دونالد ترامب *Donald Trump*[26] على حلفائها الأوربيين بهدف دفع مادعاه ((فاتورة)) حماية بلاده لها[27] ، بل وصف الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون *Emmanuel Macron*[28] حلف الناتو انه ((مات سريريا))[29]، وانه يتوجب على الأوربيين ان يتحدوا فيما بينهم ، وتكوين جيش خاص بهم بعيدا عن الحماية الأمريكية[30]. فضلا عن اعتقاد بوتين ان الدول الأوربية قد لا تقدم على مجابهة روسيا ، كونها تعتمد في بلاده في تزويدها بما تحتاجه من الطاقة الرخيصة ، لاسيما المانيا وهنغاريا[31]، في وقت كانت تعاني فيه هذه الدول من تبعات ماخلفته جائحة كورونا من مصاعب اقتصادية ، وارتفاع في معدلات التضخم[32]. ويظهر ان بوتين كان يعتقد ان أوكرانيا يمكن تفكيكها من الداخل ، لاسيما ان بعض الدول الأوربية كانت تطمح الى ضم جزء من أراضيها ، بعد ان ضمت

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

هذه الأراضي الى دول مجاورة بعد الحرب العالمية الثانية ، منها بولندا وهنغاريا وغيرهما ، اذ قد تقدم هذه الدول على المطالبة بالحصول على جزء من ((الكعكة)) ، بعد ان تتفق مع بوتين على تقسيمها.

لكن حسابات بوتين كانت خاطئة هذه المرة ، اذ فضلت الدول الأوربية ، وحلفاء الولايات المتحدة خارج أوربا مساندة الولايات المتحدة في دعمها لأوكرانيا ، بل أدى الغزو الروسي لأوكرانيا الى إحياء حلف الناتو ، لأنها رأت ان عدم ردع روسيا سيشجعها على التمادي بالتوسع الى جهات أخرى لا تقتصر على أوكرانيا ، لاسيما في دول البلطيق وبولندا التي انضمت الى حلف الناتو ، اذ تضم بعض هذه الدول أقليات روسية قد تكون مبررا لغزو روسي جديد لأراضيها ، ولاشك ان ضم روسيا لجمهوريات البلطيق سيجعل باقي دول أوربا في تماس مباشر مع حدود روسيا الجديدة ، مما يهدد أمنها القومي ، لاسيما رومانيا وبولندا.

وصلت العلاقات الأمريكية الروسية الى مرحلة من التوتر لم يسبق له مثيل منذ انهيار الاتحاد السوفيتي ، واتخذت الإدارة الأمريكية في عهد جو بايدن *Joe Biden* خطوات غير مسبوقة ، لمساعدة أوكرانيا في الوقوف بوجه الاحتلال الروسي لأراضيها. ويظهر أنها أدركت ان الإذعان لمطالب بوتين سيشجعه على المطالبة بالمزيد ، ويهدد مصالحها في أوربا ، ويجعل حلفائها يشكون في قدرتها على حمايتهم ، ويتيح لها فرصة كبيرة لإعادة علاقاتها الجيدة معهم ، بعد ان أفسدتها الادارة السابقة في عهد ترامب ، وان تلبية المطالب الروسية في أوكرانيا ، سيعني بناء نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب ، ويعني نهاية لعالم أحادي القطبية الذي أوجدته الولايات المتحدة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي ، وأتاح لها فرصة كبيرة للتدخل في شؤون الدول الأخرى ، ضاربة بعرض الحائط ، قرارات منظمات الأمم المتحدة ، وقد يشجع هذا الأمر بدوره الصين الشعبية لتحذو حذو روسيا ، فتقدم على ضم تايوان بالقوة ، بعد ان تلمس تهاونا في الموقف الأمريكي. وقد يعزز هذا الأمر من إحداث تقارب صيني روسي أيضا ، يهدد المصالح الأمريكية في المحيط الهادئ ، ويمهد الطريق لإقامة تحالف يضم روسيا والصين وإيران وكوريا الشمالية ، لمجابهة حلف الناتو ، وليحل محل حلف وارشو السابق.

اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية مجموعة من العقوبات والإجراءات الدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية لم يسبق لها مثيل ضد روسيا منذ بداية الغزو في 24 شباط 2022. اذ اصدر الرئيس بايدن في اليوم نفسه بيانا شجب فيه الغزو الروسي ، ووصفه ب ((الهجوم المتعمد)) ، وأضاف ((ان بوتين اختار الحرب ، وسيتحمل هو وبلاده الآن تبعاتها)) . وأعلن أيضاً أن الإدارة الأمريكية ستفرض عقوبات على أربعة مصارف روسية ، ومؤسستين ماليتين روسيتين ، مما يعني تجميد الأصول التي يملكونها في الولايات المتحدة ، وأنها ستحرم روسيا أيضا من استيراد التقنيات الفائقة التي تدخل في الصناعات الحربية الروسية ، وتقرر أيضا ان تسعى وبالاشتراك مع حلفائها الغربيين الى الحد من تعاملات روسيا التجارية بعملات الدولار واليورو والجنيه الإسترليني والين الياباني ، للحد من قدرتها على تمويل الجيش الروسي وتمنيته[33].

وبهدف طمأنه حلفاء الولايات المتحدة الامريكية المنضوين تحت حلف الناتو ، ولردع ((العدوان الروسي)) أمر بايدن وزير دفاعه في اليوم

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

نفسه بإعادة نشر 7000 جنديا أمريكيا من القوات المتمركزة في أوربا آنذاك ، في دول استونيا ولاتيفيا وليتوانيا وبولندا ورومانيا وألمانيا ، لكن بايدن أكد على ان القوات الأمريكية ((لن تشارك في الصراع الدائر بين روسيا وأوكرانيا)) بشكل مباشر ، إذ قال ((على الرغم من إننا قدمنا 650 مليون دولار كمساعدة دفاعية لأوكرانيا العام الماضي... اسمحوا لي ان اقول ذلك مرة أخرى ان قواتنا ليست ولن تشارك في الصراع مع روسيا في أوكرانيا ، ولن تذهب قواتنا في أوربا للقتال في أوكرانيا ، ولكنها تدافع عن حلفائنا في الناتو ، وتطمئن هؤلاء الحلفاء في الشرق ، وكما أوضحت فان الولايات المتحدة ستدافع عن كل شبر من أراضي الناتو بكل قوة)). وأضاف بايدن ان الرئيس الروسي بوتين ((منفصل عن بقية العالم)) ، ولديه طموحات اكبر بكثير من أوكرانيا ، ((ويريد إعادة تأسيس الاتحاد السوفيتي السابق)). ورأى أيضاً ان سلاح العقوبات سيكون لها أثراً كبيراً ، اذ ستضعف-من وجهة نظره- روسيا ، وإذا لم تتحرك الولايات المتحدة الأمريكية بهذا الاتجاه ، فسيشجع بوتين على مواصلة ((عدوانه)) ، وقال بايدن أيضا انه ليس لديه خطط في تلك المدة لإجراء مباحثات مع بوتين ، وان ((عدوانه)) على أوكرانيا ((سيكلف روسيا في نهاية المطاف ثمنا اقتصاديا واستراتيجيا باهضا)) [34].

وأعلنت وزارة الخارجية الأمريكية في اليوم التالي عن فرض عقوبات على الرئيس بوتين وثلاثة من كبار مستشاريه في الأمن القومي الروسي ، بوصفهم مسؤولون عن شن العملية العسكرية الروسية ضد أوكرانيا ، وهم: وزير الخارجية الروسية سيرجي لافروف *Sergei Lavrov*[35]، ووزير الدفاع الروسي سيرجي شويغو *Sergei Shoigu*[36]، والنائب الأول لوزير الدفاع ورئيس هيأة الأركان العامة الروسية فالري غراسيموف *Valery Gerasimov* [37] ، وأضاف الإعلان ان وزارة الخزانة الأمريكية ستدرج أيضا اثنا عشر شخصية روسية ضمن قائمة فرض العقوبات ، إذا لم توقف روسيا هجومها على أوكرانيا [38].

صدر في 26 شباط 2022 تصريحا مشتركا لقادة الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول الاتحاد الأوربي ((فرنسا والمانيا وايطاليا)) ، فضلاً عن بريطانيا وكندا ، شجبوا فيه مرة أخرى الغزو الروسي لأوكرانيا ، وأعلنوا عن دعمهم المطلق لحكومة أوكرانيا وشعبها ، وفي الوقت نفسه تعهدوا بفرض مجموعة من العقوبات الصارمة ضد روسيا ، منها حرمان مصارف روسية منتخبة من التعامل بنظام سويفت[39] ، لأن من شأن هذا القرار ان يضمن فصل هذه المصارف عن النظام المالي العالمي ، والإضرار بقدرتها في العمل على المستوى العالمي ، وتعهدت أيضا بفرض تدابير تقييدية أخرى من شانها ان تحرم المصرف الروسي المركزي من نشر احتياطاته الدولية بإتباعه وسائل قد تقوض من تأثير هذه العقوبات[40]. بالمقابل أقدم الرئيس الروسي بوتين على اتخاذ خطوة تصعيدية خطيرة ضد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها ، اذ أمر في اليوم التالي بوضع قوة الردع النووية الروسية في حالة تأهب قصوى ، بعد ان تمكنت القوات الأوكرانية من صد هجمات القوات الروسية في بعض المدن الأوكرانية[41]. وعلى الرغم من ان بوتين قد صرح انه أمر قوات الردع التابعة للجيش الروسي ((بإجراء مهمة قتالية خاصة)) ، بسبب ((التصريحات العدوانية)) لقادة الناتو ، الا ان تلك الخطوة أثارت

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

امتعاض الإدارة الأمريكية ، اذ أدانت هذه الخطوة الروسية ، ووصف السكرتير الصحفي للبيت الأبيض جين بساكي *Jen Psaki* إعلان بوتين الأخير انه بمثابة ((تصنيع تهديدات غير موجودة لتبرير المزيد من العدوان))[42] . ولقيت الولايات المتحدة الأمريكية دعما من حلفائها ايضا حينما أعلنت كندا ودول الاتحاد الأوربي في اليوم نفسه إغلاق المجال الجوي أمام حركة الطائرات الروسية[43].

وفي خطوة أخرى خطيرة أقدمت الإدارة الأمريكية في 28 شباط 2022 على طرد اثني عشر دبلوماسياً روسياً من البعثة الدائمة لروسيا في الأمم المتحدة ، وان عليهم المغادرة بحلول السابع من آذار ، وجاء هذا القرار بعد ان أعلنت الإدارة ((ان هؤلاء هم من عملاء المخابرات)) ، وإنهم ((اساؤوا)) استعمال امتيازاتهم ، ومارسوا ((أنشطة تجسس تعد ضارة بأمن)) الولايات المتحدة القومي . وأثارت هذه الخطوة امتعاض الحكومة الروسية ، اذ وصف السفير الروسي لدى الأمم المتحدة فاسيلي نيبينزيا *Vassily Nebenzia* هذه الخطوة ((انتهاك صارخ)) لاتفاق الامم المتحدة مع الولايات المتحدة بعدها الدولة المضيفة للأمم المتحدة ، ((وانتهاكا)) لاتفاقية فيينا[44] التي تحكم العلاقات الدبلوماسية ، ووصف السفير الروسي في واشنطن الطرد ب ((تحرك عدائي)) ، وقال ان روسيا ((ترفض تماما المزاعم الأمريكية))[45] .

وبهدف منع روسيا من استعمال عائداتها النفطية في تمويل حملتها العسكرية ضد أوكرانيا، وقع بايدن في 8 آذار امرا تنفيذاً جديداً قضى بفرض عقوبات كبيرة وجوهرية استهدفت جوانب من القطاع النفطي الروسي ، اذ حظر على الأمريكيين الاستثمار الجديد فيه ، او استيراد منتجات الطاقة ذات المنشأ الروسي الى الولايات المتحدة ، منها النفط الروسي ومشتقاته من الزيوت وغيرها ، فضلا عن الغاز المسال والفحم ومنتجاته ، وذكر إعلان للبيت الأبيض ان هذا القرار حظي بدعم الحزبين الجمهوري والديمقراطي ، وانه حصل بالتشاور مع حلفاء الولايات المتحدة ، على الرغم من ان الأخيرة كانت تدرك ان بعض حلفائها لايمكنهم الانضمام لهذه العقوبات في تلك الوقت ، لكنها كانت تعمل معها على تقليل اعتمادها على الطاقة الروسية ، وإنها تتخذ خطوات مهمة للحد من تأثير هذه العقوبات على أسواق الطاقة العالمية[46].علاوة على ذلك أعلن مكتب مراقبة الأصول الأجنبية التابع لوزارة الخزانة الأمريكية في 11 آذار 2022 عن فرض عقوبات جديدة استهدفت النخب والقادة السياسيين والاوليغارشية[47] ، وقادة الأمن القومي الروسي ، بسبب مادعاه ((الهجوم الوحشي وغير المبرر)) الذي شنه بوتين ضد أوكرانيا ، واصدر بايدن في اليوم نفسه أمرا بفرض قيود جديدة على استيراد المواد من روسيا او تصديرها اليها ، بما في ذلك تصدير الأوراق النقدية لها[48].

واصلت الولايات المتحدة الأمريكية ضغوطها الدبلوماسية والاقتصادية بشكل متصاعد . ففي منتصف شهر آذار 2022 أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية عن فرض عقوبات على احد عشر شخصا روسيا ، كونهم يعملون في قطاعي الاقتصاد والدفاع الروسيين[49]. تزامن هذا الأمر مع تصعيد بايدن من لهجته تجاه بوتين ، اذ أجاب في مؤتمر صحفي عقد في البيت الأبيض في منتصف شهر آذار 2022 عن سؤال احد الصحفيين ((سيدي الرئيس ، بعد كل

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

مارأيناه هل أنت مستعد لوصف بوتين بمجرم حرب ؟)) ، ((اعتقد انه مجرم حرب)) . وأثار هذا التصريح امتعاض الحكومة الروسية ، اذ صرح المتحدث باسم الكرملين ديمتري بيسكوف *Dmitry Peskov*[50] ((نعتقد ان مثل هذا الخطاب غير مقبول ولايغتفر من جانب رئيس دولة قتلت قنابلها مئات الآلاف من الأشخاص حول العالم))[51].

ثانياً :- تفاقم توتر العلاقات الأمريكية – الروسية بشأن الحرب الروسية – الأوكرانية 16 اذار – 7 نيسان 2022

واصلت الإدارة الأمريكية تقديم المساعدات العسكرية لأوكرانيا ، وبلغت ذروتها في تلك المدة حينما أعلن البيت الأبيض في 16 آذار ان الرئيس بايدن أمر بإرسال مساعدات أمنية للأخيرة بقيمة 800 مليون دولار ، مما رفع القيمة الإجمالية المخصصة لأوكرانيا الى مليار دولار خلال الأسبوع الماضي ، وارتفع حجم المساعدات المقدمة لها الى ملياري دولار منذ شن الهجوم الروسي . وتضمنت حزمة المساعدات الأخيرة (800 مليون دولار) : 800 نظام مضاد للطائرات نوع ستينغر ، و2000 قطعة سلاح مضاد للدروع نوع جافلين ، و1000 قطعة سلاح خفيف مضاد للدروع ، و6000 نظام مضاد للدروع من نوع اي تي 4 *(AT-4)* ، و100 نظام جوي تكتيكي بدون طيار ، و5000 بندقية ، و1000 مسدس ، و400 رشاش ، و4000 بندقية ، و20 مليون طلقة من ذخائر الاسلحة الصغيرة وقذائف القنابل اليدوية وقذائف الهاون ، و25000 مجموعة من الدروع الواقية للبدن ، و25000 خوذة وغيرها[52].ويظهر لنا من هذه القائمة ان الولايات المتحدة كانت حذرة جدا من إرسال اسحلة بعيدة المدى لأوكرانيا ، واكتفت بمنحها أسلحة دفاعية حتى تلك المدة ، بسبب قلقها من إمكانية التصعيد مع روسيا[53] ، وعلى الرغم من ذلك لعبت الأسلحة الانفة الذكر دورا مهما ، لاسيما صواريخ جافلين المضادة للدروع ، في حرمان القوات الروسية من الاستيلاء السريع على مدينة كييف كما كان يأمل بوتين ، بعد ان استعملها الجنود الأوكرانيون في وقت مبكر من الصراع لنصب الكمائن للمركبات المدرعة الروسية من فوق أسطح المنازل والخنادق على جوانب الطرق[45].

وبلغ توتر العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا أشده حينما صرح الرئيس بايدن في بولندا في 26 آذار 2022 ، في ختام جولته لدول حليفة لبلاده والإعداد لعقد مؤتمرات معها ، قائلا ((أن الرئيس الروسي لاينبغي ان يبقى في السلطة بعد الآن)) ، وعلى الرغم من ان البيت الأبيض قلل من أهمية هذا التصريح ، مبررا ذلك بقوله ان الرئيس بايدن قصد من كلامه ((انه لا يمكن السماح لبوتين بممارسة السلطة على جيرانه او المنطقة)) ، وانه لم يناقش مسالة قوة بوتين في روسيا او تغيير النظام ، إلا ان الكرملين اخذ تصريحات بايدن على محمل الجد ، وصرح المتحدث باسمه ، ديمتري بيسكوف ، قائلا ((أن هذا الأمر لا يقرره السيد بايدن ، يجب ان يكون ذلك خيارا لشعب الاتحاد الروسي فقط))[55].

في غضون ذلك بدأت العقوبات الأمريكية والغربية تأتي أكلها في مرحلة مبكرة ، لاسيما حينما انهارت قيمة العملة الروسية ((الروبل)) ، بعد ان أرسل بوتين قواته لغزو أوكرانيا ، اذ انخفضت قيمته الى مستويات قياسية ، اثر قرار الولايات المتحدة وحلفائها بمنع روسيا من استعمال أنظمة الدفع العالمية

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

، وقطع مصرفها المركزي عن أسواق رأس المال العالمي ، وتجميد مئات المليارات من احتياطياتها النقدية[56] ، لذا ابتكرت روسيا وسيلة بارعة لإعادة الاعتبار لعملتها الوطنية ، إذ اصدر الرئيس الروسي مرسوما مفاجئا ، وقعه في 31 آذار ، نص على ضرورة ان يتم سداد ثمن توريد الغاز الروسي للدول التي وصفها ((المعادية)) بالروبل بدء من توقيع هذا المرسوم[57] ، وحذر بوتين من ان أي دولة مشترية لن تسدد هذه المدفوعات بالروبل ، فإنها ستعد مقصرة ، وتتحمل تبعات قرارها ، وأضاف ((لا احد يبيعنا مجانا ، ولن نقوم بأعمال خيرية أيضا، أي انه سيتم إيقاف العقود الحالية)). وسرعان ما تعافت قيمة الروبل بعد مدة وجيزة من قرار بوتين الأخير ، اذ تم تداول العملة عند 81.7 مقابل الدولار الأمريكي ، وهو المستوى نفسه الذي كان عليه تقريبا في 23 شباط ، اي قبل الغزو بيوم واحد[58] .

تباينت ردود أفعال الدول الأوربية حول قرار بوتين الأخير ، اذ عدته فرنسا والمانيا ب((الابتزاز)) ، في حين أعلنت هنغاريا أنها مستعدة لشراء الغاز الروسي بالروبل ، وأعلنت سلوفاكيا بدورها أنها لاتستطيع تحمل قطع الغاز الروسي ، لذا فإنها ستضطر للدفع بالروبل الروسي[59] . ولاشك ان هذه الخطوة ستثير الولايات المتحدة أيضاً ، اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان الأمر لن يقتصر على تعافي قيمة الروبل مقابل الدولار الأمريكي فقط ، بل ان هذه الخطوة ستسمح لبوتين بتحدي هيمنة الدولار على الأسواق العالمية ، إذا ما اقدمت الدول المشترية على دفع ثمن الصادرات الروسية بالروبل ، الأمر الذي سيسهم بدوره في تكديس مجموعة كبيرة من عملة الروبل في الأسواق العالمية[60] .

وعلى الرغم من أن قرار بوتين الأنف الذكر حقق انتعاش للاقتصاد الروسي ، إلا ان قواته اضطرت إلى الانسحاب من بعض المدن الأوكرانية المهمة ، بسبب الخسائر التي تكبدتها، اذ أمرت القوات الروسية في اليوم نفسه ، أي 31 آذار ، بالانسحاب من المدن المحيطة بالعاصمة كييف ، بضمنها مدينة بوشا *Bucha* ، بعد 33 يوما من احتلالها. لكن العالم ذعر عندما وردت تقارير مصورة من تلك المدينة ، أظهرت جثث لمدنيين أوكرانيين مقيدين من الخلف، واعدموا من مسافة قريبة ، وعلى وفق المعلومات التي أوردها مكتب المدعي العام الأوكراني ، فانه استخرجت 1173 جثة في تلك المنطقة[61] ، وقال الرئيس الأوكراني زيلنسكي ان الهجوم الذي شنته روسيا على بلاده ((يرقى الى مستوى الإبادة الجماعية)) ، بل وصف احد المسؤولين الأوكرانيين روسيا انها ((أسوا من داعش))[62] .

وعلى الرغم من نفي الحكومة الروسية ارتكابها لهذه المذبحة[63] ، إلا ان الولايات المتحدة والدول المتحالفة معها لم تصدق المزاعم الروسية ، ورفعت تقارير للكونغرس الامريكي تثبت تورط روسيا ((بارتكاب جرائم حرب)) ، ودعا أعضاء الكونغرس الى فرض مزيد من العقوبات ضدها[64] ، وبدأت الإدارة الأمريكية تدرس ، وبالتعاون مع حلفائها الأوربيون ، فرض عقوبات اقتصادية أكثر صرامة ضد روسيا ، بعد توافر دلائل جديدة حول تورط الأخيرة ((بقتل المدنيين)) الأوكرانيين في بوشا[65] . وفعلاً لم تتأخر هذه الدول في الإعلان عن فرض العقوبات الجديدة ، اذ أعلنت في 7 نيسان عن حزمة جديدة من العقوبات شملت حظر الاستثمارات الجديدة في روسيا ، وفرض عقوبات على مصارف

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

روسية كبيرة ، الأمر الذي أسهم في تفاقم الصعوبات المالية لهذه المؤسسات المالية الكبيرة في روسيا ، فضلا عن ذلك شملت العقوبات أيضا ملاحقة ثروات المسؤولين الحكوميين وبعض عائلاتهم ، بضمنها ابنتي بوتين ، وزوجة وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف وابنته وغيرهم . وأكد البيت الأبيض الأمريكي أن الخبراء الأمريكيين أكدوا على ان هذه العقوبات الجديدة ، فضلاً عن العقوبات السابقة ستسهم –من وجهة نظرهم- في انكماش الناتج المحلي الإجمالي لروسيا بنسبة تصل الى 15% ، وان روسيا قد تفقد مكانتها كاقتصاد رئيسي ، وستشهد عزلة اقتصادية ومالية وتقنية[66]. لذا يمكننا القول ان مذبحة بوشا شكلت نقطة تحول كبيرة في تاريخ الحرب الروسية-الاوكرانية ، كونها عكست صورة سيئة لمكانة روسيا في نظر المجتمع الدولي ، وحاولت الولايات المتحدة وحليفاتها استغلال هذه الحادثة لكسب تأييد الدول غير الداعمة لها ، واثبات ان الحرب التي تخوضها اوكرانيا ضد روسيا هي حرب عادلة .

الخاتمة:

1-اتضح من الدراسة ان الدعم الامريكي لاوكرانيا للوقوف بوجه روسيا بدا يتصاعد منذ عام 2014 ، ويظهر ان بوتين شعر بهذا الامر ، ولم تكن لديه خيارات اخرى ، الا باستعمال القوة ، ولكنه لم يستعملها الا في عام 2022 ، لأن ترسانته العسكرية لم تكن كافية لمجابهة حلف الناتو في عام 2014 ، لاسيما في مجال الصواريخ الفرط صوتية التي يتفوق فيها على نظيرته الامريكية ، فضلاً عن ان الإدارة الأمريكية في عهد ترامب كانت تميل الى منح بوتين القرم ، وحاولت قدر الإمكان تجنب الاحتكاك معه طيلة تلك المدة ، بل ان ترامب اقام صداقة خاصة مع بوتين على حساب نظرائه الأوربيين وباقي أعضاء حلف الناتو ، بعد ان طلب منهم منحه مزيدا من الاموال لقاء حمايته لهم.

2- ان العقوبات الاقتصادية الصارمة التي فرضتها الولايات المتحدة وحلفائها ضد روسيا في مرحلة مبكرة من الحرب لم تسهم في ردع روسيا ، بفضل عوائدها النفطية والغازية ، ووجود دول اوربية حليفة للولايات المتحدة لم تقطع صلاتها مع روسيا ، بسبب اعتمادها على الطاقة الروسية الرخيصة. لذا لم تشهد العملة الروسية (الروبل) انهيارا كما توقع ، بل ان روسيا أنعشت عملتها عبر شراء الدول لنفطها وغازها بعملتها الوطنية ، وهذا تكتيك جديد لم يشهد له مثيل من قبل ، قد يحث بقية الدول على حذو روسيا ، ومنها الصين الشعبية التي تفكر حاليا في إصدار عملة رقمية لليوان الصيني ، فضلا عن دعم اليوان بالذهب للمحافظة على قيمته.

3- ان فرض العقوبات الاقتصادية أتى بنتائج عكسية للولايات المتحدة على الصعيد الدولي ، وقد يكون بمثابة بداية النهاية للنظام أحادي القطب وبداية لنظام متعدد الأقطاب ، إذ قد تخشى الصين الشعبية من ان فرض العقوبات الاقتصادية قد يشملها على غرار ماحدث لروسيا ، اذا ما اقدمت على ضم تايون ، لذا سيسهم هذا الأمر بدوره بإقامة تحالف صيني روسي لمجابهة الدول الغربية.

4-ان اقدام الولايات المتحدة وحلفائها على مصادرة الاصول الروسية في الخارج قد يحفز باقي الدول على التفكير بالاعتماد على عملاتها الوطنية وتدعيمها بالذهب ، لذا نشاهد اليوم سباق الدول للانضمام

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

لهذه التكتلات ، لاسيما تكتل دول البريكس ، التي انضمت اليه مؤخرا دول مقربة للولايات المتحدة ، منها السعودية والإمارات. ولاشك ان هذه التكتلات تعني انهاء تحكم الدولار بالتجارة العالمية ، وهذا الأمر سيسهم بدوره في حفظ مكانة روسيا.

هوامش البحث ومصادره:

1-حول مفهوم نظام القطب الواحد وتطوره ينظر:

Nuno P. Monteiro,Theory of Unipplar politics,Campridge University Press,2004.

2-Fredrick W.Kagan and Others,Confronting the Russian challenge:A new approach for the U.S.,Insititute for the study war,(June 1,2019),p.24.

3-فلاديمير بوتين: يعد بوتين من اشهر زعماء روسيا الاتحادية ، بعد اعلان استقلالها عن الاتحاد السوفيتي في عام 1991. ولد في مدينة سان بطرسبورغ في عام 1952 ، وعمل في بداية حياته في جهاز الاستخبارات السوفيتي كي جي بي ، لاسيما في المانيا الشرقية . وبعد تقاعده سطع نجمه السياسي سريعا ، بسبب مهاراته ، وتدرج في المناصب السياسية ، وحظي بثقة الرئيس الروسي بوريس يلتسين ، فعينه مديرا لجهاز الأمن الفدرالي الروسي في عام 1998 ، ثم رئيسا للوزراء بعد عام ، وبعد استقالة يلتسين من منصبه ، أصبح بوتين رئيسا لروسيا في عام 2000 ، وتولى هذا المنصب مرات عدة . وعمل منذ تسنمه للمنصب على القضاء على تمرد جمهورية الشيشان ، والتخلص من خصومه السياسيين ، والفساد المستشري في بلاده ، وشهدت روسيا في عهده نهضة اقتصادية . لكن عهده شهد توترا في علاقات بلاده مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية ، اذ عارض بشدة توسعات حلف الناتو باتجاه حدود بلاده ، وأقدم على مهاجمة جورجيا في عام 2008 ، وضم شبه جزيرة القرم التبعة لأوكرانيا في عام 2014 ، وبلغ التوتر ذروته حينما هاجم الأخيرة في عام 2022.

www.britannica.com

4-Politico News Magazine,18/2/2022.Cited in https://www.politico.com/news/magazine/2022/02/18/putin-speech-wake-up-call-post-cold-war-order-liberal-2007-00009918:

5-قصد بوتين في خطابه هنا الاحتلال الامريكي لأفغانستان عام 2001 والعراق عام 2003 . للمزيد عن هذا الاحتلال ينظر:

Joseph Stieb,The regime change consensus:Iraq in American politics,1991-2003,Pd.D. Unpublished Dissertation,North Carolina University,2019,pp.273-350,Elise A.Meszaros,The Afghan Taliban:Evolution of an Adaptive insurgency,M.A. Unpublished Thesis,Duquesne University,2019,pp.34-38.

6-للمزيد من التفصيلات حول خطاب بوتين في مدينة ميونخ الالمانية عام 2007 ينظر:

The Washington Post 12 February 2007,The New York Times,11 February 2007, John Berger,From the bears mouth:Analyzing Vladimir Putins Rhetoric and its implications for Russian grand strategy,Unpublished thesis,School of advanced Air and space studies Air University,Alabama,2016,pp.78-86.

7- Michal Wozniak,The Ukraine Crisis and shift in US foreign policy,Interdisciplinary and Cultural Journal,Vol..18,No.2/2016,p.88.

8-للمزيد من التفصيلات حول الحرب الروسية-الجورجية 2008 ينظر:

Svante E.Cornell and S.Frederick Starr(eds.),The Guns of August 2008 Russia's war in Georgia,New York,2009.

9- Michal Wozniak,Op.Cit.,P.88.

10-اندلعت في اوكرانيا ماتعرف ب((الثورة البرتقالية)) في عام 2004، نتيجة لوجود ((تزوير)) في الانتخابات الرئاسية التي اسفرت عن فوز المرشح الموالي لروسيا فيكتور يانوكوفيتش ، وخسارة المرشح الموالي للغرب فيكتور يوشنكو ، وأدت الثورة في النهاية الى فوز الاخير بعد اعادة فرز الاصوات.للمزيد ينظر:

Andrew Wilson, Ukraine's Orange Revolution,Yale University Press,2005.

11-Paul Dibb AM, The geopolitical implications of Russia's invasion of Ukraine, Austranian Strategic Policy Institute,Cited in: https://www.aspi.org.au/report/geopolitical-implications-russias-invasion-ukraine

12-Nuur Husein Abdi,Russia-Ukraine War,The impact of the continuing Russia-Ukraine War on intergoverntal organizations,Unpublished Bachelor Thesis,Linnaeus University,2023,p.33.

13-حول ضم بوتين لشبه جزيرة القرم ينظر:

Thomas D.Grant,Current development,Annexation of Crimea,The American Journal of International Law,Vol.109,No.1 (January 2015),pp.68-95.

14-The Kyiv Independent,25 Nov.2023,Cited in: https://kyivindependent.com/the-origins-of-the-2014-war-in-donbas

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

15-باراك حسين اوباما: الرئيس الرابع والاربعون للولايات المتحدة الامريكية لولايتين للمدة (2009-2017) ، ولد في هونولولو بولاية هاواي عام 1961 ، تخرج في جامعة كولومبيا في عام 1983 مختصا في العلاقات الدولية ، ثم اكمل دراسته للقانون في عام 1991 بجامعة هارفارد ، انضم الى الحزب الديمقراطي ، وترشح للانتخابات الامريكية في عام 2008 ، وحقق فوزا فيها ، واصبح اول رئيس امريكي من اصول افريقية ينال هذا المنصب ، انصب اهتمامه على معالجة المشاكل الداخلية لبلاده ، فاهتم بالتعليم والصحة ، وأجرى إصلاحات مالية لتقليل الدين العام ، وحاول سحب قوات بلاده من منطقة الشرق الأوسط ، وابرم اتفاقا مع ايران حول برنامجها النووي في عام 2015 ، ونال جائزة نوبل للسلام.

www.britannica.com

16- للمزيد حول توجه ادارة اوباما نحو المحيط الهادئ والصين الشعبية بدلا عن أوربا والشرق الأوسط ينظر:

Inderjeet Parmar and Others,Obama and the world new directions in US foreign policy,Second edition,New York,2014,pp.219-227.

17-أجرت السلطات الروسية استفتاء في شبه جزيرة القرم في اذر 2014 ، صوت خلاله 97% من سكانها لصالح الانضمام لروسيا. *New York Times,23 September, 2022.*

18-ABC News,17 March 2014,Cited in: https://abcnews.go.com/Politics/obama-announces-sanctions-punish-russia-crimea-invasion/story?id=22939730

19-بيترو بوروشنكو:سياسي ورجل اعمال اوكراني ، ولد في عام 1965 ، ونشا في قرية صغيرة تقع على حدود مولدوفا ، درس في جامعة كييف القانون والعلاقات الدولية ، فضلا عن الاقتصاديات الدولية ، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي دخل عالم رجال الاعمال ، ثم مارس نشاطه السياسي حينما انتخب عضوا في البرلمان الأوكراني عام 1998 ، وأسس حزب التضامن في عام 2000 ، ثم حول ولاءه لحزب ((أوكرانيا لنا)) عام 2001 ، وعين رئيسا للجنة الميزانية البرلمانية في العام التالي ، وبعد قيام الثورة البرتقالية ، عين وزيرا للأمن القومي في عام 2005 ، وتقلد مناصب عدة بعد ذلك ، وشهدت أوكرانيا بعد عام 2014 احداث دامية ومظاهرات أسفرت عن فرار رئيس أوكرانيا الى روسيا ، وضم بوتين للقرم ، وحدوث تمرد للانفصاليين في إقليم الدونباس ، وفي ظل هذه الظروف جرت الانتخابات في أوكرانيا أسفرت عن فوز بوروشنكو ، وأصبح رئيسا في ايار 2014 ، ودخل في مفاوضات مع روسيا بشان إقليم الدونباس أسفرت عن توقيع اتفاقيتين لإنهاء الصراع هناك ، لكن الفساد الحكومي ، وتدهور الأحوال المعيشية في أوكرانيا ، أثرت في نتائج الانتخابات التي أجريت في عام 2019 ، وفاز فيها زلينسكي بأغلبية ساحقة.

www.britannica.com

20-Michal Wozniak,Op.Cit.,pp.92-93.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

21-Sgt. Rodney Foliente,Ukrainians complete mission in Iraq,11 December 2008,p.1.,Cited In:
https://www.army.mil/article/15056/ukrainians_complete_mission_in_iraq

22-The Guardian,22 June 2011.Cited in:
https://www.theguardian.com/news/datablog/2009/sep/21/afghanistan-troop-numbers-nato-data

23-فولوديمير زيلينسكي:فنان كوميدي أوكراني ، ولد في عام 1978 ، برز نشاطه السياسي بعد ضم روسيا لشبه جزيرة القرم في عام 2014 ، انتخب رئيسا لأوكرانيا في عام 2019 . وعلى الرغم من انه كان سياسيا مبتدأ ، إلا ان برنامج عمله السياسي الذي ركز على مكافحة الفساد اكسبه شعبية كبيرة ، ومنحه الفوز في تلك الانتخابات ، وشهد عهده تقاربا كبيرا بين بلاده والدول الغربية على حساب روسيا . وعلى الرغم من انه دخل في مفاوضات مع الأخيرة لحل مشكلة الانفصاليين في إقليم الدونباس المدعومين من بوتين ، الا أنها فشلت في إيجاد حل لها ، وبلغ التوتر ذروته ، حينما أقدم الأخير على مهاجمة أوكرانيا في شباط 2022 ، وتمكن زيلينسكي من مجابهة الغزو الروسي لبلاده ، وحرر قسما من أراضيها ، بسبب تلقيه مساعدات كبيرة من الولايات المتحدة وحلفائها :
www.britannica.com

24-للمزيد من التفصيلات عن اتفاقية مينسك الثانية ينظر:

Ihor Hurak,The Misk Agreements of 2015: a Forced Step or a Small Achievement of the Ukrainian Side within the Diplomatic Confrontation around the War in the Donbas,The Copernicus Journal of Political Studies,October 2015,PP.124-140

25-David R.Cameron,Frustrated by refusals to give Russia security guarantees and implement Minsk 2 ,Putin recognizes pseudo-states in Donbas and invades Ukraine,Yale Macmillan Center,24 Feb.2022,p.1.,Cited in:

https://macmillan.yale.edu/news/frustrated-refusals-give-russia-security-guarantees-implement-minsk-2-putin-recognizes-pseudo

26-دونالد ترامب: سياسي ورجل اعمال امريكي ، ولد في عام 1946 بمدينة نيويورك ، نال درجة البكالوريوس في الاقتصاد من جامعة بنسلفانيا في عام 1968 ، وبسبب انحداره من عائلة ثرية تعمل بالتجارة ، عمل في هذا المجال ، وقبل خوضه الانتخابات الرئاسية الامريكية ممثلا عن الحزب الجمهوري في عام 2016 ، ركز في حملاته الانتخابية على رغبته في جعل أمريكا ((قوية)) مرة اخرى ، وتعهد بانسحاب بلاده من اتفاقية باريس للمناخ ، وفرض تعريفات كمركية على الدول التي تتاجر مع بلاده بشكل ((غير عادل)) ، وانتقد بشدة منافسة الصين الشعبية

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الاقتصادية لبلاده ، وشيد ترامب جدارا على طول الحدود مع المكسيك لمنع المهاجرين القادمين من دول امريكا اللاتينية من دخول بلاده ، فضلا عن منع دخول مواطني بعض الدول الإسلامية. فاز ترامب في الانتخابات الرئاسة ، وأصبح في عام 2017 الرئيس الخامس والاربعون في تاريخ الولايات المتحدة ، وشهدت سياسة بلاده الخارجية انتقادات لاذعة من حلفاء الولايات المتحدة وغيرهم ، وأقدم على الغاء الاتفاق النووي مع ايران في عام 2018 ، وأعاد فرض العقوبات عليها ، وأراد الترشح مرة لولاية ثانية ، ولكنه خسر الانتخابات لصالح بايدن. ***www.britannica.com***

27-حول وجهة نظر ترامب بشان ضرورة إسهام الحلفاء الأوربيين بدفع مبالغ لقاء حمايتهم ينظر:

The Reuters,2 March 2017,Cited in:

https://www.reuters.com/article/us-usa-trump-alliances-idUSKBN16834J

28-ايمانويل ماكرون:سياسي ومصرفي فرنسي ، ولد في مدينة أميان في عام 1977 ، وكان يتبنى الفكر الليبرالي في الاقتصاد ، ويعد أول رئيس فرنسي ينتخب بدون دعم من الاشتراكيين او الديغوليين في عهد الجمهورية الفرنسية الخامسة ، نال درجة الماجستير في السياسة العامة عام 2001 ، تولى مناصب عدة ، وأصبح مقربا من الرئيس الفرنسي هالاند فشغل منصب نائب الامين العام لرئاسة الجمهورية ، وعمل مديرا في بنك روتشيلد ، ولكنه دخل في خلافات معه ، ثم أعلن ماكرون عن ترشحه لانتخابات الرئاسة الفرنسية في عام 2016 ، وفي عام 2017 نال ماكرون ثلثي الأصوات ، وأصبح اصغر رئيس فرنسي سنا (39 عاما) ، شهد عهده قيام مظاهرات شعبية قادتها حركة السترات الصفراء عام 2018 ، بسبب السياسات الاقتصادية التي اتبعتها حكومته .للمزيد ينظر: ***www.britannica.com***

29-The Economist Magazine,7 Nov.2019,Cited in: https://www.economist.com/europe/2019/11/07/emmanuel-macron-warns-europe-nato-is-becoming-brain-dead

The New York Times,7 Nov.2019,Cited In: https://www.nytimes.com/2019/11/07/world/europe/macron-nato-brain-death.html

30-The Wall Street Journal,6 Nov.2018,Cited In: https://www.wsj.com/articles/frances-macron-calls-for-creating-a-european-army-1541528803

31-للمزيد عن اعتماد اوروبا على الطاقة الروسية ينظر:

Richard J.Anderson,Europes Dependence on Russian Natural Gas:Perspectives and Recommendations for s Long-term Strategy,George C.Marshall European

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

Center for Security Studies,Cited in: https://www.marshallcenter.org/en/publications/occasional-papers/europes-dependence-russian-natural-gas-perspectives-and-recommendations-long-term-strategy-0

32-للمزيد من التفصيلات حول اثار جائحة كوفيد على الاقتصاد الاوربي ينظر:

Impact of Covid-19 on the European Union Economy, International Finance, economy Magazine,21 March 2022,Cited In: https://internationalfinance.com/magazine/economy-magazine/impact-covid-european-union-economy

33-CBS News,24 Feb.2022,Cited in: https://www.cbsnews.com/live-updates/russia-ukraine-sanctions-/biden-speech-putin-aggressor

34—CNN News,24 Feb.2024,Cited in: https://edition.cnn.com/europe/live-news/ukraine-russia-news-02-24-22-intl/h_a589721e620ed0f6eeaea0add05b5873

35-سيرجي لافروف:سياسي ودبلوماسي روسي ، ولد في عام 1950 ، درس في معهد موسكو للعلاقات الدولية ، وبدأ حياته المهنية كدبلوماسي منذ عام 1972 ، اذ تقلد مناصب عدة خلال الحقبة السوفيتية ، منها البعثة السوفيتية الدائمة في الأمم المتحدة ، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي أصبح نائبا لوزير الخارجية لروسيا الاتحادية للمدة 1992-1994 ، وسفيرا لبلاده في الأمم المتحدة للمدة 1994-2004 ، ثم عين وزيرا للخارجية الروسية في عام 2004 ، وشغل هذا المنصب لمدة طويلة ، عرف بموافقة المتشددة تجاه السياسة الأمريكية.

https://www.encyclopedia.com/reference/encyclopedias-almanacs-transcripts-and-maps/lavrov-sergey-viktorovich

36-سيرجي شويغو:قائد عسكري روسي ، ولد في مدينة تشادان بجمهورية تيفا السوفيتية السابقة عام 1955 ، أكمل دراسته في الهندسة المعمارية ، وتخرج في عام 1977 من المعهد التقني في مدينة كراسنويارسك ، وعمل في مشاريع كبرى في سيبيريا لمدة خمسة عشر عاما ، ثم عين في عام 1990 نائبا لرئيس لجنة الفن المعماري والإنشاءات لحكومة جمهورية روسيا الاتحادية السوفيتية ، وفي عام 1991 تولى منصب رئيس فيلق الإنقاذ الروسي ، وبين عامي 1991-1994 عمل رئيسا لجنة الدفاع المدني وحالات الطوارئ والقضاء على اثأر الكوارث الطبيعية الروسية ، ثم شغل مناصب عدة منها محافظا لمنطقة ضواحي موسكو في عام 2012 ، وعينه بوتين في العام نفسه وزيرا للدفاع ، وأصبح عضوا دائما في مجلس الامن القومي الروسي ، وعضا في اللجنة الوطنية لمكافحة الإرهاب ، وحمل شويغو لقب ((بطل روسيا الاتحادية)).

https://ar.mil.ru/ar/management/minister.htm

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

37-فالري غراسيموف: قائد عسكري روسي ، ولد في عام 1955 بقازان ، وتخرج في كلية الدبابات العسكرية في عام 1977 في المدينة نفسها ، تدرج في المناصب العسكرية ، منها رئيس اركان فرقة المشاة الآلية في منطقة البلطيق العسكرية ، وبين عامي 1993-1995 اصبح قائدا لفرقة المشاة الآلية في مجموعة القوات الشمالية الغربية ، وفي عام 1997 تخرج في الاكاديمية العسكرية لهيأة الأركان العامة للقوات المسلحة الروسية ، وأصبح رئيسا لأركان المنطقة العسكرية للشرق الأقصى للمدة 2003-2005 ، وفي عام 2006 اصبح رئيسا لأركان المنطقة العسكرية لشمالي القوقاز ، وفي العام التالي عين قائدا لمنطقة لينينغراد العسكرية ، ثم قائدا لمنطقة موسكو العسكرية في عام 2009 ، وعين في عام 2012 رئيسا لهيأة الأركان العامة للقوات المسلحة الروسية ، ونائبا اولا لوزير الدفاع ، ونال لقب ((بطل روسيا الاتحادية)).

https://ar.mil.ru/ar/management/info.htm?id=11113936@SD_Employee

38-Statement on the Decision to Initiate the Expulsion of Russian Diplomats in New York,28 Feb.2022,United States Mission to the United Nations,Cited in:

https://usun.usmission.gov/statement-on-the-decision-to-initiate-the-expulsion-of-russian-diplomats-in-new-york

39--يعد نظام سويفت بمثابة شريان مالي عالمي ، يسمح بانتقال سلس وسريع للمال عبر حدود الدول ، وكلمة سويفت هي اختصار ل ((جمعية الاتصالات المالية العالمية بين المصارف)) ، أنشا هذا النظام في عام 1973 ، ومركز هذه الجمعية يقع في بلجيكا ، ويربط نظام سويفت حاليا 11000 مصرف ومؤسسة في اكثر من 200 دولة. وحذر وزير خارجية أوكرانيا كوليبا ، من ان قادة الغرب ستلطخ أيديهم بالدماء ، إذا مافشلوا في حظر روسيا من نظام سويفت العالمي للمدفوعات ، وانضمت دول عدة لهذه الدعوة ، منها بريطانيا واستونيا ولاتيفيا وليتوانيا ، لان هذا الأمر سيؤثر في قدرة المصارف الروسية في الوصول الى المال بسهولة ويسر ، ولكن هذه الدعوة لاقت معارضة من دول أخرى ، منها المانيا وفرنسا وهولندا ، فضلا عن ان الرئيس الامريكي بايدن قال ان هذا الأمر غير مطروح في هذه اللحظة ، ولكنه سيظل خيارا مطروحا على الطاولة:

BBC News Arabic,25 Feb.2022,Cited in: https://www.bbc.com/arabic/world-60524465

40-Prime Ministers Office,10 Downing Street,Joint Statement on Further Restrictive Economic Measure:26 Feb.2022,Cited in: https://www.gov.uk/government/news/joint-statement-on-further-restrictive-economic-measures-26-february-2022

41-على الرغم من نجاح القوات الروسية في التوغل داخل الأراضي الأوكرانية ، الا ان القوات الأوكرانية تمكنت من إيقاف تقدم تلك القوات ، لاسيما منعها

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

من احتلال العاصمة كييف ، وكبدتها خسائر فادحة. للمزيد من التفصيلات حول تقييم الهجوم الروسي على أوكرانيا خلال المدة 24-27 شباط ينظر:

Mason Clark and Others,Russian Offensive Campaign Assessment,Feb.27,2022,Institute for the Study Of War,PP.1-6, Cited in: https://www.understandingwar.org/sites/default/files/Russia%20Campaign%20Assessment%2027%20FEB%202022.pdf

42-The Guardian,27 Feb.2022,Cited in: https://www.theguardian.com/world/2022/feb/27/ukraine-russia-us-biden-putin-zelenskiy-nuclear-deterrenceorder-talks

43- The Washington Post,27 Feb.2022,Cited in: https://www.washingtonpost.com/world/2022/02/27/airspace-russia-flights-/european-countries-ban

44-للمزيد من التفصيلات حول اتفاقية فيينا لعام 1961 ينظر: ايلين دنزا، اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية :

https://legal.un.org/avl/pdf/ha/vcdr/vcdr_a.pdf

45- Radio Free Europe ,Radio Liberty,28 Feb.2022,Cited in: https://www.rferl.org/a/us-expels-russian-un-diplomats-ukraine/31728946.html

46- The White House,Fact Sheet on U.S.Security Assistance for Ukraine,16 March 2022.Cited in: https://www.whitehouse.gov/briefing-room/statements-releases/2022/03/08/fact-sheet-united-states-bans-imports-of-russian-oil-liquefied-natural-gas-and-coal

47- **الاوليغارشية:تعني حكم الأقلية** ، وهي شكل من اشكال الأنظمة السياسية الحاكمة ، تنحصر السلطة فيها بيد فئة قليلة فاسدة تستهدف حصر ثروات البلد بيدها ، وقد استعمل هذا المصطلح أرسطو للإشارة الى حكم الأقلية ظلما ، لذا تعد الاوليغارشية شكل من اشكال الارستقراطية المنحطة. للمزيد ينظر:

www.britannica.com

48- U.S.Department of Treasury,Treasury Sanctions Kremlin Elites,Leaders,Oligarchs,and Family for Enabling Putin's War Against Ukraine,11 March 2022,Cited In: https://home.treasury.gov/news/press-releases/jy0650

49-للمزيد حول الشخصيات التي شملتها العقوبات ينظر:

Department of State,U.S.Announces Sanctions on Key Members of Russians

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

Defense Enterprise,15 March 2022,Cited in: https://www.state.gov/u-s-announces-sanctions-on-key-members-of-russias-defense-enterprise

50- **ديمتري بيسكوف:دبلوماسي** روسي ، ولد في عام 1967 بمدينة موسكو ، وهو السكرتير الصحفي للرئيس الروسي بوتين ، وينحدر من عائلة دبلوماسية ، اذ شغل والده منصب رئيس البعثة الدبلوماسية السوفيتية في باكستان ، وفي عام 1989 تخرج في معهد دراسات البلدان الاسيوية والافريقية في جامعة مقاطعة موسكو ، وتخصص في مجال التاريخ والدراسات الشرقية ، وفي السنة نفسها عمل في وزارة الخارجية الروسية ، وأصبح من بين الشخصيات الروسية التي طالتها العقوبات الأمريكية ، بعد الغزو الروسي لأوكرانيا في عام 2022. https://www.imdb.com/name/nm2942699/

51- BBC News,16 March 2022,Cited in: https://www.bbc.com/news/world-us-canada-60773626

52- The White House,Fact Sheet on U.S.Security Assistance for Ukraine,16 March 2022.Cited in: https://www.whitehouse.gov/briefing-room/statements-releases/2022/03/16/fact-sheet-on-u-s-security-assistance-for-ukraine

53- Why the US declined to send Ukraine Long-range missiles,tanks,Frances4 News,22/12/2022,Cited in: https://www.france24.com/en/europe/20221222-why-the-us-declined-to-send-ukraine-long-range-missiles-tanks

54- Financial Times,31 January 2023,Cited in: **https://ig.ft.com/us-defence-industry**

55- CNN News,26 March 2022,Cited in: https://edition.cnn.com/2022/03/26/politics/biden-warsaw-saturday/index.html

56-What is behind Putin's demand for Russian gas be paid in roubles?,Cited in: https://www.aljazeera.com/news/2022/4/1/what-is-behind-putin-payment-demand

57-Algebris Investment,Rouble trouble:why the new Russian gas payment scheme matters,Cited in: https://www.algebris.com/esg-policy-research/rouble-trouble-why-the-new-russian-gas-payment-scheme-matters/

58- What is behind Putin's demand for Russian gas be paid in roubles?,Cited in:

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

64-Newsweek,3 April 2022,Cited in: https://www.newsweek.com/bucha-russia-ukraine-massacre-congress-reacts-1694519

65-The Washington Post,3 April 2022,Cited in: https://www.washingtonpost.com/us-policy/2022/04/03/bucha-sanctions-russia-biden

66-US targets Putin's daughters, leading Russian banks in new round of sanction,8 April 2022,Cited in: https://english.elpais.com/usa/2022-04-08/us-targets-putins-daughters-leading-russian-banks-in-new-round-of-sanctions.html

https://www.aljazeera.com/news/2022/4/1/what-is-behind-putin-payment-demand

59- Algebris Investment,Rouble trouble:why the new Russian gas payment scheme matters,Cited in: https://www.algebris.com/esg-policy-research/rouble-trouble-why-the-new-russian-gas-payment-scheme-matters/

60-The Guardian,31 March 2022,Cited in: https://www.theguardian.com/business/2022/mar/31/why-is-vladimir-putin-demanding-russian-gas-is-paid-for-in-roubles

61-Lemonde,1 April 2023.Cited in: https://www.lemonde.fr/en/international/article/2023/04/01/we-will-never-forgive-after-its-russian-massacre-bucha-commemorates-the-anniversary-of-its-liberation_6021388_4.html

62-The Guardian,3 April 2022,Cited in: https://www.theguardian.com/world/2022/apr/03/eu-leaders-condemn-killing-of-unarmed-civilians-in-bucha-and-kyiv

63-Reuter,3 April 2022,Cited in: https://www.reuters.com/world/europe/russia-denies-killing-civilians-ukraines-bucha-2022-04-03

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

بنية الفكر التواصلي في فنون العراق القديم

م. م. عدنان حامد علوان (طالب دكتوراه
جامعة بابل / كلية الفنون الجميلة
أ.د. أطياف علي نجم الخفاجي

Ministry of Higher Education and Scientific Research - University of Babylon
College of Fine Arts/Department of Fine Arts

Foundations of communicative thought in the arts of ancient Iraq
It has been researched in advance

Adnan Hamid Alwan (PhD student)
Prof. Dr. Atyaf Ali Najem

Research Summary:

Communicative thought has been employed in many human fields, and it was an artistic formation among the most prominent of them, as it is not possible to imagine a formative communicative act that is not exclusive in its per formative process to a degree of emotional charge, which was carried in creating intentional motives and in order to influence the reception, and that there are close links between the symbols. The verbal, which is determined by the social subject and who gave color and movement its leadership. This axiom, which is recognized in ordinary life, appears in the performance of the plastic artist with systematic, intentional manifestations in the intervention of communicative thought in its intellectual and aesthetic content. Although it is not empty, it is presented as another alternative that results in a defect in the communicative artistic message with The recipient, from this standpoint, the researchers relied on the topic of his research titled (The Structure of Intellectual Communication in the Arts of Ancient Iraq), The study came about by the researcher addressing the research problem and reviewing it as it is related to the structure of communicative thought, which occurs through the performance of the ancient Iraqi person in general and the artist in particular. It does not differ from his social pattern and the logic of the life

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

he lived, and therefore he relies in the methods of communicating it on its dramatic dimensions, which may cause a defect in His communication with the community at that time, and the researcher concluded his research with a set of indicators that benefit the analysis, leading to the analysis of the research sample, which consisted of five models To reach the results, the most important of which are:

1- The basis of communication in ancient Iraqi art works on the axis of simulation, and this is represented through direct and indirect communication that the artist broadcasts in conveying a special message.

2- Religion is considered one of the important matters that plays a decisive role in shaping the communicative thought of ancient Iraqi people.

3- Myth formed an important part in establishing thought through its interaction with society regarding people's ideas. These epics must be integrated into artistic achievements that distinguish myth as a communicative discourse.

ملخص البحث:

لقد وُظف الفكر التواصلي في ميادين إنسانية كثيرة وكان الفن التشكيلي من أبرزها، حيث لا يمكن تصوّر فعل تواصلي تشكيلي لا ينتمي في صيرورته الأدائية على قدر من الشحنة الإنفعالية، والتي تحمل في ذاتها دوافع قصدية ومن أجل التأثير في المتلقي، وإن ثمة روابط وثيقة بين المرموز اللفظي الذي يحدده الموضوع الاجتماعي وبين المُعطى اللوني والحركي المرافق له، هذه البديهية المُسَلمة في الحياة الاعتيادية تَظهر في أداء الفنان التشكيلي بمظاهر ممنهجة قصدية فيتدخل الفكر التواصلي في صلب مضمونها الفكري والجمالي، وان أية مسافة بُعدية تُطرح كبديل آخر يترتب عليها خللاً في رسالة الفن التواصلية مع المتلقي، من هذا المنطلق استند الباحث في تأسيس موضوعة بحثه الموسوم (بنية الفكر التواصلي في فنون العراق القديم)، حيث جاءت الدراسة بتناول الباحث لمشكلة البحث وإستعراضها بكونها مُتعلقة ببنية الفكر التواصلي والتي تحدث من خلال أداء الانسان العراقي القديم عموماً والفنان خصوصاً، فهي لا تختلف عن نسقه الاجتماعي ومنطق الحياة التي عاشها، وبالتالي يستند في طرق توصيلها إلى أبعادها الدرامية مما قد يُحدث خللاً في تواصله مع المجتمع آنذاك، وختم الباحث بحثه بمجموعة من المؤشرات التي تفيد التحليل، وصولاً إلى تحليل عينة البحث التي تألفت من خمسة نماذج، للوصول الى النتائج ومن أهمها:

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

1- ان بنية الفكر التواصلي في الفن العراقي القديم تعمل على محور المحاكاة، وقد تمثل ذلك من خلال الخطاب المباشر وغير المباشر الذي يبثه الفنان في نقل رسالة معينة .

2- يعتبر الدين من الأمور المهمة والتي لعبت دوراً مهماً في تشكيل الفكر التواصلي لدى الانسان العراقي القديم .

3- شَكَلت الأسطورة جزءاً مهماً في بنية الفكر التواصلي من خلال تفاعلها مع المجتمع وتأثيرها على افكار الناس فكان لابد من تضمين تلك الملاحم في المنجزات الفنية التي اعتمدت الأسطورة كخطاب تواصلي .

مقدمة

إن الفن هو الوسيلة المثلى التي عبر بها الإنسان العراقي القديم عن احتياجاته، وعن الأفكار والمعاني أو الانفعالات التي أحسها إزاء العالم الخارجي، وهو غالبا ما كان بمثابة بديل للحياة، أو بالأحرى يساهم في التواصل ويمنح معنى للحياة، ويسهم في إعطاء الإنسان بعداً روحياً في العالم المُعاش، لذا انصب اهتمام الإنسان منذ القدم بالبحث عن القواعد العامة، التي يستطيع من خلالها إخضاع الظواهر الطبيعية البيئية لصالحه الخاص، مولداً بذلك انطباعاً خاصاً يدفع الى التواصل معها والوقوف على النتاجات الفنية التي تعبر عن البنية الفكرية التي يحملها، وقد آمن الإنسان العراقي القديم بأمور عديدة، كان قد تقبلها وتفاعل مع طقوسها بصياغاتها التكوينية وقد ساعدته على ذلك بيئته المتنوعة والعوامل التاريخية من اجل الإسهام في بناء الحضارة العراقية، فإن التنوع الكبير في الحضارات والتحولات والإشكالات التاريخية التي رافقت تلك الحضارة، كان لها الدور الكبير في رسم خارطة التاريخ ومعه خارطة فنون العراقي القديم، ولعل من الفائدة الكشف عن التمايزات المنظورة من خلال التعرف على الفكر التواصلي في تلك الفنون، فقد كان هذا الفكر يحملُ أفكاراً عديدة واستخدم رموزاً كثيرةً محققاً بذلك حركة شملت جميع نواحي الحياة، ومع التطورات التجارية مع البلدان الأخرى كانت هناك دعوات لوفود بعض المعتقدات الجديدة وعلى اعتبار أن الفن العراقي القديم نتاج تواصل (تأثير وتأثر) مع الآخر فإنَّ مفهوم التواصل يحمل في ثناياه إشكالية معرفية تزيدنا وعياً بمدى تغلغل بعض الأفكار القديمة في وقتنا الحالي، فهل نحن أمام بناءات مشيده وفق مبدأ التواصل أو اللّا تواصل؟ وهل نحن أمام مفهوم التوازي ما بين التصورات القديمة والجديدة؟ لذا يلخّص الباحث مشكلة البحث الحالي في التساؤل التالي:

(ماهي بنية الفكر التواصلي في فخار العراق القديم؟).

ثانياً: أهمية البحث والحاجة إليه:

1 - إعطاء فكرة عن السياق والوعاء الثقافي الذي أدى إلى تطور فنون العراق القديم.

2 - تقصى أوجه التواصل للفن العراقي القديم بصوره ترسم معالمه وبتفصيل دقيق ومن ثم ربط ذلك بمفهوم التواصل.

3- معظم البحوث في هذا المجال قد تطرَّقت الى تاريخ ذلك النشاط بأسلوب تقليدي، بينما تحاول

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

هذه الدراسة الى أنْ توصل بين الحلقات الانتقالية من خلال التحولات والثوابت التي تعتمد عليها آلية التواصل.

4- رفد المكتبات العلمية والفنية بدراسة جديدة تنفع الطلبة الباحثين.

ثالثاً: هدف البحث:

تعرّف بنية الفكر التواصلي في فنون العراق القديم.

رابعاً: حدود البحث:

- **الحدود الموضوعية:** الأعمال الفنية (نحت – رسم جداري - فخاريات) .
- **الحدود المكانية:** العراق القديم .
- **الحدود الزمانية:** (6750 – 539 ق.م) .

خامساً: تعريف المصطلحات:

أولاً: البنية (لغةً)

- ورد في المعجم العربي الأساس بأن البنية هي جمع بنى: ما بني، والبنية جمع بنى: هيئة بناء[1] .

- أما (صليبا) فيعرفها بأنها البنيان أو هيئة البناء، وبنية الرجل فطرته، تقول فلان صحيح البنية[2] .

(اصطلاحا)

- البنية هي الهيكل الثابت للشيء ويرونه على انه التركيب والصياغة ومن هنا جاءت تسميتهم للمبنى وتم استخدام هذا المصطلح عند العرب للدلالة على التشييد والبناء والتركيب[3] .

- عرفتها (جوليا كريستيفا): بأنها مجموعة من المعطيات اللسانية تملك بنية في تكوين نسق منظم من القواعد التي تصف العناصر والعلاقات التي تربط بين العناصر[4] .

كما عرفها (بياجية) بأنها نظام من التحولات، يتضمن قواعد خاصة كنظام ، بمعنى انها تختلف عن خصائص العناصر المكونة لها[5] .

ثانياً: الفكر (لغةً)

- تم تعريف (الفِكر) في المعجم الوسيط بأنه تصفية الأمور وبحثُها للوصول إلى حقيقتها، و(فكر) بمعنى إعمال العقل في الشَّيء، وترتيب ما يعلم ليصل به إلى مجهول، كما جاءتْ بمعنى إعْمال الخاطر في الشَّيء[6] .

- وقد ورد عند (الرَّاغب الأصفهاني) بأنَّه: قوة مُطردة للعلم إلى معلوم، وجوَلان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يمكن

---

[1] - العابد، أحمد وآخرون، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس، 1989، ص177.

[2] - صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1971، ص217.

[3] - فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الادبي، ط3، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1987، ص175

[4] - كريستيفا، جوليا، اللغة العربية (التصوير)، تر: بنيونس عميروش، مجلة نوافذ، السعودية، 1999، ص102.

[5] - بو حسن، أحمد: مدخل الى علم المصطلح (المصطلح النقد العربي الحديث)، العدد11، مجلة الفكر العربي المعاصر (مجلة فكرية)، مركز الاتحاد العربي، بيروت، 1978، ص45.

[6] - أنيس، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ج2، ط2، المكتبة الإسلامية إستنبول، تركيا، 1975، ص698.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

أن يُقال إلاَّ فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلْب[1].

(إصطلاحاً)

- عرفه (ابن سينا) على أنه المعنى الكيْفي للفكر المتمثّل في حركة الذّهن للانتقال من المعلوم إلى المجهول[2].

- كما عرفه (الجرجاني) قائلاً: الفكر هو ترْتيب أمور معلومة لتؤدِّي إلى مجهول[3].

ثالثاً: التواصل (لغةً)

وَصَلَ: وَصَلَتْ الشيء وصلاً وصلةً، والوصل ضد الهجران، وفي التنزيل العزيز (لقد وصّلنا لهم القول){**القصص51**}، أي وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى بعضها ببعض لعلهم يتذكرون، والوصلة هي الاتصال، والوصلة ما إتصل بالشيء[4] بالشيء[4].

قال الليث: كل شيء إتصل بشيء فما بينهما وصلة، والجمع وَصْل ويقال: وَصَلَ فلان رحمه، أي يصلها صلة ووَصَلَ الشيء الى الشيء وصولاً، وتَوَصَل إليه: أي إنتهى إليه وبَلَغَهُ وواصَلَ حَبْلهُ كوَصْلِه[5].

(إصطلاحاً)

- التواصل يعني استمرار العلاقة المتينة بين اثنين أو بتعبير آخر انفتاح الذات على الآخر في علاقة حيَّة لا تنقطع حتى تعود من جديد[6].

- وقد عرفه (يورغن هابر ماس): بأنه "ذلك التفاعل المصاغ بواسطة الرموز وهو يخضع ضرورة للمعايير الجاري بها العمل والتي تحدد أموراً مختلفة من انماط السلوك المتبادل، على أساس ان تكون مفهومة ومعترف بها بالضرورة من طرق ذاتين فاعلين على الأوَّل[7].

التعريف الإجرائي (الفكر التواصلي):

هو عملية تفاعل أو مشاركة في المحتوى الفكري، بين طرفين (المرسل والمستقبل)، أو أكثر ضمن (بنية المنجز الفخاري العراقي القديم)، بجوانبه الفكرية والتقنية والشكلية، وهو نقل الافكار والتجارب وتبادل المعارف والمشاعر بين الذوات والافراد والجماعات، وقد يكون هذا الفكر ذاتياً شخصياً، ينبني على الموافقة أو على المعارضة والاختلاف، وبالإمكان وصف الفكر التواصلي بأنه تبادل فكري بين طرفين أو أكثر (نقلاً وإعلاماً مرسلاً ورسالة ومستقبلاً وشفرة يتفق في تسنينها كل من المتكلم والمستقبل وسياق مرجعياتها وقصدية الرسالة).

---

[1] - الأصفهاني، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار العلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، 1992، ص83.

[2] - الوراق، عبد الله: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، 1996، ص61.

[3] - صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، مصدر سابق، ص77.

[4] - أنيس، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، مصدر سابق، ص742.

[5] - الأنصاري، ابن منظور: لسان العرب، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، 1972. ص316- 318.

[6] - العايد، احمد وآخرون: المعجم العربي الأساسي، مصدر سابق، ص602.

[7] - مذكور، أبراهيم: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص149.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

المبحث الأول (مفهوم التواصل)

يُعد التواصل من المجالات التي أصبحت تكتسب أهمية قصوى في الآونة الاخيرة نظراً لاكتساحه كل مظاهر الحياة الإنسانية، عبر اللغات المنطوقة والإيماءات والحركات والطقوس والعادات والتقاليد والصور، الى الحد الذي أصبح فيه التواصل يشكل فلسفة العلوم الحديثة، ويجاذب مفهوم التواصل حقول بالغة التنوع، تكاد تشمل كل النتاج الانساني فكل ما يمكن ان يشتغل كرابط بين الانسان ومحيطه، وكل الاشكال الثقافية التي تتحدد من خلال هوية الافراد، يمكن النظر اليها كوقائع إبلاغيه تندرج ضمن حالات المجتمع الإنساني، ومن هذا المنطق فأن الممارسات الانسانية لا يمكن النظر اليها الا من خلال رغبة الكائن في التواصل مع الاخر، وبالتالي فمجموع ما ينتجه الانسان عبر لغته وإبداعه وطقوسه يندرج ضمن صيرورة تواصلية لدرجة تجعل الثقافة كلها ضرورة تواصلية[1].

إن التواصل هو الحيز الذي تتواجد بواسطته العلاقات الانسانية وتتطور، ويتضمن جميع رموز الفكر ووسائل ارسالها عن طريق المكان وبتدعيم الزمان، وقد يتضمن تعابير الوجه والاتجاهات والحركات ونبرات الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات وسكك الحديد والتلغراف والتليفون، وكل ما يسير نحو اتمام اكتشاف الفضاء والزمن، لذا يمكن عَدْ التواصل المبدأ الأساسي في التنظيم الاجتماعي، الذي يؤدي الى المشاركة مع الآخر، وهذا يتطلب أن يُظهِر الآخر استعداداً، وتكون هذه المشاركة ممكنة بواسطة نوع التواصل الذي يحققه الانسان، وقد ارتبط مفهوم التواصل مع التغيير من خلال طرح بعض الافكار وهي (علاقة التواصل والتغيير بالزمن، والحقبة الزمنية التي يحدث فيها التواصل والتغيير، وعلاقة التواصل والتغيير بمفهوم التعاقب)، فعملية التواصل نابعة من المجتمع وقائمة على ابداء الاستعداد للمشاركة، وبالتالي تكون قائمة على وجود قطبين أو ذاتين فاعلين على أقل تقدير، ومن ثم يتخذ التواصل شكلاً أكثر اتساعاً عند اجتذابه للتاريخ والزمان لبنيته الأساسية، كما إن العلاقة ما بين التواصل والتعاقب لابد ان تُفهم عن طريق المرور بالتزامن، اذ أن ثمة تداخلاً بين المتعاقب والمتزامن[2].

إن البنَى الفكرية بنَى متغيرة ومتعاقبة لكنها تتبع نمطاً معيَّناً، فالتعاقب هو استمرار البنية نفسها التي تتعرض بسبب تهدم عنصر من عناصرها إلى خلل، ثم لا تلبث أن تستعيد نظامها، وهذا يعني أن ثمة مجالاً دائماً للحرية والفوضى، والانتصار والانكسار، ومن يؤمن بالتزامُن فهو يؤمن بالثبات والجمود وكأن الشيء الوحيد الحقيقي هو (المُثُل الأفلاطونية)، وأن الواقع ما هو إلا انعكاس خافت لها، ومن ثم يكون البحث عن الثابت دون المتحول، وهذه العلاقة بين فكرتي (التواصل والتغيير)، تكون بالاعتماد على تفسير الاشياء وبقائها على حالتها (استمرارية، امتداد الى الامام)، وعدم وجود انقطاع فهي هنا متواصلة وفي حالة

---

(1) بنكراد ،سعيد، السيميائيات والتأويل (مدخل للسيميائيات)، مؤسسة تحديث الفكر العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص22.

(2) هاوزر، ارنولد: فلسفة تاريخ الفن، تر: رمزي عبده جرجيس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص 22.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

وجود انقطاع، فهي تتغير والزمن هو الكفيل في حدوث تلك التغيرات أو عدم حدوثها، وحينما وجد الانسان نفسه في أحضان الطبيعة محاطاً بكهوفها وجبالها ودار بصره في أنحائها ولم يجد له منصرفا عنها، حينئذ حثته نفسه بالتعامل والتفاعل معها وصولاً الى التماهي مع تلك الطبيعة، فحتى رسوم الكهوف التي ابتدعها انسان العصر الحجري القديم قد ارتبطت بالشعور ذاته وبحالة من التفوق والأمان، وبهذا الفعل فأن مفهوم انتاج شيء من لا شيء من خلال انطباع اليد فعلياً هي إشارة أولية لفكرة الخلق وإمكانية صنع شيء بلا حياة مشابها للأصل الحقيقي، وبالتالي تُعد هذه الرسوم أول صورة عن التواصل فهي تمثل تشبيه للأشياء في الواقع ومحاكاتها، وقيادة تفكير الانسان بالوعي الجمعي الذي يربطه بالأشياء من حوله [1].

إن رغبة الانسان في أن يشعر الآخرون بوجوده أمر يسبق الكتابة نفسها، فأول من مارس الكتابة هو انسان العصر الحجري الذي سجل وجوده على جدران الكهوف حيث اخترع الانسان نوعاً بدائياً من الرسم بالرذاذ، حيث كان يملأ فمه بالأصباغ ثم يطلقها على يديه ويطبع صورتها على الجدران وربما كان ذلك نوعا من الطقوس، ويمكن تفسيرها بأنه نوع من التوقيع الشخصي وإعلان عن وجود صاحبها ومهما كان السبب وراء طباعته للكف على الجدران، فقد كانت ذات طابع قدسي ديني أو طرد للأرواح الشريرة، فهو نوع ما يؤكد شخصيته في مدار تقبله للأشياء ورفضها، وشكل في التعبير الصامت مالم يتمكن الابلاغ عنه مباشرة، وقد إختلفت الضرورات المعيشية وطرق التعبير عنها، فكانت الإشارات التي تحدث خارج منظومة اللغة المنطوقة، فهي لغة ناطقة بغير اللفظ والمثيرة بغير اليد، أي أن الجماد والسكون وكل شيء في الطبيعة والكون، يعبر عن نفسه بإشارة من جنسه لأنه متى دل ذلك على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتاً وأشار إليه وإن كان ساكناً، وهذا يعني أن الهيئة أداة تواصل تحمل رسالة صامتة أو خطاباً بالحال [2].

إن الفن بوصفة لغة يملك الكثير مما يسري على أنظمة الاتصال الأخرى كافة، فالرموز تخرج في علاقات تركيبية لإنتاج نظائر لمزيد من التجربة الإنسانية، وغالباً ما تكون هذه الرموز وتنظيمها قائمة على تقليد سابق، لكنها أيضاً تكون نتيجة محاولة الفنان لإيجاد وسيلة لإيصال تلك الأوجه، من تجربته التي يتعذر عليه التعبير عنها باللغة المرئية الموروثة، فهناك سعي دائم منه لخلق نظائر بصرية تعبر عن عالمه الداخلي وعن وعيه بالعالم، وإن الثقافة تقوم بحماية المجتمع، فالمبدعات الروحية والتقاليد والموضوعات والأنظمة الاجتماعية الراسخة، ليست إلا وسائل للتنظيم الاجتماعي، فلكل من الدين والفلسفة والعلم والفن، دوره من أجل الحفاظ على المجتمع، وإن استقلال الانسان عن تماهيه مع الطبيعة أكد إحساسه بأنه كائن مستقل وقادهُ ذلك الاحساس الى الشعور بإنسانيته والبحث عن التماثيل الإنسانية من أجل

(1) ناثان، نوبلر: فلسفة الاتصال في الفن، تر: فخري خليل، مجلة بيت الحكمة، دراسات فلسفية عدد 1، كانون الثاني، 2000، ص 75.

2- فؤاد، زكريا، افاق الفلسفة، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1988، ص15-16.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

تحقيق وجوده وكينونته المستقلة عبر التواصل مع الآخر، حيث يذهب (ياسبرز) الى حد إقتران الوجود بالتواصل، ولا وجود إلا بوجود تواصل لأن الوجود هو تواصل واعي يوجد بوجود الانسان بصفة الكائن (الفاعل والمؤثر) في ذلك التواصل من أجل تحقيق الأنا قبل الآخر، ومع تلك الرسوم كانت محاولات الانسان ومنذ القدم الى تحقيق صيرورة مع تلك الحياة والطبيعة فالأدوات الحجرية الأولى هي إنجاز تكنولوجي ونفعي معاً، وإن كل اختراع هو اقتطاع قطعة من المجهول وتكيفها بشكل حسب الحاجة وتصبح ذات وظيفة نفعية، وهنا تأتي محاولة لتحديد آليات الفِكر القديم حيث إن الفِكر يرتدي شكلاً ما أي إنه فِكر متعين ويتجلى في نتاجات بشرية، فإنها مسألة تقوم على أساس التكوين البشري أصلاً والذي يستمد كل الاشياء من الفِكر[1].

قد يتخلل الفكرة محاولات قام بها الانسان منها اللغة فهي تمكننا من تواصل أفكارنا والتنسيق بين النشاط العملي والفني، عند الانسان فتكون اللغة إحدى وسائل النقل المميز للاتصال الرقيق، حيث يرتبط التواصل هنا بالتعبير، أي انتقال المضمون التعبيري بين فاعل وقابل حيث يكون القابل فاعل آخر وفي مستوى تخاطب الأنا مع الاخر تقوم علاقة مقبولة بين الطرفين، ويكون التواصل سهلاً عندما يكون التعبير جديداً وممكناً أو عادياً، أما المفهوم اللغوي للتواصل فيعبر عنه (هايدغر) بأنه أنطولوجيا بصورة تعبير موازي، حيث يقول ينبغي فهم ظاهرة التواصل في معنى واسع وانطولوجي، فالقول الذي يسمح مثلاً بنشر بلاغ او بإعلان صحيفة إخبارية، ليس إلا حالة خاصة من حالات التواصل فهو يحسن المشاركة في الشعور العام بالوضعية، وفي فهم الوجوه مع الآخرين، فليس من مهمة التواصل نقل انطباعات وآراء وما الى ذلك من ذات اخرى، إن التواجد في جوهره يكون منذ البدء دوماً وسلفاً جلياً في الشعور العام بالوضعية وفي الفهم المشترك، والوجود مع الآخر في الخطأ سيكون متقاعساً، والحال أنه لم يدرك بعد ولم يرفع الى مستوى الامتلاك مادام لم يعرض بعد للتقاسم، وهنا تبرز أهمية التواصل في المجتمعات بصورة عامة، وكذلك فإن الهدف من الأغاني والرقصات والاحتفالات المركبة أن تقوم بين المشاركين وأن تضعهم على الخطوات والايقاعات نفسها بينما يكون مضمونها الدلالي ثانوياً[2].

أن حركة الانسان الإنفعالية هي أقدم وسائل الإتصال فمثلاً أن الرقص هو أصل كل اللغات وبذلك يؤكد أن كل نوع أو نظام من اللغة ، قد تفرع من لغة اصلية تعتمد على ايحاء كل اجزاء الجسد وهذه اللغة الاصلية ينبغي ان تكون لغة تتوافر فيها كل حركة أو سكنه تحدث لكل جزء من أجزاء الجسم نفس الدلالة، وقد تكون اولى اللغات هي الصور المطبوعة على جدران الكهوف والتي خلقها الانسان الاول كوثيقة يعتمدها، وإن المعطيات التي تُحَدِد التواصل هي المشاركة فيه وقد يتم بصيغ عدة منها ما هو لفظي وما هو غير لفظي،

(1) ريد، هربرت: الفن والمجتمع، تر: فارس ظاهر، دار القلم، بيروت، 1975، ص 55.

(2) بيير، جيروم: علم الاشارة (السيميولوجيا)، تر: منذر عياش، دار الانماء للدراسات والنشر، سوريا، 1992، ص41.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

واللفظي منه تكون أداته اللغة ويتحقق فيه مخطط السيميولوجيا (مرسل– رسالة– مرسل اليه)، أما غير اللفظي فهو يخضع لأدوات عدة ومن ثم تطبيق سيميائية التواصل علية، وإن التواصل غير اللفظي لا يهدف الى ايصال شيء ما، أو تبليغ فكرة أو تعبير عن رأي او موقف، بقدر ماهي طريقة لتعبير الاختلاف الاشكالي، الذي تختزنه الأقوال التواصلية وطريقة لتقريب المسافات بين الآراء والمواقف، أو أنها طريقة لطرح أسئلة تقتضيها الظروف والمقامات التواصلية في الوقت نفسة خصوصاً اذا كان الجواب والسؤال مطلوبين داخل السياق[1].

ويعود الفضل في ميلاد علم السيميولوجيا وارتباطها بمفهوم التواصل إلى العالم اللغوي (دي سوسير) والفيلسوف الامريكي (تشارلز بيرس)، وكل منهما درس أنظمة العلامة بحسب منظاره الخاص، فكلمة إنسان برأي (سوسير) يمكن أن تلفظ بطرق صوتية مختلفة، ويمكن كتابتها بخطوط مختلفة لكن تبقى واحدة فلا علاقة مباشرة للغة بالأشياء الخارجية فالمدلول صورة ذهنية تنتمي الى العلاقة اللغوية، وليس للشيء الواقعي الموجود خارج اللغة، فقد أعتقد (سوسير) أنَّ الكلام هو صورة اللغة التي تظهر على السطح، وكان إعتقاده مبني على أساس فكرتين، الأولى فكرة (أفلاطون) عن المثال والصورة، والثانية نظرية (فرويد) في اللاوعي من حيث تجسيد الصورة والأشكال في اللاوعي، فقام بتعضيد تلك الثنائية على ثنائية أخرى هي التجريد (مثال) والواقع (صور)، فأكتشف أنَّ اللغة نتاج يمثله الفرد بطريقة اعتباطية، أي أن صورها تظهر في أشكال فردية ولا تجسد النظام اللغوي الذي تخلقه تقاليد لغوية اجتماعية غير مرئية، وإن الصورة السمعية التي صورها (سوسير) من خلال تحاور شخصين يتواصلان بالحوار عن طريق تصورات متوالية من الأصوات، حيث يُطلق المتكلم (المرسل) الى المخاطب (المتلقي) فتتحول لديه بشكل مفهوم ذهني وتتفق عليه اجتماعياً[2].

ويرى الباحث إن التواصل مع الآخر يُعد أمراً صعباً فوسيلة التفاهم بين الناس هي اللغة، لكن الفاظ اللغة هي اشارات وصفية أي رموز، وليست مشابهة للأشياء المفروضة، علماً أن ما هو مدرك بالبصر ليس مدرك بالسمع والعكس بالعكس وما هو موجود خارجاً عنها مغاير للألفاظ، فنحن ننقل للناس الفاظاً ولا ننقل لهم الأشياء فاللغة والوجود دائرتان مختلفتان، وأن فكرة التفاعل وربطها بفكرة الزمان والمكان لا يتم فيها التواصل إلا بعد تفاعل الأطراف عبر هذا المجال أو ما يمكن تسميته بالمجال الاجتماعي، فالحقل الدلالي للمضامين الثقافية والزمن التاريخي، اللذان يشكلان الأبعاد التي تتطور فيها الأنشطة التواصلية، أي أن التفاعلات التي تُنتج شبكة الممارسة التواصلية اليومية، وتكون الوسط الذي من خلاله تتم إعادة إنتاج الثقافة والمجتمع والشخص وهذه العمليات تتعلق بالبيئات الرمزية للعالم المعاش، بمعنى أنها تحصل

(1) مانفريد، فرانك، حدود التواصل، تر: عز العرب، الحكيم بنائي، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص 88 .

(2) فرينالد، دي سوسير: محاضرات في الالسنية العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، منشورات دار نعمان للثقافة، بيروت، 1984، ص30-31.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

بشكل مختلف عن العمليات التي تتم على صعيد النشاط الفني .

المبحث الثاني (بنية الفِكر في العراق القديم)

لقد شهدت بنية الفكر في العراق القديم تحولات معرفية كبيرة، بدأت من علاقة الانسان بالموجودات من حوله، وصولاً الى فلسفة علاقته بتلك الموجودات فقد نَمَت العلاقة بينه وبين الطبيعة من حوله، ومن هنا نبعت جملة من الآليات لتحقيق تلك العلاقة مع الوجود وتفسيرها انسانياً وكان لهذه العلاقة الأثر البالغ في صياغة أفكاره الأولية، فقد نَظَر الى السماء والنجوم نظرة اندهاش أثارت انتباهه وحركت احساسه مما دفعه الى حب الاستطلاع وادراك ماهيات تلك الظواهر، فكانت البداية مع الخرافة ومن ثم السحر والاسطورة وصولاً الى الدين والفلسفة الممنهجة التي أثرت في بناء أفكاره، وقد يُنظر الى الأسطورة من حيث هي قصة أو رواية من نسج الخيال تتناول سيرة الآلهة أو الأبطال فهذا التناول القصصي كان تواصلاً إعتمدته البنية الفكرية القديمة من خلال الخطاب السردي، أما الفلاسفة فمنهم من ينظر الى الأسطورة كتعبير عن وعي الانسان الأول بالوجود، ومهما تباينت علاقة الفلسفة بالأسطورة فهناك رأي قائل بأن الفلسفة هي (محاولة لتحديد علاقة الإنسان بالوجود)، ونقطة البداية في تحديد هذه العلاقة وهي فكرة الإنسان عن نفسه كي يستخلص معنى وجوده ومعاني الوجود من حوله، وهذا يعني وصول الانسان الى مرحلة التفكير المنظم، وإن بنية الفكر قد نشأت بمجرد ما أستطاع الانسان العراقي القديم أن يمارس وظيفته بوصفه كائناً ناطقاً، يتعقل وجوده ويحدد علاقته بالعالم والاخرين، كما أسهمت الفنون التي مارستها المجتمعات في خلق الوعي بالبيئة الاجتماعية التي كانت المعين الذي تستقي منه الفنون موضوعاتها وخبراتها الجمالية والفكرية عن طريق الخبرة الحسية، إذ إن الخبرة الحسيه وحدها يمكن الوصول بها إلى عالم اليقين بالأشياء[1].

وقد أدت الظروف الاجتماعية والبيئية والفكرية إلى تحديد اتجاه المنجز الفني حسب التحول المكافئ لها في صياغة نتاجه الفني وطرحه للأسلوب، ولمعرفة البنيه الفكرية العراقية القديمة، وما يرافقها من تحولات لابد لنا من العودة إلى بدايات تأثر الفن والمجتمع بها، إذ بعد تحول بنية المكون الانساني من مكون فردي الى مكون اجتماعي ومن حالة الفرد إلى المجتمع وظهور التجمعات السكنية، نلاحظ إن البيئة الجديدة وعلى وفق الضغوط الاجتماعية قادت الى تحول فكري وفني، وقد كان للظروف الطبيعية المحيطة للإنسان القديم أثرها البارز في مجمل حياته وتفكيره وتوجهه صوب قضية الطبيعة، مما دعته لشحن تفكيره بغية الوصول الى أسس قادرة على خلق بنية فكرية قادرة على التواصل عبر الزمن من خلال المنجز الفني، ويُمكن القول بأن طبيعة الديانة بدايةً إتسمت بالصيغة المادية في مراحلها الأولى حيث كانت الحاجة ماسة الى الطمأنينة، ولمواجهة الأخطار التي تولدت لدى الفرد في مخاوفه تجاه الكثير من الإشكالات التي كانت تحيطه، لذلك إتجه الى إيجاد تجمعات تضمن له القوة، وبدأ بالتواصل ونقل

(1) مطر، أميرة حلمي: فلسفة الجمال، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988، ص7.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

أفكاره الى الآخرين، والاستفادة من أفكار المجتمع التي طغت عليها الخفايا المجهولة، إذ لابد من أن يكون للمجتمع وجود ميتافيزيقي يشد حنين الفرد وتطلعاته إليه، ويكون فيه أخلاقية طبيعية تسهر على التعاون وتدفع للإسهام في البناء الاجتماعي أقوى من دافع الحاجة والوجود المادي، وعليه سيكون هذا الوجود الميتافيزيقي هو أساس ما عاشه الفكر القديم، من بناء نظام لاهوتي قادر على أن يكون الضامن للشد الاجتماعي، من خلال خلق معتقد منظم يصل الى حدود المخاطبة ومطابقة العقل بصورة كافية لكل ما هو سوي، مستعيناً للوصول الى الامتداد في الحضور وإبراز أشكال وهمية في معاونته للاقتناع بهذا وربما يكون الشك والقلق والخوف العميق من تلك الظواهر وما تفعله من ممارسات، فقد كان الانسان يراقب آلياتها ويشعر بضعفه ووهنه تجاهها، وهذا سبباً منطقياً لأن يؤلهها [1]. كما في الأشكال (1،2،3)

ومنذ أن ولد الانسان على هذه الارض كان ينظر الى السماء بدهشة عالية، وستبقى تجذب انتباهه بغموضها وبعدها ونظامها، فكل ما تحمله تلك السماء من زرقه شديدة ونجوم مضيئة وشمس ساطعة، لم يكن غريباً في أن تتوج بالآلهة، فالسماء بانتظامها حازت على التقديس بفعل ما تبثه من الشعور بالقوة والهول، فهي تمثل بُنية فكرية خاصة تحمل فكرة البعيد الذي لا يمكن الوصول إليه، فالطبيعة بكل ما تحمله من مظاهر وكيفيات، كانت واجبة العبادة والتأليه، وعلى هذا الامر تأسست بنية الفكر التواصلي في الفن العراقي القديم، فالإنسان آنذاك لم يكن بأحسن حال من ذلك، وكان يمر بتواصله من حال السحر الى حال التأليه لقوى الطبيعة، واذا كان قد وجد في معتقده الجديد بعض السلوى، فمن الصعوبة الافتراض بأنه قد غادر تماماً مناطق الشك والريبة وعاش مطمئناً، فقد كانت مواضيع التأليه للطبيعة ذاتها منبعاً لشكه وريبته، من خلال ما يلاحظه من إزدواج في الفعل الالهي عنده، فالفضيلة سمة اساسية لابد أن تحوزها الآلهة، والشر أمرٌ لا يمكن نسبته اليها[2].

إن ما يُثير وجدان الإنسان العراقي القديم هو ذلك الفعل التواصلي الذي يجد فيه الآلهة، والتي منحها فِكره وأولاها طاعته باعتبارها رمزاً للصلاح، وهي ذاتها التي تكون مصدراً للتواصل مع المجهول من خلال التقرب منها، فنجد إن العلاقة حينذاك بين الانسان والطبيعة، لها الأثر البالغ في صياغة أفكاره الأولية فيما يخص الإله والألوهية بشكل عام، ففكرة عبادة الطبيعة من حيث هي جدل مستمر قادت بنية الفكر العراقي القديم نحو القوى التي تؤثر مباشرة على الحياة في هذا العالم أو العالم الآخر، مما يجعل لمفهوم عبادة الطبيعة وألوهيتها تواصلاً مستمراً تبعاً للضرورات الحياتية التي يواجهها، وبدأ بتحويلها الى منجزات فنية (عفوية أو قصدية)، الهدف منها تحرير أفكاره وهذا يعني بنية فكرية تواصلية مع كل ما يدور من حوله، وقد يكون السحر هو أولى الأفكار التي

(1) الحوراني، يوسف، الانسان والحضارة، ط2، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، 1973، ص 7.

(2) احمد، مُحَمَّد خليفة حسن: الاسطورة في التراث الشرقي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988، ص22.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

تولدت لدى الانسان العراقي القديم كوسيلة تواصل، وحينما وجد إن الطبيعة التي اعتقد بداية إنها طوع بنانه قد باتت بعيدةً عن إرادته، من أجل الوصول إلى أسس قادرة على خلق التواصل، ابتكر فعاليات مستنبطه من الصورة الذهنية، فتَوَلَدت نتيجة ذلك مجموعة من الممارسات السحرية، ثم الدين والعِلم حسب تقسيم (فريزر)، وقد يكون السحر في نظر الفكر العراقي القديم هو فن، فأنه يعتبر وسيلة مادية لبلوغ وإظهار قوى روحية، بل وإدخالها عالم الحس من خلال إقامة اتصال بين تلك الحقيقتين اللتين تتنازعان في الإنسان، الحقيقة المادية التي يستشعرها جسمه، والحقيقة اللامادية حيث تحيي الافكار الذهنية، فالفن يعطي لهذه مظاهر تلك ويمزجها[1].

وقد شكل السحر آلية مهمة من آليات التفكير في العراق القديم، وأصبح أداةً من أدوات تنظيم الأفكار وتصنيفها وكشف حقائق الظواهر من خلال فهم الوجود المادي واللامادي، والرحيل في المفاهيم الميتافيزيقية التي انصبت عليه بنية الفكر العراقي آنذاك، وكان الاساس المُمهد لبناء التواصل، والخوض في غمار التفكير الميتافيزيقي، وعليه فان البنية الفكرية كانت بنية موجهة نحو تواصل الانسان بالآلهة، والسعي لتوطيد تلك العلاقة وتجاوز أخطارها بشتى العمليات الفكرية، من سحر وشعوذة وترتيل اسطورة، مع ادراك العراقيين القدماء للعلاقات القائمة بين ظواهر الأشياء، جاعلين لكل قوة رمز، وعلى هذا المنوال تحولت الظواهر الى رموز ومفاهيم، لتقديس ذلك النوع من الرموز، وهذا ما نراه في الرقصات والطقوس الإيمائية، فالإنسان القديم بحركات جسمه كان يرمز إلى النتيجة التي يرجوها ويحسب انه بذلك يضمنها سحرياً، فالرقص هنا لم يعد النظير السحري، بل أصبح صورة تحاكي طقساً معيناً، يتواصل به الانسان القديم فكرياً، ويتبعه بأشكال تساعده على فهم الحقيقة من جهة وتكون امتداداً للاستمرار بالحفاظ على المعتقدات وترسيخها لمن يخلفه، وأن هذه النظرة أثرت في بنية الفنون في العراق القديم[2]. كما في الشكل(4)

ومن السحر انتقلت أساسات البناء الفكري الى الدين، فإن الدين في الفكر العراقي القديم منظومة متماسكة من العقائد والطقوس المتصلة بالأشياء المقدسة، وهي عقائد وطقوس تؤلف بين جميع المؤمنين بها في نطاق معبد وتسمى معتقد، ومن هذه الصفات المختلفة تنشا فرص جمة، تتحالف فيها الفنون والاديان، بل وتختلط على الاقل في ادنى اشكالها تطوراً، والدين هو من المعتقدات التي تشكل أهمية في البناء الفكري العام، فهو يساعد على ظهور تنظيم للطقوس، أي انه شكل من اشكال التواصل الفكري القوية، أن لم يكن أقواها، وتأتي جميع الفعاليات المجتمعية كتقديم القرابين والحركات والرقص، باستجابات انفعالية في البنية النفسية للمجتمع، ونتيجة التطور الاجتماعي والاقتصادي اخذت الطقوس الدينية، تحل محل السحر حيث كان الانسان يملأه الخوف

(1) فريزر، جيمس: الغصن الذهبي، تر: احمد ابو زيد، الهيئة المصرية العامة للنشر، القاهرة، 1971، ص 235.

(2) هوينغ، رينه: الفن وتأويله وسبيله، ج1، ترجمة: صلاح برمدا، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978، ص101.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

من الطبيعة والجوع والموت، ومن هجمات الاعداء وهول الحاجة المادية والالم، فبرزت الحاجة الى الاحجبة والرموز المقدسة وقرابين النذور وهدايا المدافن ومبانيها[1]. كما في الشكلين(5- 6)

وقد أصبح للظواهر مغزى ديني، واكتسبت مخاوف الانسان ورغباته صفة روحانية، أي إن الانسان لجأ الى الدين لا خوفاً من الطبيعة فقط بل رغبة منه في السيطرة عليها أو التواصل معها، وهنا شهدت البنية الفكرية تطوراً من الرؤية السحرية الى الرؤية الدينية واصبح التفكير بحاجة الى أدوات جديدة لتمثيل الرؤية الدينية، وقد اجتهد العراقيون القدماء في ارضاء آلهتهم بصناعة التماثيل والتواصل معهم من خلالها، وبتقديم القرابين لها والمساهمة في المناسبات الدينية، واداء الصلوات وزيارة المعابد وطاعة الكهنة شكل (7)، فقد كان الدين أكبر قوة تؤثر في حياة الانسان وما يزال وسيبقى بالإضافة الى كونه منفذاً للخيالات ومحاولة لتفسير الظواهر المحيطة به، فالفكر الانساني ومنذ الأطوار الاولى للحضارة الإنسانية كان منشغلا في تفسير القوى المؤثرة في الانسان وفي وضع الحلول لنفسه أمام هذا الكون وما يتخلله من قوى وتحديات، في محاولة لكشف تلك القوى الخفية، فظل هذا التفكير يلاحق الانسان في الحضارات الأولى، وقد جسدها في الفن الذي اعتبر اقدم وسائل التواصل التي استخدمها الانسان، في صراعه الشاق مع الطبيعة، ومنذ النشأة الاولى كان الفن سلاحاً سحرياً بيده، في مسعاه الرامي الى السيطرة على الطبيعة واخضاعها لسلطانه، وبما يضمن له الديمومة والبقاء وسط عالمه المحفوف بالمخاطر، وايجاد حالة من التواصل بينه وبين العالم الذي يعيش فيه، وإن العمل الفني ما هو إلا تعويض لانعدام التواصل المتوازن في الواقع الراهن[2]. كما في الشكل (8)

لقد أصبح الفن في جوهره وسيلة لبلوغ وإظهار القوى الروحية وإدخالها في عالم الحس، وإن ظهور التصورات الدينية تمثل مرحلة جديدة في حياة الانسان والفنان على حدٍ سواء، حيث أصبح الفن ذو مضمون بعد أن كان رسومات مجردة وصنع أدوات الصيد وأواني الطعام والأسلحة، وإن هؤلاء الفنانين كانوا يؤدون دوراً شبيهاً لدور الكاهن الذي يلتقي بالإله، وينقل أوامره الى الناس ويصبح في لحظة من اللحظات هو متلبساً لروح الإله فيقوم بتنفيذ إرادته، وقد أخفق الانسان العراقي القديم في بلوغ الخلود وأصبح الموت في بنيته الفكرية وعقيدته حقيقة حتمية لا مفر منها، وقد بان الأثر الكبير للقلق في البناء الفكري العراقي القديم، فبدأ الفن وقتذاك يحمل لمحة من الصرامة والعنف كما في الشكل (9)، ومع إرهاصات السحر والدين التي عاشها الانسان العراقي قديماً، فرض العلم نفسه وقت ذاك فكان للفكر العراقي القديم بدايات بسيطة تقوم على أساس التجربة والمحاكاة، وكان للصدفة وتكرار العمليات دوراً كبيراً في تطورها، وقد استطاع الانسان القديم رغم الظروف الطبيعية القاسية من التكيف مع كل المتغيرات

(1) هاوزر، ارنولد: الفن والمجتمع عبر التاريخ ، ج1، تر: فؤاد زكريا واحمد زكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1970، ص26.

(2) لنتون، رالف: شجرة الحضارة، ج2، تر: احمد فخري، دار الكتاب العربي، مصر، ب. ت، ص224 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

البيئية، بسبب امكانيته البدنية والذهنية القابلة على اكتساب الخبرات، حيث أسفر صراعه مع البيئة عن احراز تطور مهم في المهارات، وأدى عمل الانسان المتواصل وكفاحه لتحقيق الغايات الى ميلاد العقل الخبير، وبالتالي نشوء الوعي ليؤشر بدء نشأة الانسان عبر عملية تطور، مكنته من صنع ما يحتاجه في حياته من الادوات التي كان جُلها من الطين والعظام والخشب[1]. كما في الشكلين (10،11)

إن تحليل النُظم المعرفية لبنية الفكر العراقي القديم، من خلال المنجزات الفنية تحتاج الى القليل من التنظيم، والطروحات التي تدعي أن الفنون العراقية القديمة عبارة عن عمليات عبثية لا يقودها أي فكر بإعتبارها تعمل ضمن أسس ميتافيزيقية فحسب تتعارض في تعريفها لمفهوم الفن، لأن الفن هو عبارة عن منظومة فكرية من العلاقات (مشاعر وحدس) تتكون بصفة واعية ذهنياً واداءياً، وهو بذلك يتقارب من حيث التنظيم الفكري مع البنى المعرفية للعلم، وإن الفن يكمل العلم عن طريق كشفه لحقائق لا يستطيع العلم التوصل اليها، فكل منها يصل الى ما يصل اليه الاخر، فالفنان العراقي القديم في محاولته لكشف الواقع بطريقته الخاصة، لا يختلف عن المفكر والعالم والفيلسوف، ومن لا يعترف بهذه السمة الضرورية في الفن فهو يسلب قيمة الفكر العراقي القديم وبنيته، ويسلب الفن قدراً كبيراً من دلالاته الانسانية مستشهدين بقول دافنشي (ان الفن مسالة عقلية)، وقد مر الأنسان العراقي القديم في فترات متعددة ومختلفة، لكنه في كل تلك الفترات كان مواظباً على التواصل مع كل شيء، وبالذات التواصل الاجتماعي، فقد أخذت الأعياد والاحتفالات مجالاً واسعاً في بنية الفكر العراقي القديم، فكان مفهوم الاعياد هي تلك المراسيم المحددة، التي تقام سنوياً ويشارك فيها عامة الناس، أما الاحتفالات فتقام بمناسبة معينة، كأن تكون الانتهاء من بناء معبد، أو عودة الجيش منتصراً او غيرها، وتصور الانسان العراقي القديم من خلال مراحل تطور الفكر إن باستطاعته التواصل من خلال الاحتفالات أو إقامة المناسبات، وهذا التواصل الفكري له تأثير على الطبيعة، وتسخيرها لصالحه لتفادي النتائج السلبية التي كانت تؤدي اليها تلك التغيرات[2].

ويرى الباحث إن الفكر العراقي القديم ذات خصوصية، من حيث انه تأثر بالفكر السحري تارة وبالفكر الديني تارةً أخرى، كذلك كان الوعاء الحاضن لها، من خلال الاسطورة التي تناقلتها الاجيال عبر العصور، ولا يفوتنا الذكر ان الفكر السياسي والاقتصادي لعبا دوراً اساسياً ومهماً، في ابراز هوية الفكر العراقي القديم من حيث التركيبة الفكرية الفردية، عند العراقي القديم اذ توغل في واقعه الدين المسيطر عليه مسبقاً، منتجاً بذلك فكراً جاءنا من خلال المنجز الفني، حيث وضع في اطر الصراع الديني والسياسي والاقتصادي،

(1) ايمار، اندريه: تاريخ الحضارات العام ، ج1، عويدان للنشر والطباعة ،بيروت ،2006، ص24 .

2- رو، جورج : العراق القديم، تر: حسين علوان حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1984، ص184.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

وسيطرت عليه بعض الفئات وعلى مقدراته عند بعضه الاخر، منتجاً بذلك فكراً خاصاً به قد آلت اليه نوع من التوتر والقلق والحيرة، الموجودة مسبقاً بسبب البيئة الطبيعية القاسية التي كان يعيش فيها، وهنا نجد ان الفكر العراقي قد صقل نفسه بنفسه نوعاً ما.

المؤشرات التي أسفرت عنها الدراسة

1- اعتمدت البنية الفكرية العراقية القديمة أساس ميتافيزيقي للعيش تحت نظام لاهوتي له القدرة على ضمان آلية للتعامل المجتمعي، وبالتالي خلق اعتقاد منظم يخاطب العقول ويسهم في عملية التواصل .

2- أن الأفكار البدائية للإنسان العراقي القديم كانت تصاغ من خلال وجود علاقة بينه وبين الطبيعة فأثرت في بنيته الفكرية وقادته الى عبادة تلك الطبيعة، التي طالما كانت مجهولة له مما منحه قوة الاعتقاد في وجود عالم آخر ولابد من التواصل معه.

3- ان البنية الفكرية للعراق القديم بنية عقلانية ونفعية، تستطيع التخلص من الخوف الذي يعيشه الانسان، أثناء صراعه مع الطبيعة القاسية والمجهولة المعالم .

4- نشوء وولادة الأسطورة كنص أدبي بدائي، وذلك نتيجة لبروز الصورة الذهنية الدينية في بناء الفكر الإنساني في واحدة من أهم مراحل حياته، مما دفعه لتجسيد تلك الأساطير بالفنون كطريقة للتواصل من خلال المدلولات الرمزية ذات البعد المختلف والتي تحملها تلك الفنون.

5- تتميز الأساطير بسطوتها على الفكر العراقي القديم، لما تحمله من سلطة وقدسية كبيرة ومؤثرة في الطابع النفسي والاجتماعي، وتسهم اسهاماً فعالاً في عملية الفكر التواصلي للمجتمع.

7- للسحر وطقوسه تأثير كبير على بنية الفكر التواصلي آنذاك، فأصبح أداة للتواصل الاجتماعي عبرت عما يحيط بالإنسان من ظواهر، وفسرتها بعد أن مكنت الانسان العراقي القديم من التخيل والتفكير بطريقة منتظمة، وبالتالي الوصول الى اعتقاد او حقيقة والايمان بها.

9- أن المعتقدات الدينية كانت وما زالت، الأداة التواصلية الأكثر قوة وتأثيراً في بنية الفكر العراقي القديم، فكانت طريقاً للوصول الى الإحساس المفسر للأشياء المجهولة، التي أحاطت بالإنسان وقتذاك ومن ثم البدء بالتعامل معها لتحقيق الاستقرار الفكري، فكان تواصلاً فكرياً مؤطر بالخيال ومعزز بالأيمان.

10- كان للأعياد والمناسبات حصة كبيرة من الفكر العراقي القديم، حيث كان التواصل مع تلك الظواهر مهماً للحصول على خير وفير في المحاصيل الزراعية والحيوانية، بكونها مصدراً مهماً من مصادر العيش والبقاء، واستمرار نماء المجتمع العراقي القديم.

11- تعتبر اللغة الأداة الأكثر فاعلية في بنية الفكر التواصلي للمجتمع العراقي القديم، بكونها الطريقة التي تسهم في توصيل جميع الأفكار البدائية والمتطورة، وتعبر عن مخيلات الانسان الذي أعتمدها كآلية للتفاهم والتواصل، بين أفراد المجتمع من جهة وبين الانسان والمجهول من جهة أخرى.

إجراءات البحث

أولا: مجتمع البحث

اطلع الباحث على ما منشور ومتوفر من الأعمال الفنية العراقية القديمة المتعلقة بمجتمع البحث،

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

والمحددة دراستها فيما يتعلق بتطبيقات بنية الفكر التواصلي في الفن العراقي القديم، ونظراً لكثرة أعداد المجتمع وعدم إمكانية حصره إحصائياً، فقد أفاد الباحث في اطلاعه على مجتمعها من عدة مصادر لتحديد عينة البحث بما يغطي هدف البحث.

ثانيا: عينة البحث: تم اختيار عينة البحث وتصنيفها بحسب الأشكال ذات الفكر التواصلي وبنيته، والتي وردت في المصادر بحسب ما جاء في حدود البحث، وبناءً على هذا التصنيف تم اختيار أربعة نماذج من الأعمال الفنية بوصفها عينة البحث، وقد تم اختيارها قصدياً لما لها من صلة بهدف البحث ووفقاً للمسوغات الآتية:

1- تعطي النماذج المختارة من حيث أساليبها وآلية اشتغالها، فرصة للباحث للإحاطة بمفهوم الفكر التواصلي في فنون العراق القديم.

2- تباين النماذج المختارة، من حيث الأسلوب الفني، مما يتيح المجال لمعرفة آليات توظيف أنماط الفكر التواصلي، متجانساً مع ما انتهى إليه الإطار النظري من توصيفات شكلية حول موضوع البحث.

3- أهمية النماذج فنياً وتاريخياً، واحتوائها على رسائل ذات فكر تواصلي لمن يخلف تلك الحضارة.

4- احتواء نماذج العينة المختارة على أساليب وتقنيات فنية متنوعة.

ثالثا: منهج البحث: اعتمد الباحث المنهج الوصفي والمحتوى التحليلي في تحليل العينات كونه أكثر المناهج ملائمة لتحقيق هدف البحث.

رابعا: أداة البحث: من اجل تحقيق هدف البحث وتعرف (بنية الفكر التواصلي في فنون العراق القديم) اعتمد الباحث المؤشرات التي انتهت إليها الدراسة بوصفها أداةً للبحث.

خامساً: تحليل العينة

نموذج (1) صراع الآلهة

المادة: نحت فخاري/ الارتفاع 12(سم)

المرحلة الزمنية: بابل القديمة

العائدية: المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو

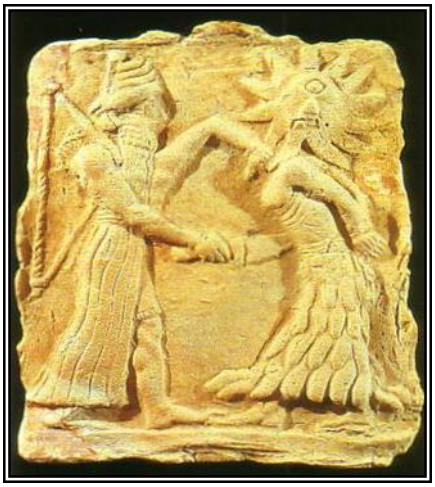

الوصف

يتمثل هذا المنجز الفني البابلي بشخصيتين وهما يتصارعان، الشكل الأول على يمين الناظر يحمل رأس شبيه بشكل الشمس ووجه غريب بعض الشي، من خلال وجود عين في أعلى الجبهة، بالإضافة الى عينيه وانفه الكبير، وضعية الوجه مواجهة للناظر فيما تمثل الجسم بشكل جانبي، وقد أنحنى نحو الأمام وكُتفت يداه الى الخلف، وقدماه متجهة الى الأمام، ويرتدي مئزراً طياته متراكبة كأنها حراشف سمكة أو ذيل لإحدى الزواحف، أما الشخص الآخر على يسار الناظر، فقد تمثل بشخصية أقرب الى شخصية الملك أو الإله، من

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

خلال التاج المُقرن الموضوع على رأسه، والذي يظهر جانبياً وله ذقن طويلة، يرتدي مئزراً ذي طيات متراكبة ومفتوح من الامام، فتظهر منه ساقه وقدمه التي إتجهت للأمام ووضع طرفها على قدم الآخر، وكان يحمل قوساً على ظهره، ويحمل في يده سكيناً يطعن بها الشكل المقابل له في بطنه، فيما أَمسَك بيده الأخرى رقبته، مشهد يمثل صراعاً قوياً ويعبر عن قصة من قصص المجتمع العراقي القديم، نُحت العمل بشكل واقعي أقرب منه الى التجريد.

التحليل

من خلال التمثيل الصوري لهذا العمل الفني تبين إن الفنان عَبَرَ عن أكثر من صورة للواقع الاجتماعي العراقي القديم، فبرع في تصوير موضوعين مختلفين في آن واحد، وذلك من خلال تمثيل شخصية الإله بالتماثل الواقعي، ومحور التركيب في صورة الكائن الآخر، تحوير يجمع التجريد والغرابة والاختزال في آنٍ واحد، وقد جَسَد الفنان هذين الشكلين بآلية متجانسة مع الموضوع الأساسي للعمل، فأعطى معنى دلالي واضح، تَمثل في قوة الإله وقدرته على صرع الكائن الغريب وطعنه بالسكين، دون أن يهتز له حراك أو تظهر عليه ملامح الخوف، على عكس الصورة الهزيلة التي ظهر بها خصمه، وهذا يمنح الشكل موضوعاً يُعتبر من أهم المواضيع للنتاجات الفنية المتنوعة بالأفكار والدلالات، وقد نقل في هذا المنجز صورة دلالية دمجت الرؤية الأسطورية وأفكارها الميتافيزيقية الغير مُدركة، ووضعها أَمام المتلقي فكان خطاباً تواصلياً لبُنية الفكر العراقي القديم، ونقل رسالة مُشفرة تحاكي المشاهد الصراعية المفترضة والبعيدة عن الواقع والموازية للفكر الاجتماعي المؤمن بالأساطير التي تُمجد الآلهة، فيأتي المدلول بنتيجة مفادها ان الأعمال الفنية هي نتاجات سردية للواقع الاجتماعي ولما يحمل الانسان العراقي القديم من أفكار كان قد آمن بها فترسخت في بنيته الفكرية، فمنها ما جاء امتداداً لما سبقه من عصور وأخرى تتجدد مع ما يحدث من تطور فكري آني مبني على الاحداث، وفي كلتا الحالتين كان الهدف واحد، هو التقرب من المتحكم والوصول الى المعلوم لحل ألغاز المجهول، والفن هنا جاء تواصلاً بين الفنان وأعماله الفنية من جهة، وبين العمل الفني والمتلقي من جهة أخرى، رغم بُعد المسافة بين الحالتين، وقد أثبتت النتاجات الفنية في العراق القديم إن بنية الفكر كانت ذات طابع تواصلي مستمر، وبهذا العمل الفني الذي كان تمجيداً للإله شكلاً وموضوعاً، تجسد التواصل مع الفكر الاجتماعي المطروح آنذاك، فالإله هو الثابت والإله هو المُنتصر والإله هو المُتحكم، والقوى الأخرى ما هي الا كائنات مركبة ليس لها وجود إلا في خيال بعض الناس، ولابد من توضيح الحقيقة لهؤلاء بالتواصل معهم عبر هذه النتاجات الفنية التي أبدع الفنان في إنتاجها ليصل فيها الى قلب المجتمع قبل فكره، فالصراع مستمر بين قوى الخير والشر وبين الخلود والفناء وبين القوي والضعيف وهذه الثنائيات هي أحدى الركائز التي تدعم التواصل، وتدعم الفكر التواصلي الذي تمثل في كونه وسيلة تعبير للفكر العراقي القديم وبُنيته على مرور الأزمنة .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

نموذج (2)

الإناء النذري / الوركاء

العصر السومري (3200-3000 ق.م)

العائدية / المتحف العراقي

الوصف

إناء الوركاء هو تحفة فنية أثرية يبلغ عمرها أكثر من (5000) عام، عُثر عليه في معبد الوركاء أحد المعابد التي تعود إلى الإلهة السومرية (إنّيانا) في أثار مدينة (أور)، ويُعتبر من أقدم الأعمال الأثرية الفنية حيث أُكتشف الإناء ضمن مجموعة حطام من المرمر وتبين أنه إناء من الرخام الأبيض اللون أسطواني الشكل يقوم على قاعدة عالية ويصل إرتفاعه الى (105سم)، تَميز هذا الإناء بنقوش بارزة تصور احتفالات دينية موضوعة في سطور أفقية، حيث يمكن قراءتها من القمة إلى القعر وبالعكس كما يمكن قراءتها أفقيا وبشكل دائري، يكاد لا ينتهي حتى يبدأ وتتكرر وحداته وتدور حول سطح الإناء إلى ما لانهاية، الحقل الأول من الأسفل مَثَلَ فيه الفنان وبواقعية كبيرة نسقاً من سنابل القمح وقد نمت على ضفاف أحد الأنهار، وفي الحقل الثاني إلى الأعلى وضع صفاً متتابعاً متقدماً ومتصاعداً من أشكال الأغنام والماعز، معتمداً صيغة التكرار على كثرة العدد بهدف تأكيد الخيرات التي تعم المنطقة، ومن ثم شريط أفقي خالٍ من الأشكال ليؤدي دوره جمالياً في الاستيعاب البصري، وليدلل أيضاً إن الفكر كان يعزل النفس النباتية النامية عن النفس الحيوانية الحسّاسة، وهي هبة السماء لأرض سومر من الخير، كما تتكرر حركات الشخوص وتتعارض في الحقول المتتالية من دون أن يؤثر ذلك في الصياغة العامة لشكل الإناء الخارجي، بعد ذلك يأتي دور الإنسان من خلال مجموعة رجال عراة يحملون الأوعية والجرار التي تحتوي على الفاكهة والحبوب من خيرات الأرض ليقدمها بشكل متتابع ومتصاعد قرباناً للآلهة، والتي إحتلت القمة في بنائية التكوين عرفاناً منه بالجميل الكبير بكونه مظهر تعبدي تؤديه الروح ليشع فيها نوعاً من الحيوية وهو سر من أسرار أزلية الحياة واستمرارها، فيما يصف النقش المصور في الطبقة العليا لوحة تمثل الإلهة (إنيانا) التي تعتبر من الآلهة الرئيسية، والتي عُرفت فيما بعد بالآلهة عشتار عند الأكاديين وبقربها حزمتين من القصب وخلفها وعاء من الفاكهة والحبوب.

ونشاهد في الإناء النذري مجموعة من الأفكار التواصلية التي تَجلى فيها الرمز الديني بشكل واضح من خلال المشاهد الطقوسية التي تحويه، فضلاً عن الأشكال السومرية التجريدية التي توحي بذلك

وغايتها جلب الخير والسرور إلى الأرض، فالفنان السومري استعاض عن الشكل المادي هنا بصلة روحية تواصلية تمتاز بقصدية واعية مستندة إلى الخيال والإرادة والوجدان، فسعت إلى تحطيم المنظومة الآيقونية لنظام التماثيل الشكلي لغرض التغلغل بما هو انفعالي بغية كشف مشكلات الذات الإنسانية، وهنا يمكن رصد نوع من النزعة العاطفية التي حلّت محل المذهب العقلاني، والتي تُرجّح خطاب الذات المنفعلة على حساب الواقع، وفي ذلك نوع من الجدل الحسي أو الحدسي لتجاوز معايير الصورة المرئية، فإن الصفة الوظيفية للآنية تُحدد في كثير من الأحيان خصوصية الشكل ونوعيته بل وإنها تدخل في نوعية المشاهد المرسومة والمنحوتة وسبل اختياره، وفي نفس الوقت فأن تلك الآنية تنم بتقنيتها الصناعية العالية عن تطور واضح في وعي الفنان لخاماته وإبعادها الجمالية، فأشكال الآنية السومرية ورموزها الهندسية تمثل حقيقة التعبير عن مدركات الفنان السومري، وولائه لفضائه الاجتماعي والقوى الكونية المؤثرة فيه فنجد جميع تلك الدلالات غنية بالمعاني الروحية، وهناك تفسيراً بسيطاً للمشاهد المرسومة على الإناء يمثل مرحلة أخرى في نظر بعض الاختصاصيين الذين يرون فيها احتفالاً بشعائر الزواج المقدس (الزواج السحري)، الذي يلعب فيه مخلوقان بشريان الأدوار البارزة وبعد هذا الحوار الدرامي العميق في نظم الظواهر فإن هذا السمو الذي يكون بُنية المضمون، لا بد له أن ينال التقديس الروحي في مادة الرخام الجميلة لوناً وملمساً وحيويةً وفاعليةً فِتشيه، فالروحي هنا يجد كماله في ذات مادته الجليلة التي قولب فيها دلالته الفكرية، إذ تُشير الخطوط الخارجية للإناء المرمري إلى شاعرية وقدرة تجريدية كبيرة في تجويف ونحت الشكل العام، هذه الخبرة الجمالية تتأكد أيضاً في أشكال السنابل والحيوانات التي نحتت بواقعية فوتوغرافية كبيرة رغم صلابة مادة التمثيل، في حين أحيلت الأشكال البشرية إلى نظم تجريدية لتؤدي فاعليتها بغير محدودية في مثل هذا السرد الدرامي الكبير، لقد أكتسب الإناء قدسيتهُ النذرية، بفعل جلال ونُبل الموضوع الممثل على سطحهِ الخارجي، فقد شيد الفنان موضوعه بطريقة معمارية، كاشفاً اللانهائية المتحركة بنظامها المتصاعد على سطح الإناء ليقارب بين نظم العلاقات الفكرية السماوية والأرضية، ليعكس المعرفة الفكرية الرافدينية التي أسست نظاماً معرفياً لفلسفة القوى الكونية بهيئة قوى مثالية أزلية عليا وقوى أرضية زائلة، حيث قَسم الفنان سطح الإناء إلى عدد من الأشرطة الأفقية، ساعياً إلى تكوين سيناريو زمني لرواية تتابع الأحداث، بدءاً من الأرض ووصولاً السماء، فهذا الإناء في محتواه الفكري كان بمثابة تعبير فني يعكس بنية الفكر التواصلي للمجتمع العراقي القديم .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

نموذج (3)

الموضوع: البطل الأسطوري

المرحلة الزمنية: العصر الأكدي (2004 ق.م)

المعثر: أور

القياس: (13,5 سم) ارتفاعاً، (11 سم) عرضاً

الوصف العام

يمثل هذا الأنموذج لوحاً فخارياً نحتياً مستطيل الشكل نُفذ عليه بآلية النحت البارز مشهد صراع بين بطل عاري وثور، حيث تظهر وقفة البطل بشكل جانبي وصدره بشكل أمامي مواجهاً للناظر، ويُبين المظهر العام للعمل الفني إن الرجل يمسك بأرجل الثور ويسحق على رأس الثور برجله اليمنى، فيما وضع رجله اليُسرى على كتف الثور الأيمن، ومُثِلَ المشهد بشكل أعتمد فيه الفنان علم التشريح ليُحقق التعبير الرمزي لحالة الصراع، ويُظهر براعة البطل في السيطرة على الحيوان الأقوى من بين الحيوانات التي كانت تمثل الطرف الآخر في الصراعات .

التحليل

يتضح من الهيئة العامة لهذا الأنموذج أن البطل يطأ بقدميه ثوراً مقلوب رأساً على عَقِب، كدلالة تُخبر بقوة وثبات هذا البطل، حيث يُمسك البطل برجلي الثور ويسحق على رأسه وكتفه هو دليل السقوط والخسارة في هذا الصراع، فالبنية التركيبية لصورة البطل العاري أوحت على حيويته وقوته وفحولته من خلال حركته واندفاعه للقتال، وهو تواصل بنقل صورة الانتصار والهيمنة على أعداء الإمبراطورية الأكدية، فهي رؤية فكرية جديدة قائمة على أساس معتقد جديد تدرجت عملية اشتغاله على أساس فكر سياسي وأسطوري، وقد أظهر فيها الفنان موضوع السطوة والقوة لدى الملوك الأكديين وانتصارهم على الأعداء، وإن استخدام الفنان للخطوط المنحنية التي صاغَ بها شكل الثور والانسيابية الكاملة عبرت بشكل واضح عن ذلك المشهد، حيث يظهر البطل رافعاً رأسه إلى الأعلى وهو دلالة الشموخ والعلو والانتصار لملوك أكد على أعدائهم، والذين مثلهم الفنان هنا بالثور المُنكسر وهو كما معروف في الأساطير الأكدية بـ(الثور السماوي) الذي أرسلته عشتار لمحاربة البطل كلكامش، ونرى هنا في هذا الشكل التحول الفكري الواضح لدى الفنان باستخدامه مواضيع من الحياة التي تمثل بُنية الفكر الاجتماعي للمجتمع العراقي القديم من أجل التواصل مع المتلقي، وذلك من خلال مزجه بين قوة وانتصار الإنسان وضعف وانكسار وخسارة العدو المتمثل بالثور الأسطوري، مما يؤكد بداية عصر جديد يُعطي بلاغاً خطابياً يختلف عما جَسَدَه فنان العصور السابقة في نتاجاته الفنية وطبيعة مضامينها، فقد أفرز المجتمع الأكدي للفنان فكراً خصباً وإلهاماً أبدع فيه عن حالات الصراع بين قوى الخير وقوى الشر كآلية تواصل تمثلت بالمضامين الأسطورية، كما وجدنا كلكامش في اسطورته يصارع الأسود رمز العالم السفلي والتي

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

جسدها الفنان العراقي القديم . شكل (أ – ب).

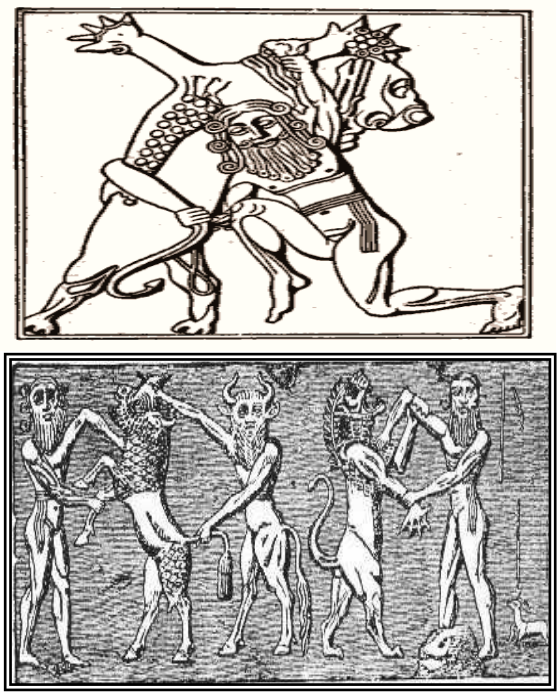

شكل (أ)

شكل (ب)

وقد أرسل الفن العراقي القديم في هذه النتاجات رسائلاً واضحةً حملت مضامين مليئة بالمواضيع ذات المفاهيم الدينية، إذ تم تحويلها إلى إشارات ورموز متعددة الدلالات في الفكر الحضاري الأكدي، فأستخدم الرموز الحيوانية لتكوين مفاهيم الإمبراطورية الأكدية الجديدة، ومن هنا نجد أن أغلب الموضوعات الأكدية قد جمعت بين الحكمة الإلهية والقوى السياسية في صياغات تُعبر عن الوسط الاجتماعي الأكدي والتي أعطت الحيوية للموجودات على شكل رمز خيالي يهب البقاء، أي هي محاولة سحرية لتسخير الطبيعة تحت السيطرة الإنسانية، ولذلك افرزت بُنية الفكر الأكدي تحولاً جديداً في النتاجات الفنية الأسطورية لتجد مكاناً لها على الساحة الفنية العراقية القديمة، لتكون خطوة أولى لتشكيل نظام سياسي متوازن مع الدين، فجاءت تلك المواضيع تجديداً للموضوعات التي نُظمت لأغراض سحرية أو دينية فقط في العصور السابقة، وكان لابد من التواصل فيها بطريقة غير مباشرة من خلال الإشارات الفنية .

نموذج (4)

الموضوع : صحن ــ رقصة المطر

المادة : فخار

المرحلة الزمنية : العصر الحجري الحديث ــ المعدني (طور سامراء)

الوصف

تمثل العمل الفني بصحن من الفخار مسطح ودائري الشكل، رسم على الحافة الخارجية من سطحه وبشكل متناظر ثمانية عقارب متعاقبة، تدور حول الصحن بشكلٍ متساوٍ ومنتظم، حيث احتوى كل عقرب منها على أربعة أزواج من الأرجل وزوجٍ واحد من الأيدي، فيما جَسد الفنان ذيول العقارب بشكل هندسي مختزل بدلالة إلتوائها، وقد شكلت تلك العقارب إطاراً خارجياً لما موجود داخل سطح الصحن من الأشكال، والتي تمثلت بأربعة نسوة واقفات بشكل متقابل يستدرن حول شُعلة من النار، وتتجه شعورهن بشكل

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

منتظم نحو اليسار وايديهن مفتوحة بشكل مستقيم، وقد تمت صياغة الشكل النسوي بدلالة تضخم معالمها الانثوية من الورك والصدر ونحافة الخصر وطول الرقبة، وتم تشكيل أكفهن بصورة مفتوحة مع اعتماد وقفة النسوة بشكل متقابل لتشكل بذلك شكل الصليب المعقوف، والعمل بهذا الشكل يمثل تصميماً منتظماً من جميع النواحي كما في مركز الصحن .

التحليل

إن المبدأ العام للبنية الفكرية الاجتماعية قد هيمنت على الفضاء التأويلي لهذا العمل الفني، وهو مبدأ الحياة نفسها أي دورة وجود المخلوقات وحياتها وفناؤها، ورمز الدائرة المحيطة للنساء ما هو إلا فكراً اجتماعياً تمثل في رمز الخلود والاستمرارية التي تحكم وتسير الحياة، حيث إن جميع الأشكال تخضع لبناء فكري قد هيمن على الدورة الأزلية التي تعيشها الخليقة، ونستدل مما تقدم إن العقارب هي دلالات للتضحية كمحاولة من الفنان للتواصل مع المتلقي، فقد كان العقرب معروفاً عند العراقيين القدماء بأنه رمز التضحية فهو يضحي بنفسه من أجل استمرار حياة أجياله، كما نجد أن مركز الدائرة عبارة عن شعلة من النار تدور حول النسوة وهذا يعتبر عملية تواصل غير مباشرة، حيث يُشير المشهد الى عملية الخصب كما تدل وقفة النسوة بهذه الطريقة الى الاتجاهات الأربعة أو العناصر الرئيسة من خلال معطيات البيئة وهي الماء والهواء والتراب والنار، ونجد إن هناك نقطة مركزية تخبرنا بجغرافية المكان حيث الموقع الجغرافي للعراق القديم ومناخه وتضاريسه، وتلك الدلالات مجتمعة تخبرنا بأن العراق هو مركز الوجود الحضاري والإنسانية، ومركز العيش في تلك الطبيعة التي أنتجت بواكير الفكر إزاء الكون والحياة، وبهذا نستدل من الشكل العام على إنه تواصل من خلال ما تحمله بنية الفكر الاجتماعي آنذاك وهي عملية ذات نظام طقوسي سحري يُمجد هطول المطر وقد عرفت هذه الطقوس باسم (رقصة المطر) أو (النسوة الراقصات)، وقد خضع الفنان العراقي القديم الى سلطة العقل الديني والسحري والمفاهيم الغيبية، وإن العلامات والإشارات للحركة المستمرة التي خلقها الفنان العراقي القديم من الدوائر والنسوة الراقصات هي رسائل تواصل لتعاقب الأجيال، وبهذا يحيلنا النص الى نظام معقد من الفهم الكوني والحياتي، كذلك نجد إن صياغة هذا المنجز الفني ناتج عن بناء فكري يرتبط بالحياة التي عاشها الانسان العراقي القديم بكل تفاصيلها من تعاقب الحياة الاجتماعية وتطورها، مع وجود مركز للعمل الفني تنبثق منه جميع الأشكال المُجسدة على ذلك الصحن الفخاري، ومن خلال التكرار المنتظم الذي يرمز الى اخضاع الفرد والمجتمع للنظام الديني، كما يُشير تعاقب الأشكال الى العلاقة المفروضة ما بين هذه الرقصة ذات الطقوس الدينية وهطول المطر، أي إخبار المتلقي بأن هذه الطقوس ستتكرر في كل عام باعتبارها رقصة مقدسة، وتكرارها يجب أن يكون بنظام ثابت وخاص لما فرضه الفكر العراقي القديم على المجتمع، ومن خلال هذا النموذج نلاحظ أهمية استخدام الأفكار التواصلية في عملية نقل الرسالة الإخبارية الى المجتمع أو المتلقي، حيث يبتعد الفنان بأفكاره عن الواقع خصوصاً في المواضيع ذات الطقوس الدينية، فأستخدام الرموز والإشارات

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

يُضفي على العمل الفني قدسية أكثر من لو أنه تشكل بطريقة واقعية ومفهومة، فالمجتمع العراقي القديم كان يتجه نحو التساؤلات والتأويلات المتعددة خصوصاً في هذه المواضيع وهذا لا يتحقق إلا من خلال التواصل باستخدام الفنون .

النتائج

1. ان بنية الفكر التواصلي في الفن العراقي القديم تعمل على محور المحاكاة، وقد تمثل ذلك من خلال الخطاب المباشر وغير المباشر، الذي يبثه الفنان في نقل رسالة معينة .
2. ان الفكر التواصلي هو عملية حوارية تُسهم في مواجهة الواقع وقبوله، فيكون وسيلة لإرضاء الذات ورغبتها المكبوتة، بما يمتلكه من تشويق يثير المتلقي .
3. يعتبر الدين من الأمور المهمة والتي لعبت دوراً مهماً في تشكيل الفكر التواصلي لدى الانسان العراقي القديم، فقد تمثل ذلك المنجز الفني .
4. شَكَلت الأسطورة جزءاً مهماً في بنية الفكر التواصلي من خلال تفاعلها مع المجتمع وتأثيرها على افكار الناس، فكان لابد من تضمين تلك الملاحم في المنجزات الفنية كخطاب تواصلي .
5. كان وما يزال الفن العراقي القديم امتداداً تاريخياً للأحداث، فشكل فكراً تواصلياً من حيث الزمان والمكان ونقل صورة لمعتقدات المجتمع وأفكاره الخاصة النابعة من روح العصر .
6. أثرت بعض الضواغط الخارجية في بنية الفكر التواصلي في الفنان لتمنحه أفكاراً جديدة في خطاباته وحواراته مع افراد المجتمع، وقد اعتمدها في تواصله من خلال العمل الفني .
7. بنية الفكر التواصلي المطبقة في الفن العراقي القديم تتعلق بقدرة الفنان وإمكانيته في التعبير والتي تحاكي المشاعر والأحاسيس من خلال تفسيرها للغموض وتحويله الى واقع مدرك .
8. كان للقيود الفكرية التي عاشها الانسان العراقي القديم، دوراً مهماً في تفعيل الفكر التواصلي لدى الفنان العراقي القديم، من خلال استثمار وسائل الخطاب واستحضارها في المنجز الفني .
9. أنتج الفكر التواصلي خطاباً من خلال العمل الفني وكان مزيجاً بين الطبيعة والميتافيزيقيا، وكان تأثيره في المجتمع واضحاً لكون هذا المزيج جاء منتظماً، وبحسب المعتقدات التي آمن بها الفرد.
10. هيمنة النظام الطبقي في حضارة العراق القديم حفزت الفن على تعظيم هيئة الملوك والكهنة والوسطاء الروحيين، من خلال تمييزهم عن الانسان العادي في العمل الفني وهذا ما اعتمده الخطاب التواصلي .
11. يعتبر الفن العراقي القديم امتداداً تاريخياً للحضارة في كل عصورها برغم مواكبة التطور، وهذا يعني ان النتاجات الفنية هي تواصل مستمر في البنية الفكرية خصوصاً في هذا الجانب .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

12. كان للرمز حضوراً في البنية الفكرية التواصلية في العراق القديم، من خلال استحضار الرموز في نقل الخطاب الفني، الذي يعتبر حواراً وتواصلاً مع الفكر الخيالي للفرد .

ملحق الاشكال

شكل رقم 1

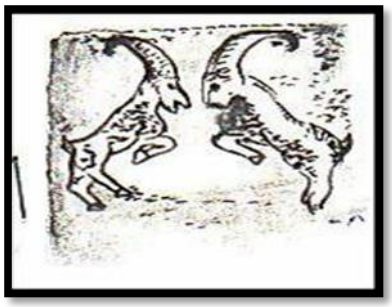

شكل رقم 2

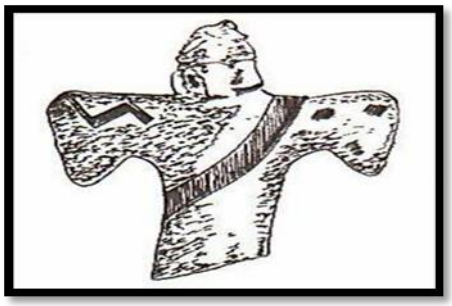

شكل رقم 3

شكل رقم 4

شكل رقم 5

شكل رقم 6

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

شكل رقم 7

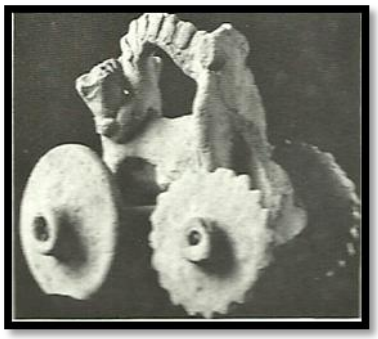

شكل رقم 8

شكل رقم 9

المصادر والمراجع

- القران الكريم
1- ايمار، اندريه: تاريخ الحضارات العام ، ج1، عويدان للنشر والطباعة ،بيروت ،2006 .
2- احمد، مُحَمَّد خليفة حسن: الاسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988.
3- أنيس، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، مادة فكر، ج2، ط2، المكتبة الإسلامية، تركيا، 1975.
4- الأصفهاني، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن، مادة (فكر) تح: صفوان عدنان داوودي، دار العلم، دمشق، 1992.
5- الأنصاري، ابن منظور: لسان العرب، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، 1972.
6- الحوراني، يوسف، الانسان والحضارة، ط2، بيروت، 1973.
7- العابد، أحمد وآخرون، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس، 1989.
8- الوراق، عبد الله: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، 1996.
9- ايمار، اندريه: تاريخ الحضارات العام ، ج1، عويدان للنشر والطباعة ،بيروت ،2006.
10- بنكراد، سعيد، السيميائيات والتأويل (مدخل للسيميائيات)، مؤسسة تحديث الفكر العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005.
11- بو حسن، أحمد: مدخل الى علم المصطلح (المصطلح النقد العربي الحديث)، العدد11، مجلة

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الفكر العربي المعاصر (مجلة فكرية)، مركز الاتحاد العربي، بيروت، 1978.

12- بيير، جيروم: علم الاشارة (السيميولوجيا)، تر: منذر عياش، دار الانماء للدراسات والنشر، سوريا، 1992.

14- رو، جورج : العراق القديم، تر: حسين علوان حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1984.

15- ريد، هربت: الفن والمجتمع، تر: فارس متري ظاهر، دار القلم، بيروت، لبنان، 1975.

16- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1971.

17- فريزر، جيمس: الغصن الذهبي ، ج1، تر: احمد ابو زيد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971.

18- فرينالد، دي سوسير: محاضرات في الالسنية العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، منشورات دار نعمان للثقافة، بيروت، 1984.

19- فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الادبي، ط3، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1987.

20- فؤاد، زكريا، افاق الفلسفة، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1988.

21- كريستيفا، جوليا، تصوير اللغة العربية ، تر: بن يونس عميروش، العدد 7، مجلة نوافذ دورية، السعودية ، 1999.

22- لنتون، رالف: شجرة الحضارة، ج2، تر: احمد فخري، دار الكتاب العربي، مصر، 1982.

23- مانفريد، فرانك: حدود التواصل، تر: عز العرب، الحكيم بنائي، الدار البيضاء، المغرب، 2002.

24- مذكور، أبراهيم: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983.

25- مطر، اميرة حلمي: فلسفة الجمال، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988.

26- ناثان، نوبلر: فلسفة الإيصال في الفن (دراسات فلسفية)، تر: فخري خليل، العدد1، مجلة بيت الحكمة2000.

27- هاوزر، ارنولد: الفن والمجتمع عبر التاريخ، ج1، تر: فؤاد زكريا واحمد زكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1970.

28- هاوزر، ارنولد: فلسفة تاريخ الفن، تر: رمزي عبده جرجيس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008.

29- هوينغ، رينه: الفن وتأويله وسبيله، ج1، ترجمة: صلاح برمدا، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

دورالغزو الفكري والثقافي على مسخ ثقافة الشعوب، العراق انموذجا بعد 2003

ا.م.د. ايمان عبد الرحمن حميد المشهداني
جامعة بغداد/ كلية الاعلام

المقدمة

سعى الغرب منذ قرن من الزمان لتصدير أفكاره و أرائه الى العوالم الاخرى ، من اجل كسب الطاقات واستثمار الموارد بما يعود عليه بالنفع والمصلحة الذاتية دون النظر لطبيعة وخصائص تلك الامم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية[1].

وقد اتسعت عملية تصدير الافكار التي صارت في العقود الاخيرة اشبه بالغزو وتطورت فكانت العولمة اخر ما تمخضت عنه تجارب الغرب للهيمنة على قدرات الشعوب بعد السيطرة على عقولهم وتطلعاتهم وحتى يتم ذلك كان لا بد من ايدلوجية معينة تمهد لإعلان دولة القطب الواحد كما يعبرون[2] .

ان الامة العربية هي في المركز الاول في استراتيجية الغزو والتسلل والعدوان الثقافي الامريكي – الصهيوني، العالمية .وذلك بسبب البترول ، والموقع الاستراتيجي والدور الموكول للكيان الصهيوني لإدامة التجزئة وتثبيتها ، ولمنع نهوض الامة و وحدة اراضيها من اجل استمرار النهب الاستعماري ويأمل تحويل المنطقة الى مستعمرة حلوب ودائمة . واليوم فان المساعي والمؤامرات نحو مزيد من هذه التجزئة والاضعاف، بل نحو تفتيت الامة والوطن الكبير الى كيانات جديدة مصطنعة ، طائفية وعنصرية ، كما تجري التجربة مع لبنان الشقيق وكما يراد ويجري العمل له في اجزاء عم اخرى[3] .

لقد كانت بدايات ذلك الغزو وما تبعه من عملية تخريب للشعوب وخاصة بالنسبة لشعوبنا الاسلامية والعربية ، وقت دخول الاستعمار الحديث (بداية القرن العشرين) ، ومن ثم استمرت العملية بتصدير الجيل المثقف الذي مورست عليه عملية غسل الادمغة حتى يبقى ذلك (المتغرب المسلم) يعيش حياة ملؤها التبعية بأنواعها المختلفة ،الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ايضا وفي وقت كان الغرب يسرق اموالنا ويستثمر طاقاتنا من اجل زيادة انتاجه ومنفعته واستمرت عملية التصعيد حتى يومنا بعد دخول قوات التحالف الى العراق محررين ــ كما قالو في البدء ــ ثم محتلين ــ كما ظهر بعد ذلك للجميع ــ والعجب ان تجد بد انفضاح سلسلة الاكاذيب الاعلامية والدعاوى السياسية اناسا ممن يدعون الثقافة والوعي يقولون ان لا باس بان نصبح متغربين ، وهم يأملون الخير من المحتلين ويريدون ان يمنحونهم ما منعهم صدام ونظامه ،

بل أن الاسوأ من ذلك تلك الدعاوى الى التخلق بأخلاق الغزاة المحتلين ، حيث نجد بعض الصحف الكويتية وبعض الصحف العراقية ايضا تدعو الى انتهاج سلوكيات وعادات وطباع الغزاة باعتبارها تمثل " **اخلاقا اسلامية عند غير المسلمين** " ، فهل يقبل مسلم غيور واعٍ هذا ويسير في ركب امركة العراق وقد تنبه المراقبون والمخلصون الى حجم وتداعيات هذا الخطر الذي يمر به البلد وعلى رأسهم المراجع العظام

[1] بهاء حمزة عباس ، العراق الجديد والغزو الثقافي ، ط 3 ، دار الفيحاء ، بيروت ، 2013 ، ص5 .

[2] نفس المصدر ، ص5

[3] الدكتور عزيز الحاج ، المؤسسة العربية ، بيروت 1983 ، ص11 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

وفي مقدمتهم المرجع العام في النجف الأشرف سماحة اية الله العظمى السيد على السيستاني (دام ظله) حيث أفاد في أول مقابلاته لمراسل صحيفة واشنطن بوست الامريكية حول الاوضاع الراهنة في العراق ما بعد الاحتلال بما نصه : "**إن أخطر ما تواجهه البلاد هو طمر هويتها الثقافية** " .

مشكلة البحث

ان لكل شعب كرامته التي يعتز بها وتراثه الذي يفخر به ويحافظ عليه ، وقيمته الفكرية والثقافية التي يجب احترامها والمحافظة عليها . فالثقافة ، كما وردت في دستور منظمة اليونسكو والوكالات المتخصصة لهيئة الامم المتحدة تمثل الخاصية المميزة لحضارات المجتمعات في مختلف المجالات القيمية والادبية والمعمارية والفكرية .ولا مراء ان ثمة تحديات جسيمة تحدق في الامة العربي في عص العولمة ، تأتي في مقدمتها التحديات الثقافية التي تحمل ثقافة مغايرة للثقافة العربية المستمدة من الدين الذي تدين به اغلب الشعوب.

ومن ضمن هذه الشعوب العربية هي دولة العراق ، والتي تواجه اسوء هجمة ثقافية على مختلف الاصعدة ، فبعد الاحتلال الامريكي عام 2003 والتحول الذي حصل في نظام الحكم ، احدثت تغييرات واضحة على المستوى الثقافي ، سواء كانت ثقافة سياسية او اقتصادية او اجتماعية وهذا الغذو الثقافي الذي اجتاح العراق اما كان عن طريق القوات المحتلة وتدخلها المباشر في القضايا السياسية والاقتصادية ، او عن طريق الانفتاح الكبير على الحدود الثقافية العالمية وافساح المجال للإعلام الاجنبي ان ينشر كل ما يريد نشره .

فبعد فترة 2003 وعقب الاحتلال الامريكي حدث تغير طارئا في وسائل الاعلام اذ تعرف الفرد العراقي على اجهزة (الستلايت) الذي يضم الاف الاقمار الصناعية والقنوات المختلفة ، ومن المعروف هذا التغيير الفجائي اربك المشاهد العراقي وجعله يتخبط فاتحا شهيته لكل ما يعرض وذلك بسبب الحرمان الذي تعرض له في فترة نظام الحكم السابق وبذلك اخذ ينسى ثقافته المستمدة من التعاليم الاسلامية وعرضها جانبا واخذ يواكب الاعلام المتطور وما يعرضه من مواد اعلامية ، ولم يكتف المشاهد بالمشاهدة والاستمتاع فقط بل احدث تغييرا شاملا في منظومته الفكرية واخذ ينسى كل ما تربى عليه واصبح مقلدا اصيلا لكل ما يعرض لدعوى الحرية والتحرير والديمقراطية هذا من جانب ومن جانب اخر هو وجود الاف الكتب والمجلات التي ترجمت الى اللغة العربية التي تحتوي على العقائد والافكار الاجنبية المنحرفة ، والتي من خلالها يبينون اننا متخلفون وانهم افضل منا في كله الحالات ، وان الدين الاسلامي هو الدين الظالم الذي بني على الدم والقتل ، فجعلوا شبابنا يتخبطون وخاصة أولئك الذين لديهم ثقافة وعقائد سطحية من الافراد ومن الوسائل الاخرى للغزو الثقافي التي ظهرت في السنوات الماضية هو الأنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي ، وأنا اعتبرها الاداة السهلة لاختراق الثقافات الاجتماعية فاصبح كل شخص يُتابِع ويُتابَع من قبل الاشخاص الاخرين فأنها اصبحت الاداة التي من خلالها يتعرف العدو ما الذي يضر مصلحتنا ، وما الذي يوجد في عقولنا وكذلك شعورنا وتفكيرنا ، وكيف يفتعلون الأزمات بيننا ، وكيف يوجهون رأينا العام . وكل هذا يحصل مجانا أو بأسعار زهيدة ، بمعنى اذا لم تدفع ثمن السلعة فأنت السلعة وهذا ما يحصل الان .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

المبحث الاول : مفهوم الثقافة والغزو الفكر والثقافي

المطلب الاول : مفهوم الثقافة

تمثل الثقافة العنصر الاهم في بناء المجتمعات الإنسانية ،وبخاصه عندما يتسع مفهوم الثقافة ويشمل في دائرته كل او اكثر انماط السلوك الانسانية التي تتشكل على ضوء محددات عدة تؤدي الى صياغة تعبير ثقافي نمط العيش المرغوب فيه والمرغوب عنه .

و هناك عدة تعريفات لمفهوم الثقافة عند علماء الغرب فقد عرفها بلور ادوارد في كتابه (الثقافة البدائية)" ،بأنها:" **ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل المعتقدات و المعلومات و الفن و الاخلاق و العرف و التقاليد و العادات و جميع القدرات الاخرى التي يستطيع الانسان ان يكتسبها بوصفه عضو في مجتمع** "[1] .

وهذا التعريف يؤكد لكلية المفهوم وتعقيده واتساع مدلولاته وتنوع عناصره ، كما يؤكد ان الثقافة اكبر من الافراد وانها نتاج الاجتماع الانساني، و ان الانسان يكتسبها ويتطبع بها دون اختياره فهي تسيره و تحدد ماهيته، و ترسم تفكيره ،وتبني نماذج سلوكه، و تصنع مسارات اهتماماته، و ترتب منظومة قيمه، فهو يكتسبها تلقائيا بوصفه عضواً في مجتمع، و ليس بتخطيط منه سواء كان اميا ام متعلما ،اما ما يفعله عن قصد بعد بلوغه الرشد فهو يأتي في الغالب تأكيدا لما كان قد تشكل به طفولته فنمو المعرفة يشبه نمو الشجرة [2] .

عرف بواز (BOAS) الثقافة،بأنها:" **تشمل على كل مظاهر العادات الاجتماعية في مجتمع، ورد فعل الفرد في تأثره بعادات الجماعة التي يحيا فيها،ونتاج الانشطة البشرية كما تحددها هذه العادات**"[3] .

اما رادكليف براون (Radcliffe-Brown)،كان يرى بان الثقافة "**هي العملية التي يكتسب الفرد بواسطتها المعرفة و المهارة و الافكار و المعتقدات و الاذواق و العواطف وذلك عن طريق الاتصال بأفراد اخرين او من خلال اشياء اخرى كما يكتسب الاعمال الفنيه** "[4] .في حين عرفها فاير بانك " **بانها شكل عام يعبر عن البنية الاجتماعية و النظام السياسي و الاشكال الاقتصادية و بنية القيم** " .وعرفها سابير بانها : " **مجموعة الممارسات و المعتقدات المتوارثة اجتماعيا التي تحدد جوهر حياتنا** "[5] .

اما تعريفات علماء المسلمين للثقافة بانها" هي ذلك الكم المعقد من المثل و الاشياء المادية التي يصنعها افراد المجتمع و اعضاء الجماعة لتنظيم حياتهم الجمعية . و هذا التعريف يتضمن عدد من النقاط الاساسية :منها: ان الثقافة من صنع البشر .وهي كم معقد،وتتوقف صناعة الثقافة على الظروف و تتأثر بها. كما ان المثل و الاشياء المادية هي التي تشكل الثقافة .بيد ان الثقافة تجعل من تنظيم حياة الناس على المستوى الفردي و الاجتماعي أمراً ممكناً يستفيد الافراد و الجماعات و الأجيال المتعاقبة من تجارب بعضهم البعض في تعميق الثقافة و الارتقاء بها .حتى الاجيال المستقبلية يتمتعون بإمكانية التصرف بالثقافة

[1] اندور حبيب ، الحوار الثقافي والاعلامي بين الشرق والغرب ، دبي الثقافية ، 2015 ، (ص45) .

[2] المصدرنفسه.

[3] احمدبن نعمان ، هذه هي الثقافة ، دار الامة ، الجزائر ، ص20 .

[4] المصدر نفسه ، ص21

[5] اندور حبيب ، الحوار الثقافي والاعلامي بين الشرق والغرب ، دبي الثقافية ، 2015 ، ص 46 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

التي يصنعها الاجيال الماضية ، وإن تعرض فهمها الخاص للثقافة و تاريخها وفقاً للظروف [1] .

و نكتفي بهذه العينات من التعاريف المختلفة للثقافة للتدليل على عدم إتفاق العلماء على صيغة موحدة العناصر لمفهوم الثقافة . غير ان اختلاف الصيغ و تعدد العناصر المتضمنة في هذه التعاريف لا يحول دون استنتاج بعض النقاط الاساسية المتعلقة بمفهوم الثقافة و التي تمثل القاسم المشترك بين جميع التعاريف ، ورد التعبير عنها بصيغ مختلفة كما هو واضح . وتتمثل هذه الاسس على الخصوص في ما يلي :

1. الثقافة شيء مكتسب ، و لا تمت بصلة الى المسائل الغريزية او الفطرية في الانسان .
2. الثقافة متبادلة التأثير مع الانسان،تؤثر بصفة خاصة على السلوك الفردي و الاجتماعي .

فقد لوحظ انه لا يخلو تعريف واحد من التعاريف المذكورة من الإشارة ــ صراحة أو ضمنا ــ الى عنصر اكتساب الانسان للثقافة او عنصر التأثير المتبادل بين الانسان و الثقافة ، و علاقه هذا التأثير بالسلوك الفردي والجماعي ، ولعل هذين العنصرين الاساسيين الثابتين في معظم التعاريف الموضوعة للثقافة يكفيان لقيام هذه الدراسة ، وسيظل تعدد هذه التعاريف و اختلاف صيغها أمراً طبيعياً يفرضه تعقد الحياة الانسانية عموما ، وحداثة عهد الاهتمام بدراسة الظواهر الثقافية بصفه خاصه كم سبق الاشارة .

- متغيرات بناء ثقافه الشباب [2] :

الحالة الطبيعية أن تكون ثقافه الشباب فرعية من ثقافه المجتمع في حالة امتلاك الاخيرة لبناء متماسك . غير ان تأمل حالة ثقافة المجتمع العربي في العقود الاخيرة يكشف عن تعرض ثقافة المجتمع لمجموعه من المتغيرات التي ادت الى انهيارها ، بحيث اصبح التفاعل الاجتماعي في مجالات عديده غير موجه بتوجيهات ثقافيه فعالة و قوية . و توجد مجموعه من المتغيرات المسؤولة عن انهيار ثقافة المجتمع و تشكيل ثقافة الشباب بطبيعتها ، و هو ما نعرض له :

1-تعدى التحولات الاجتماعية و الاقتصادية التي خضع لها بناء المجتمع العربي احد متغيرات انهيار ثقافة المجتمع و تشكل ثقافة المجتمع بالنحو التي هي عليه الان . ويكشف التاريخ القريب للمجتمع العربي خضوعه لعدة تحولات كان لها تأثيرها على ابنائه الاجتماعي و الثقافي . ويتمثل التحول الاول في المتغيرات الشاملة التي حدثت في الفترة التي امتدت خلال عقد الخمسينيات . ويتمثل التحول الرابع في التحولات التي طرأت على المجتمع العربي بفعل تدفق تأثيرات ايدلوجية العولمة ، التي فرضت ان يكون التحول الاجتماعي الاقتصادي ليبراليا واضحا في طبيعته بحيث يصبح المشروع الخاص ، هو القاعدة الاصل في التنمية الاجتماعية الاقتصادية على مستوى المجتمع العربي ، و من الطبيعي ان يجعل هذا التحول بمزيد من التغلغل للثقافة الغربية من ناحية ، وباحتمالية الصدام بين المنظومة القيمية التي يستند الخطاب العربي و الاسلامي من ناحية ، و بين المنظومة الغربية المتسللة من ناحية اخرى .

[1] تقي ازادا اومكي ، العولمة واثرها على الهوية و الثقافة الايرانية ، ترجمة علي طاهر الحمود ، بيت الحكمة ، بغداد 2012 ، ص 32 .

[2] علي ليلة ، الثقافة العربية والشباب ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، القاهرة ، 2003 ، ص23 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

2-وتشكل الهجرة الداخلية والخارجية المتغير الثاني على بنية الثقافة والقم . إذا كانت عقود الخمسينيات وحتى السبعينيات قد شهدت معدلات عالية من الهجرة الداخلية التي تنطلق من القرية الى المدينة . حيث كان المهاجرون بالأساس من الشباب الذين يبحثون عن فرص الحياة الأفضل في المدينة او الحضر .

3-ويعد العراك الاجتماعي للتغير الثالث الذي كان له تأثيره السلبي على ثقافة وقيم المجتمع . ولقد بدأت موجات العراك بعل ظروف عديدة ، منها : التوسع الكبير في التعليم ومد مجانية التعليم الى التعليم الجامعي .

4-ويعد الإعلام من المتغيرات التي ضخت قيما متناقضة ومنحرفة فأشاعت الفوضى بثقافة المجتمع . وإذا تناولنا دور الاعلام على المستوى القومي ، فسوف نجد انه يبث في احيان كثيرة مضامين اعلامية تتناقض مع احتياجات الواقع . فقد يعمل الاعلام بوسائله المختلفة على نقل تيارات وافكار وصور لنماذج لا تتلاءم ونظائرها في الثقافة القومية .

لقد بدأ الاعلام في عصر العولمة يلعب دورا مفككا للثقافة القومية لصالح الثقافة الامريكية التي هي الثقافة المراد عولمتها في هذا الاطار ، فان القول بالقرية الكونية يحتوي على مضامين خفية منها ما يؤكد على ان كل شيء في العالم بات مفتوحا على الاثير اللامتناهي ، و الهيمنة الفعلية لمن يمتلك وسائل الاعلام الاكثر قوة و الاكثر فعالة .

5-و تضرب ايديولوجيا العولمة الثقافة ضمن ما تضرب وبغض النظر عن دفاعات العولمة فما لاشك فيه ان العولمة الحالية متميزة وتهيمن عليها الولايات المتحدة كقوة مسيطره في عالمنا . يتخصص ذلك الباحث الفرنسي ((مارك اوجيه)) مشيرا الى غزو الصور الذي صار يغطي الارض كلها بانه:" **غزو يشنه نمط جديد من الخيال الذي يعصف بالحياة الاجتماعية ، يصيبها بالعدوى ويخترقها الى حد انه يجعلنا نشك فيها وفي واقعها ، وفي معناها ، وفي المقولات الخاصة بالذات والاخر التي تتولى تكوينها وتعريفها** "،وينبه وزير الخارجية الكندي السابق (فولنكر) الى احد ابعاد الهيمنة المنفردة للولايات المتحدة على العالم بقوله : "**إذا كان الاحتكار أمراً سيئا في صناعة استهلاكيه ، فانه اسوأ الى اقصى درجه في صناعة الثقافة ، حيث لا يقتصر الامر على تثبيت الاسعار وانما تثبيت الافكار ايضاً**"

المطلب الثاني : مفهوم الغزو الفكري والثقافي

أولاً : مفهوم الغزو الثقافي :

معنى الغزو الثقافي و المراد منه ، هو ان تقدم مجموعة سياسية او اقتصادية بالهجوم على الاسس و المقومات الثقافية لامة من الامم بقصد تحقيق ماربها ، و وضع تلك الامة في اسار تبعيتها . وفي سياق هذا الغزو تعمد المجموعة الغازية الى ان تحل في ذلك البلد و بالقسر ، معتقدات و ثقافة جديدة مكان الثقافة و المعتقدات الوطنية لتلك الامة . و الغزو الثقافي كالعمل الثقافي ، اذ هو ممارسة تتسم بالهدوء و عدم اثارة الضجيج و لفت الانتباه[1] .

يروم الغزو الثقافي ان يسلخ الجيل الجديد عن معتقداته بضروبها المختلفة . فهو من ناحية يهز قناعة هذا الجيل بمعتقده الديني و يقطعه من ناحيه ثانيه عن الاعتقاد بالأصول الثورية ، ويهدف من ناحية ثالثة الى قلعه من هذا الطراز من الفكر الفعال الذي

[1] علي الامين ، الغزو الثقافي ، دار الولاية ، بيروت لبنان، 1999 ، ص 37 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

دفع الاستكبار والقدرات الكبرى لاستشعار حالة الخوف والخطر .

في عملية الغزو الثقافي يقوم العدو بدفع ذلك الجزء من ثقافته الذي يرغب هو بدفعه الى البلد الذي يروم غزوه ، ويغذي الامة التي يستهدفها بما يريد ...[1] .

ولما كانت كلمة الغزو تحمل المعنى اللغوي الاصيل و دخول الجيش الغازي ارض العدو و السيطرة عليها و على من فيها و ما فيها ، فقد استعملت الكلمة مجازا حديثا في غزو المعاني والافكار و الثقافات الاخرى للمعاني والافكار و الثقافة الاصلية السائدة في امة من الامم ، لزحزحتها عن مكانها في امتها ، و الحلول محلها كلها او بعضها . فنقول ان الثقافة الاجنبية غزت الوطنية مثلاً ، ونقول ان المدلول المادي لكلمة الغزو المتمثل في الحرب والسيطرة ، استعمل في المدلول المعنوي المتمثل في غزو افكار وثقافة ومبادئ امة لأفكار وثقافة ومبادئ امة اخرى على سبيل المجاز .

لكن هناك فرقا : هو الفرق بين الامور المادية والامور المعنوية . فالغزو المادي المتمثل في الحرب ، لابد ان يكون وراءه قصد وجهود و استعداد موجه الى الخارج ، للغزو و السيطرة على بلد أو أمة من الأمم كشأن الحروب دائماً .

اما الغزو المعنوي فيجوز ان يكون وراءه قصد واستعداد ايضا ، لكن بالأسلحة الفكرية و المعنوية و تدبير وسائل الهجوم المعنوي بقصد تلويث افكار امة وتوهين مبادئها و الاستخفاف بأرائها وتقاليدها الاصلية لتتقبل بسهولة الافكار و الثقافة و المبادئ الوافدة عليها و الغازية لها ، لتذوب فيها ، ولجرها بالتالي الى ان تطبع حياتها بطابع الغازي كما يريد ، وتتخلى عن طابعها الاصيل .

وقد كان هذا من اهداف الاستعمار للسيطرة على بلد من البلاد ، فلا يكتفي بالسيطرة المادية المتمثلة في حكمه بجنوده ، بل يعمل على تحويل افكارها ونظرتها للحياة الى افكاره هو و ثقافته هو ، بحيث تصبح امتداد لثقافته ، ولو جلى بجيوشه عنها ، فيبقى الغزو الثقافي ، ولو زال الغزو العسكري ، ويبقى التعاطف والتبعية النفسية مع الامة التي رحل جنودها[2] .

لقد قرأنا لبعض رجال الانجليز الحكام عن البلاد التي استعمرتها تعبيرات تفصح عن هذا المعنى ، أو هذا الهدف ، مثل قولهم عن مصر و الهند : لو خرجنا عن مصر ، او لو خرجنا بجنودنا من الهند فسوف يظل لنا جنود يلبسون الطربوش او جنود يلبسون الزي الهندي من المصريين او الهنود يمثلون فكر الانجليز .

وهكذا عملت فرنسا في الشمال الافريقي و صرحت بذلك في غير مبالات ، و عمل المستعمرون على طمس هويتها الثقافية ايضا .وحتى لو صرفنا النظر عن مثل هذه الاقوال الصريحة التي تكشف لنا خبيات نفوس المستعمرين فان افعالهم و خططهم في البلاد التي استولوا عليها ، تكشف بكل وضوح عن اهدافهم في الغزو المعنوي الفكري لهذا البلاد .

و اهمية هذا الغزو عندهم هي : ايجاد رجال من البلاد المستعمرة يمثلون و جهة نظر المستعمرين وثقافتهم دائما .فمثل هذا الغزو كان وراءه تخطيط و ادارة وقوة تنفذه بوسائل متعددة ، يملكها المستعمر المسيطر[3] .

[1] نفس المصدر. ص 38 .

[2] عبد المنعم النمر ، الثقافة الاسلامية بين الغزو والاستغزاء ، دار المعارف ، القاهرة ، ص9 .

[3] عبد المنعم النمر ، الثقافة الاسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ص10 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

اساليب التسلل الغربي[1] :

يتخذ الغزو الثقافي اساليب متنوعة و طرق مختلفة بغية تحقيق النفوذ الى داخل البنية الفكرية للمجتمع الاسلامي و العربي و حتى يتم ذلك فان الاشكال العديدة لهذا التغلغل البطيء غالبا و الذي لا يبدو للاعيان الا بعد الانتباه و اليقظة و تحليل كل الاطاريح المقدمة من الغرب كمشاريع علمية وبنى ادبية و وسائل تربوية وطرق ترفيهية ما يمكن لنا اجمال بعض هذه الوسائل حسب ما كشفت عنه لنا التجربة بعيداً عن تلك الوسائل التي سيكشف المستقبل القريب عنها .

1-الاساليب التربوية : فأمريكا منذ بداية ما اسمته بالحرب على الارهاب اتخذت استراتيجيات معلنه بخطاباتها السياسية الى الدول الاسلامية لدعوتها الى تغيير مناهجها بما يخدم هذا الهدف اي مطالبة الساسة الامريكان من دول الخليج خاصة_ وعلى رأسها العربية السعودية_ ان تسعى الى تبديل مناهجها الدينية و التي يرى قادة امريكان انها تسهم في نشر الارهاب واعطاء خلفية دينية رجعية تساعد على نمو الفكر الاصولي المتعصب الهادف الى محاربة الاخرين و الدعوة الى العداء وعدم الانفتاح ، هذا و تلك البلدان ليست تحت سيطرة امريكا المعلنة (و ان كانت سياسات قادتها نابعة للإدارة الغربية منذ اجيال) فكيف ببلدنا الذي يعاني من محنة الاحتلال الرسمي والذي تبتغي امريكا- كما اعلنت اكثر من مرة على لسان سياسيها انها تريد ان تجعل العراق نموذجا رائدا فعال لتطلعاتها السياسية و الاقتصادية و الفكرية لرسم خارطة السياسة للمنطقة .

1. الاساليب الترفيهية : بسبب الفراغ التام او مشاق العمل يلجأ عموم الناس الى وسائل تحقق لهم مقدارا من المتعة و الفرح و اللهو و تختلف هذه الوسائل من جيل الى اخر وكذلك باختلاف الاذواق والثقافات والتوجهات ومن ذلك حاولت الشركات الغربية التي تسعى للربح الغزير ان تستغل هذا الجانب فعملت على الاعداد للعديد من الوسائل الترفيهية الالكترونية كالأتاري و البلايستيشن ونحوهما من الالعاب الحديثة و التي صار الكثير من الشباب واليافعين ضحية لها بسبب كونها تولد عند ممارسيها الانشداد الذهني و التركيز الشديد حتى ينعدم عندهم سمات الزمان فلا يشعرون بمرور الوقت الذي يهدر بلا تحفظ او حساب من احد وهكذا تستمر المعادلة حتى تمضي سنوات عديدة في فراغ و ضياع بلا عمل و فكر و ثمار مما تبني و تطور الوجود الانساني و تغنيه نحو تحقيق الامال و التطلعات .

2-الاساليب السياسية : شكلت الظاهرة السياسية اهم ما يشغل في فكر وامال الشريعة المثقفة في كل البلدان ، ورغم ذلك نجد الفساد لدى السياسيين هو الظاهرة الغالبة حتى في اكثر البلدان التي تدعي الحضارة و المدنية و ترفع شعارات حقوق الانسان و الديمقراطية . ان اعتماد سياسيينا على النماذج الغربية في فهم اليات العمل السياسي يجعلهم بمرور الايام نسخا لأولئك الساسة الغربيين ، فيغلب عليهم طابع الكذب والخداع للشعوب و الدعاوى المبالغ فيها و التي تصرف في الحقيقة كمفهوم حسب مصالح ومنافع السياسيين . فهم لا يقنعون الا بعملية التقليد الاعمى التي اعتادوا التعايش معها و في قبال ذلك نجد الفكر الاسلامي الرسالي يطرح الاطروحة القائلة بأن (ديننا عين سياستنا و سياستنا عن ديننا) بلا

[1] نشرت في جريدة البلاغ وبعض المواقع الالكترونية عام 2004 م (ط) .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

فصل لاحد عن الاخر ، فالسياسة اذا فهم منها تيسير عمل الناس و وضع الانظمة اللائقة لإدارة شؤونهم العامة مضافا لإدارة مصالح البلاد مع البلدان الاخرى فأنها لا تنفك ان تكون الصلاحيات المعلنة للشريعة التي يتولاها (الحاكم الشرعي) ضمن ضوابط و تفاصيل موكولة الى محلها من الدراسات الفقهية المفصلة . بينما الغرب يدعو الى الوجه الاول فأما جمهوري او فدرالي او شيوعي او نحوهما من المفاهيم الغربية متناسين ان هذه المفاهيم لها ما يقابلها في التراث الديني والوطني في اكثر البلدان ذات الحضارة الاصيلة كامتنا العربية الاسلامية . وامريكا اليوم تحاول ان تجعل في اكثر البلاد التي تقع تحت نفوذها رجالا من الساسة تحت تصرفها وادارتها ، ممن تحكمهم الانانية والنفعية على حساب اوطانهم وشعوبهم لاختزال مستقبل العمل السياسي في البلاد وحتى تبقى القطب الاوحد والتي يسير الجميع في مدارها .

3-الاساليب الإعلامية : منذ عقود من الزمان و المؤسسات الاعلامية الغربية تحت تصرف وادارة اللوب الصهيوني ، حتى كشفت دراسات حديثه ان الصحف و المجلات التي يملكها اليهود ذات التوجهات الصهيونية تزيد على احدى عشر الف صحيفة ، وعليه نعي حجم هذا الخطر و خاصة بعد تطور اساليب الاعلام الحديثة . فالقنوات الفضائية التي تبغي الفائدة والربح حتى لو تطلب ذلك عرضا مستمرا للأفلام الإباحية و الإجرامية التي تنشر الفساد و ترفد الجريمة بكل ما تحتاجه من دعم ، وتقف حائلا امام كل النشاطات التربوية السلمية التي يبغيها الناس لمجتمعاتهم وبلدانهم .

4-الاساليب الاقتصادية : ربما يصدق ان نسمي العامل الاقتصادي بانه الاساس في التحرك الغربي نحو الغزو العسكري و الثقافي معا ، فالغرب يبغي الفائدة و الربح و التي لا يمكن تحقيقها الا من خلال الحصول على الموارد الاولية للصناعة الحديثة وايجاد اسواق لتصريف السلع والمنتجات التي تحقق تلك الفوائد و الارباح . في قبال ذلك نجد ان الشعوب ذات الاقتصاد العالي اقل تعرضا لمخاطر الغزو الثقافي بسبب كونها ذات اكتفاء ذاتي الى درجة ما يسمح لها بالتحرك ورد الهجوم السلعي للغرب ، فالإنتاج الوطني الجيد لأي بلد يقف امام ذلك الغزو الذي يروج له من خلال الاعلانات المثيرة و الدعاوى المبالغ بها للمنتوجات الاستهلاكية الغربية . بينما نجد بلادنا العربية الاسلامية ضحية واضحة لغزو المنتجات وبالتالي تعزز الشعور بالحاجة للدول الغربية التي تستورد منها في الوقت الذي تظم بلادنا اكثر الموارد الطبيعية والبشرية التي لو استثمرت بشكل سليم فسنعيش الاكتفاء الذاتي في اكثر امورنا وحاجاتها !!.

ثانيا : مفهوم الغزو الفكري[1] **:**

نقول احيانا و يقول غيرنا :"**الغزو الفكري** "، فهل المراد به " **الغزو الثقافي** " او المراد الافكار الواردة علينا عموما ، نحاربها ونقف في وجهها . افكارا عابرة ، مجرد افكار او افكارا تحمل سموما ؟ ان الفكر و الفكرة اسم للتفكر وهو التأمل .. ففكر في الشيء بفتح الكاف بفتح الكاف وتشديدها ، اي تأمل فيه ، ورجل فكير بكسر الفاء و تشديد الكاف : كثير التأمل - والفكر والفكرة ما يخرج به الانسان من تأمله وتدبره ، او ما يخطر على العقل من المعاني و

[1] عبد المنعم ، الثقافة الاسلامية بين الغزو والاستغزاء ، دار المعارف ، القاهرة ، ص50 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الأراء - في اي امر من الامور ، ثابتة او عارضة في امر ديني او فلسفي او مادي ، صناعي ، علمي ، سلوكي ، حركي ، ... الخ .

فكل ما يتولد عن التدبر والتأمل في شيء من الاشياء يمكن ان يقال عنه : فكر ، فكرة ، و قد يكون فكرا صائبا ، و قد يكون غير صائب ، و يكون في امر واحد او في امور متعددة مشتبكة . وهو بهذا قد يخرج عن معنى الثقافة و قد يكون متصلا بها .فما الذي يمكن ان نسميه غزوا فكريا ونقف في وجهه ؟

مما لاشك فيه و من الطبيعي اننا لا نرفض الافكار الصالحة لنا أياً كانت وكان نوعها ومصدرها " **فالحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق بها** "، ولكنا نرفض افرادا وجماعة وأمة - ما لا يتفق و صالحنا عموما ، نرفض الفكر او الفكرة الضارة بالفرد و بالجماعة في اي امر من الامور .

نرفض الفكر الذي يحمل طابعا غير طابعنا ومبادئنا ، وقيمنا ، وتعاليم ديننا ، نرفض الفكر الذي يتعارض مع تقاليدنا وموروثاتنا الطيبة ، الذي يتصادم مع لغتنا وأدابها ، و مع احساسنا بالجمال .

نرفض اي فكر يهون من شان عقيدتنا ، او وطننا وارضنا ، او من جنسنا العربي ، و لو كان صادراً عن واحداً منا و كثير ما يرفض الواحد منا افكار اخيه او ابيه ، و اقرب الناس اليه لأنه يرى غيره ومقتنع به .. و كثيراً ما يغير الواحد منا فكره ورأيه في امر من الامور و يقبل على فكرة اخرى لكن ليس للإنسان المستقيم السوي ان يغير ثقافته ، او يرفضها او يرفض شيئا منها ، لأنها جزء من شخصيته وذاته وكيانه وملامحه الاصيلة فيه .

فاذا قلنا الغزو الفكري فإننا نريد الفكر الذي يخدش طابعا من طابعنا ،وركنا من اركان ثقافتنا وافكارنا الاصيلة .

وان كان من الاحسن ان نختصر الطريق ونقول : اننا نقف في وجه الغزو الثقافي .. لكن لما كان مفهوم الثقافة عندنا لا يزال مفهوما غامضا ، ويستعمله الكثير منا في غير موضعه _ كما هو معلوم اثر المتحدثون احيانا استعمال لفظ "**الفكر**" وان كنا قد احتجنا مع هذا الاستعمال الى تصدير الافكار التي نقف في وجهها ، ونخشى غزوها وتأثيرها فينا .

لكن حين يتحدد مفهوم"**الثقافة**" ويشيع بيننا ، يكون من الافضل او من الصواب استعمال كلمة "**الثقافة**" حيث نقول : اننا نقف في وجه (الغزو الثقافي) لأننا بمجرد ان نقول : نرفض سيطرة ثقافة غيرنا ، يكون الامر واضحا غير محتاج الى تقييد وتحديد ولا الى مناقشة ، لان ثقافة غيرنا لا تتفق طبيعياً مع ثقافتنا تماما كما يقول : نرفض ان تطغى علينا شخصية غيرنا او عقيدة غيرنا او نقع تحت تأثير تقاليد وموروثات غيرنا .. نرفض ان تمحى لغتنا او تضعف أدابنا .. او يعبث الغير بوطننا .

لكن اذا قلت : نرفض فكر غيرنا فأن الامر لا يسلم لك دون ملاحظة وتعقيب ويقال لك : كيف ؟ وقد يكون الفكر صالحا ومفيدا ومن المصلحة قبوله ؟ حينئذ تحتاج الى ان تقول الفكر الذي لا يصلح لنا .. اما اذا قلت : نرفض ثقافة غيرنا فالأمر يسلم لك ويؤخذ بالقبول لان قبول ثقافة الغير وهي مخالفة لثقافتنا طبعا - معناه مسخنا ومسخ ثقافتنا وشخصيتنا ..ومع ذلك سيظل الباب مفتوحا لعبارة "**الغزو الفكري**" حتى يتضح مفهوم الثقافة ويتحدد ويشيع في الاذهان وعلى هذا فلا باس الان

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

استعمال "**الغزو الفكري**"الذي نعدده في مفهومنا بالأفكار المغايرة لأفكارنا الأصيلة لثقافتنا ، لشخصيتنا ، فينصب الرفض على هذا الفكر .

المبحث الثاني : الغزو الثقافي للمجتمع العربي

المطلب الاول : الغزو الثقافي وتأثيره على المجتمع العربي[1]

تعاني ثقافتنا العربية في وقتنا الحاضر من ازمة حادة ممثلة بعدم قدرتها على التصدي الحازم للثقافات الاجنبية وخاصة الثقافات الغربية التي تدخل مؤسساتنا العلمية ومراكزنا الثقافية ، لا بل حتى بيوتنا دون استئذان ، بعد ان تم لها هدم الحواجز والجدران عبر تقانات المعلومات والاتصالات المختلفة من حواسيب واقراص حاسوبية مدمجة وشبكات المعلومات الدولية وقنوات تلفازية واقمار صناعية ومحطات فضائية وكتب ومجلات وغيرها ، وهي جميعها تنقل لنا كل يوم وجهات نظر المجتمعات الغربية او الاصح وجهات نظر الحكومات الغربية بشان احداث العالم ومنها بلداننا العربية وبما يعبر في الغالب عن مصالحها التي لا تتطابق في معظم الاحيان مع وجهات نظر مجتمعنا العربي الاسلامي ، لا بل انها اخذت تروج قيما " ومفاهيما " تتناقض مع قيمنا العربية الاصيلة ومبادئ ديننا الاسلامي الحنيف الى الصاق تهم الارهاب والتعصب والعنف ، والتخلف وعدم التسامح وكراهية الاخرين بالمسلمين بصورة ولم تقف الجهات المعادية عند هذا الحد فقط ، بل انها راحت تتدخل بقوة في الشؤون الداخلية للعديد من البلدان الاسلامية بدعاوى محاربة الارهاب تحت يافطة ما اطلقوا عليه عقيدة بوش الامنية التي تروج لها وسائل الاعلام الامريكية المختلفة ، والتي مفادها باختصار شديد ان على الولايات المتحدة الامريكية العمل بصورة حثيثة على نشر مفاهيم الثقافة واسلوب الحياة الامريكية واشاعتها بين الشعوب المختلفة بالإفادة من تقانات المعلومات والاتصالات ووسائل الاعلام المختلفة وتوظيف الجامعات والمراكز الثقافية المنتشرة في ارجاء العالم المختلفة لهذا الغرض تحت واجهات واقنعة براقة في اطار نظام العولمة ، والعمل في الوقت نفسه على التقليل من شان ثقافات وحضارات الشعوب الاخرى وخاصة الثقافة العربية الاسلامية بحجة عدم الاستجابة لمتطلبات العصر الحضارية ، مما يتطلب وضع البرامج واعداد الخطط للتدخل في برامج التربية والتعليم في البلاد العربية والتأكد من اندماجها التام بالحضارة العربية كونها الحضارة الارقى في العالم . وهم بذلك يسعون الى الغاء هويتنا القومية وخصوصيتنا الوطنية وانهاء دور امتنا الحضارية وتهميشه في احسن الاحوال ، والاخطر من ذلك كله اثارة نعرات وعنعنات عرقية وطائفية في هذا القطر وذاك كما يحصل حاليا في اقطار السودان ومصر والجزائر والمغرب وغيرها ، تارة بإحياء الثقافة الأمغازية وتارة باسم حقوق الاقباط في مصر واخرى بحق تقرير المصير .. الخ ، ولعل ما يحدث في فلسطين المغتصبة من مجازر وحشية ضد ابنائها من قبل العصابات الصهيونية يعبر بوضوح عن عجز المثقفين العرب في معظم الاقطار من دورها في هذه المأساة القومية بخلاف ما كان عليه الحال ابان المد القومي الهادر . وها هي الولايات المتحدة الامريكية تحتل عراقنا الاشم بهدف السيطرة على

[1] داخل حسن جريو : المثقف العربي والتحديات المعاصرة ، المجمع العلمي ، 2004 ، ص15 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

ثرواته النفطية للتحكم بمصير العالم تحقيقا لمصالحها الامبريالية الضيقة .

التحديات الخارجية التي تواجه الثقافة العربية :

أولا : تحديات الصهيونية العالمية والمشروع الصهيوني المتمثل في احتلال فلسطين ، وفي اهدافه التوسعية التي تمثل جميع اجزاء الوطن العربي .

معلوم ان الصهيونية العالمية انتاج يهودي ابتكره اليهود ليحققوا من خلالها وبوساطتها اهدافا مختلفة بعضها كبيرة عريضة و بعيدة وبعضها الاخر اقرب منالا ، وان غاية الصهيونية القريبة والتي تحققت بعد نصف قرن من انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في بازل بسويسرا عام 1897 م هي استيطان ارض فلسطين واقامة دولة لليهود فيها ، ثم غايتهم الابعد بعد ذلك هو احتلا الوطن العربي من النيل الى الفرات ، فان لم يكن ذلك ممكنا بطريق الاحتلال العسكري ، فانه في نظرهم ممكن من الناحية الاقتصادية والسياسية ، اما الهدف الاعظم فهو السيطرة على العالم : حكوماته وسياساتها ، واقتصاده وثقافته ، وهو امر قد تحقق لهم منه قدر كبير ، السنا نرى اكبر دولة في العالم يعمل وكانه ناطق رسمي باسم حكومة اسرائيل وريس وزرائها شارون ؟ الا ترى حكام العالم الغربي في أوربا وقادتها يتوددون لليهود وزعمائهم ، وينتقون كلماتهم بحذر شديد كلما تحدثوا عن اسرائيل وجرائمها ؟

وكأن قادة اسرائيل هم من عينهم في مناصبهم ، فهم يخشون اغضابهم حتى لا يفقدوا هذه المناصب العالية ، ثم أليست افعالهم تدل على ذلك . ان قادة الغرب يعدون اسرائيل ودعمها بلا حدود استراتيجية ثابتة ، والامر صحيح ، لكن الامر فيه اكثر من ذلك و لقد بين عدد من الباحثين في الغرب ان أصابع الصهيونية واليهود لم تكن بعيدة عن احداث القرن العشرين تعبث لصالحهم : الحربين العالميتين الاولى والثانية ، انشاء عصبة الامم ثم هيئة الامم المتحدة بعد ذلك ، وقبلها اتفاقية سايكس – بيكو ، و وعد بلفور .ثم الانتداب البريطاني لفلسطين وهزيمته 1948م ، مرورا بالعولمة بكل جوانبها الاقتصادية و السياسية و الثقافية و العسكرية و انتهاء باحتلال العراق اذا تركنا هذا وعدنا الى اقرب المشاهد الصهيونية الينا نجد اسرائيل التي تهدد باحتلالها ارض فلسطين الهوية الثقافية العربية ، انها لا تتحدى شعب فلسطين فحسب بل تتحد الامة العربية باسرها و تتجاوزها الى الامة الاسلامية فقوتها العسكرية تفوق ما لدى الدول العربية واقتصادها يسعى لفرض نفسه على كل اسواق الدول العربية تمهيدا لفرض القرار السياسي عليها ، القرار الذي سيكون ضد الهوية الثقافية العربية لقد ابتكرت الصهيونية – متحالفة مع الغرب - مصطلحات تناقض الهوية الثقافية العربية وتهدف الى محوها من الذهنية العربية ، مثل مصطلح الشرق الاوسط بدلا من العالم العربي و مصطلح الشراكة الاوروبية المتوسطية ، واخيرا مصطلح الشرق الاوسط الكبير ، لتدخل اسرائيل تحت مظلة هذه التسميات كقطر شرعي وتتراجع الهوية العربية و تنحدر ، هذه الهوية العربية في جوهرها الهوية الثقافية العربية .

و الغريب ان عددا غير قليل من المثقفين و الاعلاميين و وسائل الاعلام ينساقون مع هذه التسميات و لا ينبهون او ينتبهون الى ما تنطوي عليه من مخاطر تهدد الهوية الثقافية العربية في الصحيح . ان خطر الصهيونية متمثلة في أداتها ومشروعها القائم على ارض فلسطين يستهدف بالفعل الانسان العربي

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

، بدءا بإنسان فلسطين و جودا و تاريخا وحضارة و عقيدة و ثقافة وكرامة و حرية انها باختصار تستهدف الهوية الثقافية العربية التي تعني كل ابناء الامة العربية الاسلامية بال انها تتجاوز في استهدافها و تحديها ذلك لتصل الى الامة الاسلامية و الهوية الاسلامية ، كما اشرنا انفا ، و الصهيونية كالغرب لا يميزون كثيرا بين العرب و المسلمين فهم عندهم سواء من حيث استهدافهم ومعاداتهم ، و لا غرابة في ذلك فهم حلفاؤهم ضد الامة العربية[1] .

ثانيا : التحديات التي ترجع الى القوى الامبريالية و العولمة ، معلوم ان الاستعمار حين ترك البلاد العربية كاحتلال ، سرعان ما عاد ليتخذ صورا و اشكالا اخرى ، استعمار اقتصادي وسياسي و فكري و ثقافي فالدول الغربية تعتبر المنطقة العربية منطقة مصالح استراتيجية لها لموقعها الجغرافي المتوسط بين دول العالم و لثرواتها العديدة و اهمها النفط ، و لتكون سوقا لمنتجاتها ولتنشر فيها وبين ابنائها ثقافتها فتظل عاجزة تابعة لا تشكل خطرا عليها ولا على مصالحها ولتجردها من اقوى اسلحتها المعنوية وهو ثقافتها التي باتت تشكل خطرا على ثقافة الغرب العلمانية و تطرح نفسها بديلا محتملا للثقافة الغربية فهم يتحسبون لهذا الخطر اكثر مما نتصور ، تدل على ذلك حربهم المعلنة على العرب و الاسلام تحت مسميات الحرب ضد الاصولية و ضد الارهاب ، ومحاولاتهم السافرة للتدخل في مناهج التعليم الديني في البلاد العربية و الاسلامية .

ان تحديات الدول الامبريالية الغربية اليوم للثقافة العربية تكاد تشمل كل المجالات الرئيسية : الاقتصادية و السياسية و الثقافية و العسكرية ، القروض المشروطة التي تمنحها للدول العربية بفوائد عالية ، القيود التي تفرضها على نشاطها الاقتصادي و العقبات التي تضعها امام التنمية الاقتصادية ، و الاتفاقيات الثنائية التي تكون عادة لصالح الدول الاقوى كل ذلك يكرس التبعية الاقتصادية للغرب ان هم يضغطون لدرجة الفرض على الدول العربية لشراء السلاح الذي لم يعد مواكبا للتقدم التكنولوجي لاستنزاف ثروات هذه الدول . يمارس الغرب الامبريالية ضدنا غزوا ثقافيا يريد من خلاله فرض ثقافته علينا بقصد الهيمنة و الغلبة و السيطرة ، فهو يريد ان يكون تعاملنا مع انفسنا و مع الاخرين و مع الكون و مع الله ايضا على وفق الثقافة الامريكية العلمانية ومن الحق ان نقول : ان جزءا من هذا الغزو الثقافي نستجلبه نحن بأيدينا ، و يمارس الغرب علينا غزوا فكريا يتجلى فيما يصدره لنا من افكار في شتى مجالات الفكر : الاقتصادي و الاجتماعي و التربوي و السياسي و الاداري ، و نحن نستورد كل ذلك فرحين به ، لأننا غير قادرين على انتاج الفكر في هذه المجالات و ولعا بتقليد الغرب - كما ذكره ابن خلدون - الغالب لقد وصل الامر بالمغرب الى غزونا في قيمنا الثقافية ، كالذي حدث في المؤتمرات الدولية العديدة : المؤتمرات المؤثرات العالمي لحقوق الانسان في فينا عام 1993م و المؤتمر العالمي للسكان في القاهرة عام 1995م و المؤتمر العالمي حول المرأة في بكين عام 1994م وغيرها و كل هذه المؤتمرات التي يقودها الغرب تعرضت لجانب او اكثر من قيم ثقافتنا العربية

[1] عزمي طه ((السيد أحمد)) ، هموم ثقافية في عصر العولمة ، اربد ، الاردن ، 2015 ، ص 124 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

التي ترجع الى ديننا الاسلامي ، و تطاولت بشكل مباشر على هويتنا الثقافية العربية [1] .

ثالثا : تحدي الشرعية الدولية ، هذه التي اتخذتها الدول الغربية - وعلى راسها امريكا -اداه و وسيلة اخفت عليها طابع الشرعية الدولية لإحكام الهيمنة والسيطرة على دول العالم الثالث وفي مقدمتها الدول العربية .

والمقصود بالشرعية الدولية هنا هو استخدام المنظمات الدولية لإصدار قرارات ذات صفة دولية ، تطبق - تحت شعار الشرعية الدولية - على الدول الضعيفة و منها الدول العربية ، و هي قرارات تحقق فقط مصالح الدول الكبرى الغربية عند التحقيق و تبدأ هذه المنظمات بهيئة الامم و مجلس الامن الى منظمة التجارة الدولية و البنك الدولي ، وصندوق النقد الدولي ، و منظمة اليونسكو الى اخر قائمة المنظمات الدولية التابعة للأمم المتحدة ، هذه المنظمات التي تشكل قراراتها ما يسمى بالشرعية الدولية هي احد الادوات التي تستخدمها امريكا بالدرجة الاولى و معها الغرب لنشر العولمة اي احكام الهيمنة الاقتصادية و السياسية و العسكرية و الثقافية و الفكرية على دول العالم الثالث و الدول العربية في مقدمتها بل وتصل اهداف العولمة (الامريكية) الى الدول الغربية الاخرى ، لقد شكا مسؤولون في فرنسا و كندا من الغزو الثقافي الامريكي الذي كاد يهدد خصوصيتهم الثقافية [2]

المطلب الثاني الغزو الثقافي وتأثيره على الشباب العربي [3]

يتعرض الشباب العربي الى الغزو الاجنبي في كل فرع من فروع الثقافة ، التي تنقل مدخلاتها الى عقولهم فيظهر مفعولها في سلوكهم واسلوب معيشتهم ، ليس في مرحلة الشباب فحسب ، بل ايضا في المراحل السابقة عليها .فملابسهم وكثير من الادوات والاجهزة التي يستعملونها في بيوتهم ، ووسائل اتصالهم ونقلهم ، حتى ادوات كتابتهم واجهزة تصويرها وتسجيلها ، كلها مصنوعة في الدول الاجنبية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية ، وبريطانيا ، واليابان ، وفرنسا ، والمانيا . وهذه ظاهرة تلفت نظر الشباب العربي منذ ان يقوى وعيهم ويتأكد ادراكهم ويشتد تمييزهم ،حتى اذا بلغوا سن الشباب و دخلوا مرحلته المعتدة من بعد الثامنة عشر اصبحوا من التأثر بالغرب الاجنبي المادي ، بحيث يصيرون وان لم يشعروا دعاة لاستخدام مصنوعاته . وينجم عن كثرة الطلب لها و تزايده المستمر ، وجود التجار الوكلاء الذين يستثمرون اموالهم في استيرادها وتسويقها و الاعلان عنها وترويجها .

و تلعب (المودات) المستحدثة دورا مهما في جذب الشباب و شد انتباههم الى الجديد منها ، و العزوف عما صار قديم الشكل والحجم ، مما اصبح الاستمرار على استعماله يدل على طبقة لا يستطيع دخلها اقتناء الجديد في طرازه أي (مودته) .و يتضخم هذا الغزو المادي في عقول الشباب ، بانتشاره في كل المجالات التي ينشط فيها الشباب و في كل شكل من اشكال التجمعات التي ينتمون لها و يندمجون مع افرادها من

[1] عزمي طه السيد احمد ، هموم ثقافية في عصر العولمة ، اربد ، الاردن ، 2015 ، ص 126 .

[2] نفس المصدر ص196 .

[3] سامية الساعاتي ، الشباب العربي والتغير الاجتماعي ، الدار المصرية اللبنانية ، 2003 ، ص 56 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الاسرة الى المدرسة الى النادي الى الجامعة الى مكان العمل اذ فيها كلها تستخدم ادوات و اجهزه مستورده من الدول الاجنبية و مختومة بعبارة : "**صنع في الولايات المتحدة الامريكية**" او "**صنع في بريطانيا**" او "**صنع في اليابان**" .. و هلم جرا ، و تصبح هذه العبارة من ابرز المخلات الثقافية المادية في عقول الشباب الذي ينبهر بالصناعة الاجنبية وبخاصة صناعة السيارات التي يستهويه قيادتها ، و صناعة ادوات الترفيه واجهزتها الالية بما في ذلك الحاسب الالي (الكمبيوتر) ، الذي صنع اصلا لخدمة العلم و الباحثين في شتى فروعه و طلابه .

ويقوى انبهار الشباب بكل ما هو من صنع اجنبي ما يرونه على الشاشة الصغيرة في بيوتهم مما يعرضه التلفزيون من موضوعات و افلام ودعايات تنضح بحضارة الغرب ، اي بثقافتهم المادية و هذا فضلا عما يتاح بواسطة الفيديو من رؤية اشرطة تبهر العقول بمادياتها ، اضافه الى الانترنت و الاتصالات الالكترونية . و ليس بغريب اذن ان يتوق الشباب الى زيارة الدول الغربية و السياحة فيها ، و شراء مصنوعاتها ، والاقتداء بشعوبها في استعمالها ، ثم التفنن في استعمالها استعمالا سيئا في اشباع شهواتهم الملتهبة .

لكن اخطر شيء في الغزو الاجنبي يكمن في الجانب في الجانب غير المادي أي المعنوي من الثقافة ، الذي يشمل الافكار و الاراء والمعتقدات و المعايير والقيم ، التي تملي على الشباب الوانا من السلوك ، اذا تكرر بانتظام اصبح لهم عادات و اعرافا وتقاليد و بدعا ، يتمسكون بها بشدة و الى درجة التعصب في كثير من الاحيان و ذلك لانبهارهم الشديد ، بها وإعجابهم البالغ بقائليها وكاتبيها و مصوريها . وهكذا يصبحون بدون ادنى تفكير اتباعا لهم يأخذون عنهم و ينقلون من كتبهم ويدعون لأفكارهم ، بصرف النظر عما اذا كانت متطرفة وهدامة او شكاكة و ملحدة او منحرفة او اباحية وفاجرة . و يزيد الامر خطورة ، عندما يصبح لمدخلات الغزو الاجنبي غير المادي ، أي المعنوي قيمة كبيرة بين الشباب وحيث يصبح مختزنها و المتأثر بها والداعي لها مرموقا بينهم يلتفون حوله ويقدرونه ويقلدونه علي حين يصبح النافر منها والمفند لها والمحذر من شرورها ، تقليديا محافظا و جامدا و متأخرا يبتعد عنه من فقدوا هويتهم من الشبان المبهورين بالثقافة الاجنبية غير المادية .

و خطر الغزو الاجنبي على الشباب العربي يظهر اثره المرضي في اصابتهم بنوع من الدونية الفكرية المحبطة ، امام الثقافة الاجنبية بعناصرها المادية وغير المادية ، فيقتنعون بانهم المغلوبون في عملية الغزو الذي يتغلب فيه الاجانب على ايد عربية مضللة ومضلة . و "**المغلوب مولع ابدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وبخلقه وسائر احواله وعوائده**" .هكذا قرر العالم الاجتماعي العربي ، عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته([1])منذ اكثر من ستمائة سنة . و هذا أمر سهل الاستقراء من الاطلاع على كتب القائمين بالتدريس في الجامعات العربية ومقالاتهم المنقولة من كتب الاجانب و مجلاتهم العلمية . و ذلك ان الكتب و المقالات العربية ، التي كتبها الأساتذة والباحثون العرب المنبهرون بالإنجازات و الافكار و المعتقدات و المعايير والقيم الاجنبية تنضح بأسماء الاجانب و تنظيراتهم وأراءهم و مقولاتهم ، بدون تفرقة بين الغث

[1] -عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون،ج1،(بيروت: دار الساقي،1988م)،ط3،ص(ص147)

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

منها و السمين ، لان حب الشيء يعمي ويصم كما تقول الحكمة العربية .

و الامر الذي يجب التنبه له هو انتقال التبعية الى الثقافة الاجنبية بعناصرها المادية وعناصرها المعنوية من اساتذة الجامعات الى طلابهم وبخاصه المتفوقين منهم .

الذين تحرص الجامعة على تعيينهم ليخلفوا اساتذتهم بعد بضعة سنوات ، فينقلونها بدورهم الى طلبتهم ، وهكذا يتوارث الانبهار بالفكر الاجنبي للشباب العربي عبر الزمن ، و تترسخ مدخلات الثقافة الاجنبية في عقولهم و هذا اقصى ما يتمناه الاجنبي ان يجد ان ثقافته تترسخ وتتوطن على يد شباب الوطن العربي انفسهم جيلا إثر جيل . وهكذا تحول الاستعمار في الوطن العربي من الاحتلال العسكري الكثير التكلفة الى احتلال ثقافي لا يكلف الدول الاجنبية اعباء مالية و انما يسهم بفاعلية في ثرائها عن طريق ترويج انتاجها المادي والمعنوي على ايدي فئات غافلة او مستهترة او متطرفة من ابناء الوطن العربي ذاته .

المبحث الثالث : الغزو الثقافي وتأثيره على العراق

المطلب الأول : الثقافة والسياسية

يشكل غزو العراق واحتلاله من قبل القوات الامريكية - البريطانية منعطفا حازما وخطيرا في التطور السياسي للعراق ولجعل المنطقة العربية والعلاقات الدولية فهو اذ اتى يهدد سيادة بلد ويسقط نظامه السياسي بالعنف المسلح ويطيح بالدولة العراقية و يحل مؤسساتها و ينشر الفوضى او التسيب ويطلق مافيات النهب و التخريب لتعبث في امن البلاد و العباد وتنهب المتاحف و الممتلكات العامة ، ويفجر تكوينات البنية الاجتماعية العراقية و يعمل فيها تفكيكا وتفتيتا يردانها الى بنى عصبوية : اثنية ، وطائفية ومذهبية وعشائرية ... ، واذ اتى يضع ثروات العراق ومقدراته – وفي مقدمتها النفط – بين ايدي الشركات الامريكية والبريطانية ، ويضع وحدة العراق وعروبته موضع بحث واعادة نظر ... [1] ،

ان احتلال العراق حقق للاستراتيجية الامريكية اهدافا عدة ، فقد ازالت نظاما سياسيا معاديا لها ويهدد مصالحها الحيوية ويشكل خطرا جديا على اسرائيل ، كما افاض هذا الغزو ان تتواجد الولايات المتحدة في اهم رقعة جيوبوليتيكية بما تحصله من تأثيرات جيواستراتيجية لممارسة النفوذ والتأثير الفاعل على عموم المناطق الحيوية للمصالح الأمريكية ، سواء في الشرق الاوسط واسيا الوسطى وجنوب اسيا وفي المداخل والممرات البحرية و البرية ذات الاهمية الكبرى في عمليه الصراع الدولي و اعطى الاحتلال الفرصة للولايات المتحدة ان تسوق انموذجها الليبرالي الذي يعتمد على اقتصاد السوق من خلال العمل على صياغه الحياة السياسية و الاجتماعية والثقافية في العراق الجديد بما يتلاءم والعصر الامريكي الطاغي والمتحكم في احوال العالم واحداثه ، هادفة من ذلك تعميم التجربة في عموم بلدان الشرق الاوسط ذات الانظمة الشمولية المستبدة [2] .

نظام سياسي مستورد [3]

---

[1] من مقدمة كتاب احتلال العراق ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2004 .

[2] حميد حمد السعدون ، الفوضى الامريكية ، دار ميزوبوتاما ، بغداد ، 2013 ،ص 240 .

[3] مُحَمَّد صاحب الدراجي ، رماد بابل ، دار الحكمة لندن ، 2017 ، ص46 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

ساعد النظام السياسي الذي تشكل عام 2003 على بقاء القوانين هذه ، و الدستور الذي صيغ على عجل كتب في ظل لحظة التباس سياسية كبرى لا يمكن الاعتماد عليه في حذف قرارات بريمر لأنه كتب تحت رعاية الحاكم المدني وعنايته مثلما هو نظام لا يساعد على بناء دولة قامت على انقاض دولة منهارة في 2003 .

ان النظام البرلماني مقتبس من النظام السياسي للكيان الاسرائيلي و النظام السياسي البريطاني ، و كلا النموذجين لا يصلحان ابدا في صياغة واقع برلماني عراقي شبيه بالبنية الاجتماعية والسياسية والتاريخية والوطنية العراقية . ولعل الاختلالات التي يعانيها قانون الانتخاب العراقي جزء من اشكالية الصياغة القانونية للمشروع المدني بريمر .

ان الصياغة الاسرائيلية قائمه على الدولة الدينية المستوحاة من الانغلاق على النزوع القومي التوراتي الموحد و الاحزاب الاسرائيلية لديها نفس الاهداف والاستراتيجيات السياسية للدولة الاسرائيلية وان اختلفت في بعض التفاصيل .

اما الرؤية البريطانية فهي مشيدة على قواعد تجربة طويلة في الديموقراطية ، و مديدة في ادارة الدولة ، والاحزاب السياسية فيها عابرة للأديان والقوميات والجنسيات ، يتساوى فيها وزير من اصل عراقي مسيحي ورئيس لجنة نيابية في البرلمان من اصل عراقي كردي سني و رئيس بلدية من اصل عراقي شيعي وعمدة للعاصمة لندن من اصل باكستاني ، ناهيك عن بقية الاعراف والأديان لكنهم ينتمون الى احد الحزبين الرئيسيين و الحزب بالأغلبية هو المسؤول عن تشكيل الحكومة ، قد يحتاج الى تحالف بسيط مع الحزب الثالث الثانوي في الحياة السياسية البريطانية .

هذه المعادلة البريطانية هي التي شكلت ديناميات استمرار الديموقراطية ، و هي التي تمد الدولة بعناصر الحركة و الفاعلية والانتاج . اما في العراق فان المسألة قائمة على المحاصصة الحزبية و الطائفية ، و في ظل التقسيم المذهبي المعد سلفا لمستقبل العراق و في ظل دستور يضج بالانقسامات السياسية والطائفية لا يمكن تقديم نموذج انتخابي او تجربة في الديموقراطية ، هي تفتقد التدرج المنطقي للقوانين الوطنية و ليس الاجنبية و الاهم من ذلك ان الذين كتبوا الدستور العراقي مجموعة من السياسيين المرتبطين بأجندات حزبية و طائفية متحفزة ! فرق كبير بين رجال قانون يكتبون الدستور وبين مجموعة من السياسيين الذين يكتمون الدستور لحماية حقوق احزابهم السياسية ومكوناتهم المجتمعية .

لهذا تبنى هذا الدستور صيغة لإدارة الدولة العراقية غير موائمة للقناعات الجوهرية لأبنائه ، لكنه ينسجم والرؤية السياسية الدولية الجديدة للمنطقة ، حيث قضى الدستور الجلوس في مقاعد المحاصصة الطائفية وعدم مغادرتها على خلفية اتقنت لعبة قائمة على وجود فريق من الأحزاب السياسية نشأت بعده 2003 ، اعتمدت في عمليات كسبها الانتخابي على النزوع الطائفي و القومي ، حتى التحالفات الانتخابية والكتل السياسية المؤتلفة ما بعد الانتخابات ، اخذت ذات الطابع المذهبي والقومي والاهم من ذلك اقترحوا ما يسمى ((التوافق السياسي)) الذي دمر ظاهرة وجود برلمان يقدم المصالحة الوطنية والتأكيد على حق المواطنة ، انما هو برلمان قائم على ادارة مجموعة من السياسيين ولا معنى لوجود ناخب !

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

ديمقراطية العراق على اسس خاطئة [1] .

ان احد الاسباب التي جعلت الولايات المتحدة الامريكية لإسقاط نظام البعث في العراق هو حجة نشر الديموقراطية الغائبة في الشرق الأوسط هي، باعتقادها ان العراق ارضا خصباً أن يكون قاعدة انطلاق للديموقراطية في المنطقة ، الاعتبارات كثيرة ومنها السياسية و الجغرافية التاريخية و العمق الثقافي و الاستراتيجي في الشرق الاوسط . حيث وجد الانسان العراقي بعد التغيير انه امام سياسية متصارعة على السلطة ونوازع جشعة لأصحاب مصالح فئوية و شخصية ، وهؤلاء ليست لديهم اي قناعات راسخة في تطبيق الديموقراطية ونجاحها في العراق ، و محاولتهم دائما ان تتوزع المناصب والوظائف ما بينهم على شكل محاصصة او حسب الاملالات التي تأتي من هنا و هناك والتي عرقلت مسيرة البلاد ، وصراع هذه القوى على المناصب منذ بداية التغيير خلقت فراغا امنيا حائلا وعدم استقرار في العراق التي ادت الى العنف الطائفي والفساد الاداري والمالي والى انتشار الخراب والسرقات للمال العام وزرع القلق في نفوس العراقيين ، وظهور الكمية الهائلة من السلع الغذائية الفاسدة التي تنتشر في الاسواق العراقية دون رقابة لوزارة الصحة على هذه السلع ، اضافة الى بذور النزاعات الشمولية يعاون ذلك شيوع النزعة الاقصائية والاستشارية واستمرار عمليات القتل والخطف والتفجير والتي تنال من ارواح الناس ودمائهم وممتلكاتهم العامة والخاصة الى جانب افساح المجال للتدخل السافر واللا اخلاقي لدول الجوار في الشأن العراقي . هذه الاحداث والمشاكل اصبحت تمثل منعطفا خطيرا يؤثر على حياة المواطن العراقي وعلى البنية التحتية في العراق ، وبات العراقيون لا يعرفون كيف يعالجون قضاياهم بأنفسهم ، وعاجزين عن الاستجابة للتحديات المفروضة عليهم .

المطلب الثاني : الثقافة الاجتماعية

الإعلام وتأثيره على الثقافة الاجتماعية :

لعب الاعلام العالمي دورا سلبيا كبيرا في المشهد العراقي بعد 2003 وذلك بسبب الانغلاق على وسائل الاعلام العالمية المسموعة والمقروءة ابان الحكم البائد ، مما ولد ردة فعل سلبية في تلقف تلك الثقافات الواردة وصار يظن ان الظلم الذي كان يعاني منه نتيجة لثقافته وحضارته وتاريخه ، وبذلك تنكر لها وصار يفضل ثقافات الشعوب الاخرى التي لا تتلاءم مع بيئته وارضيته اذ الافكار مثل النبات تصلح في ارض ولا تصلح في اخرى . وهنا لا ندعوا الى الانغلاق الفكري الذي يؤدي الى التخلف والرجعية ولكن نبين دور التغيرات الديلاكيتية ومساوئ تغير النظام وعدم وجود دور فاعل للمؤسسات الاعلامية في نشر الثقافة الوطنية .

وفي بداية الاحتلال الامريكي للعراق ، لم تندرج وسائل الاعلام الاقليمية يوما في مجرى النزاع ، مثل اندراجها في العراق . عقب الحرب فقد العراق اية وسيلة اتصال جماهيري ، من التلفزيون والراديو والصحف التي تسيطر عليها الدول ، فوقع بالكامل تحت تأثير الشبكات الاعلامية الاقليمية ، التي كانت معادية ل" **عملية حرية العراق** "، شأنها شأن الجمهور

[1] محمود الوندي ، ديمقراطية العراق على اسس خاطئة ، 2010 ،. شبكة المعلومات الدولية(الانترنت)، الموقع. www. https:// / View.php?cat=5656 . almadapaper.net

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

في المنطقة بشكل عام . وقد كانت هذه الشبكات معارضة بقوة للانتقال السلمي ، وداعمة صراحة للعنف السياسي . في ظل التأثير المستدام للإعلام الاقليمي ، اختزل النزاع العنيف في العراق الى نزاع امريكي مقابل "**المقاومة**" من دون أي عوامل اخرى او عمليات اخرى خارج تلك الثنائية . وقد اكتسبت كلمة "**مقاومة**" مضامين شرعية ، واندمجت بنجاح الخطاب السياسي العام في العراق ، ان هذا التأطير منح شرعية للعنف السياسي ، واصبح محرضا ، وعامل تعبئة ، على مستوى المنطقة . والمفارقة ان الصحافة الغربية والاعلام الالكتروني شاركا ، على نحو مقصود ، في ترويج هذه النظرة . فصور الاقتتال ، وسوء المعاملة ، سواء الفعلية او المختلفة استحوذت على مخيلة الشباب ودفعتهم الى السعي وراء الانتقام والحلول العنيفة[1] .

منذ بداية العام 2004 انكسر الاحتكار الاقليمي التلفزيوني . فقد بدأت مجموعات عراقية بإنشاء شبكات تلفزيونية اكثر تنوعا ، (الشرقية) ، (الفيحاء) و (السومرية) وغيرها ، لتقديم الاخبار للجمهور العراقي ، في الوقت الذي بدأت في الشبكات الاقليمية منحازة او غير اهل للثقة .

ان للمواد الاعلامية تأثيرات كبيرة في تكوين المشاعر الانفعالية ، واتجاهات التقبل ، او النبذ التي تحكم العلاقات الاجتماعية بين الطوائف والاقوام والاديان والحركات السياسية ، التي تحرك السلوك في منطقتنا العربية والاسلامية على وجه الخصوص . وهي كذلك حرب عند النظر اليها من المنظار الاقليمي نجد انها حرب تعاملت معها جميع الدول في المنطقة ، وبالطريقة المشوشة نفسها التي تعامل بها الحلفاء ، وبالجهة نفسه في تصوير الاتجاه وامعان التأثير في الوعي العراقي . ان التوجه الرسمي لفتح الحدود ، والسعي الشعبي لاستخدام محطات التلفزة والمذياع في فضائه بكثرة ، والرضوخ الحكومي لأنها عصر التصريح والتشويش والرقابة على المطبوعات والاعمال السينمائية وبقية وسائل الاتصال ، كلها توجهات مهدت الى فتح الابواب ، كل الابواب امام الاسلحة النفسية دون اي مقاومة ، او حرج يذكر ، خاصة إن هذه الاسلحة تمتاز عن غيرها من الاسلحة التقليدية كون اجراءاتها متعددة ومتغيرة تتلون باستمرار تبعا للظروف والمواقف[2] .

وبذلك نرى دور الغزو الفكري والثقافي في العراق واضحا من خلال وسائل الاعلام الاقليمية والعالمية ، من خلال نشر الاخبار والتقارير وكذلك المسلسلات والافلام الاجنبية سواء الأكشن او الاباحية ، فوجدت الارض الخصبة بين العراقيين فانتشرت بكثرة وصارت المادة الاعلامية المفضلة للعائلة العراقية والشباب لتنشر بعد ذلك الجرائم والفواحش وعمليات الانتحار في مجتمع محافظ نتيجة للاستجابة والمحاكاة التي يقوم بها المشاهد . كل ذلك ادى الى تغير ملحوظ في الثقافة الاجتماعية العراقية ، فعندما ننظر الى هذه الثقافة الدخيلة ، فنجد انفسنا لسنا بمجتمع عربي اسلامي .

[1] فريق ابحاث ، ديناميكيات النزاع في العراق ، بغداد ، 2007 ، ص 59-51 .

[2] سعد العبيدي ، ثقافة التضاد العراقي بين زمنين ، بغداد ، 2011 ، ص 61-62 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الهوية والغزو الثقافي[1] :

ان الهوية الثقافية والاجتماعية لكل امة من الامم تعد امرا اساسيا وضروريا عندهم حيث يجب الحفاظ عليها من الضياع والتشويه ، فالأمم جميعا تفتخر بقيمها وعاداتها وانحطاط الحياة فيها ونماذج السلوك التي تمارسها والتي تختص بها من دون باقي الامم والشعوب .

وفي قبال ذلك فان الغزو الثقافي الغربي يستهدف هذه الهوية ، من خلال محاولة المسخ التدريجي لها وطمس البقية الباقية منها ، ليصح المواطن العربي المسلم ضحية للإعلانات التجارية المثيرة ، والتي اصبح الفرد الامريكي نفسه يشعر بالإفلاس منها ، فصارت لا تمثل مستوى الطموح لديه .

ان الاعتبار بتجارب الماضي يعد امرا ضروريا في هذه المرحلة ومن التجارب المهمة القريبة والتي عايشناها ، ذلك الغزو الثقافي لدول الخليج عام 1991م ، فيمكن ملاحظة ان الصناعة الامريكية الثقافية قد غزت اسواق تلك البلدان ومشاعر واهتمام الاهالي ، ولا سيما الاطفال والمراهقين والشباب حتى صارت سمة الاستسلام امام طريقة الحياة الامريكية تتجلى في كل الاماكن والمرافق حتى داخل الاسر المحافظة على جميع المستويات من اسلوب الاستهلاك الى طريقة الملبس حتى وسائل الترفيه ، بل انها تفشت الى الجامعات والمؤسسات العلمية التي تملك رصيدا من الوعي والثقافة .

ان خطر التبعية للغرب هو حقيقة الازمة التي نعاني منها والتي ستفرض علينا اكثر فأكثر من خلال وسائل الاعلام والمؤسسات الثقافية التي بدأت بغزو عراقنا منذ سقوط نظام صدام ، بينما تمخضت الازمة عن ضعف الوعي لدى افراد المجتمع تجاه ماضي الامة وحاضرها والذي نخشى ان يصبح سعة عامة ظاهرة للعيان ، مما يؤدي في المستقبل الى ضياع الهوية الدينية والوطنية ان استمر الوضع بالتفاقم .

وهنا علينا ان ننتبه الى ان النظام الغربي العلماني المقترح كبديل للهوية الوطنية والاسلامية ، انما شكل نظام العفالقة الزائل قمة الهرم فيه ، في مرحلة السبعينيات حتى نهاية الثمانينيات ، فقد كانت وسائل الاعلام الغربية تثير بذلك النظام وهو يقمع الملايين من شعبنا من اجل مصالح فئوية خاصة لنظام الدكتاتور ، وهو بصورته هذه كان يعد النظام الامثل من وجهة نظر الغرب العلماني،كما صرح بذلك كبار سياسيهم ومراقبيهم ومثقفيهم وقتها .

ان استمرار المناخ والظروف لتي تمهد لتكريس التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية ، تشكل تحديا خطيرا يجبان نناضل بوعي ضده ، حتى لا نكون ضحية من جديد لنظام يجعل الغرب سيدا مطاعا فيتبع خطاه بجميع الابعاد والصور ، فالهوية الاسلامية والوطنية للعراقيين هي موضع فخرنا واعتزازنا فهي ليس حملا ثقيلا نسعى للتخلص منه كما يصور ويوهم البعض بذلك انها هي حصيلة تجربة عاشتها الامة لتكون رصيدا ترجع اليه في كل الازمات والمحن ، لبلوغ مستقبل ينعم فيه الجميع بالحرية والعدالة تحت ظل الاستقلال .

[1] بهاء حمزة عباس ، العراق الجديد والغزو الثقافي ، دار الفيحاء بيروت ، ط 3 ، 2013 ، ص 15 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الخاتمة

بعدما تعرفنا الى مفهوم الغزو الفكري والثقافي والذي يهدف الى طمس الهدية الوطنية للبلاد المستهدفة ، من خلال تغيير ثقافتها ومبادئها عن طريق الاساليب المباشرة او الغير مباشرة أي قد تكون اساليب فكرية او سياسية او عسكرية .

ومن اجل الوقوف على اهم ما يجب ان نعمله حتى لا نكون ضحية لذلك الغزو ، فلا بد من المقاومة والتصدي للخطر المرتقب على مختلف المستويات ، واول ما نقوم به هو التعريف بهوية الدولة الوطنية وهذا يقع على عاتق المثقفين والدولة واصحاب المنابر ونحوهم . والثاني هو ملأ الاوقات حتى لا يكون فراغ كبير لتلقي الثقافات المضادة ، من خلال العمل والتعليم والرياضة والمساهمة بإقامة المهرجانات والتجمعات الفكرية والثقافية . وثالثا العمل على تنمية المواهب من خلال الابداع والتجديد والتطوير و الاندراج في المؤسسات العلمية والادبية ، وكذلك على الدولة الاهتمام بالمناهج التربوية وبناء جيل من المدرسين يعي عملية التغيير الافضل النابع من بناء الفرد علميا وروحيا . وكذلك العمل على نشر الفكر الهادف من خلال المؤتمرات والندوات التثقيفية واقامة معارض الكتاب العامة التي تحتوي على الفكر الابداعي والطرح التجريدي والسمات الناهضة . واهم ما يجب ان نعمله هو تعزيز الروح الوطنية لدى الافراد لان المجتمع الذي تنعدم فيه الروح الوطنية يكون عرضة لعملية الغزو الفكري والثقافي .

المصادر والمراجع

1-بهاء حمزة عباس ، العراق الجديد والغزو الثقافي ، ط 3 ، دار الفيحاء ، بيروت ، 2013.

2-الدكتور عزيز الحاج ، المؤسسة العربية ، بيروت ، 1983 .

3-احمدبن نعمان ، هذه هي الثقافة ، دار الامة ، الجزائر ، .

4-اندور حبيب ، الحوار الثقافي والاعلامي بين الشرق والغرب ، دبي الثقافية ، 2015 ، .

5-تقي ازادااومكي،العولمة واثرها على الهوية والثقافة الايرانية،ترجمة علي طاهرالحمود،بيت الحكمة،بغداد،2012 .

6-علي ليلة ، الثقافة العربية والشباب ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، القاهرة ، 2003.

7-نشرت في جريدة البلاغ وبعض المواقع الالكترونية عام 2004 م (ط) .

8-عبد المنعم النمر ، الثقافة الاسلامية بين الغزو والاستغزاء ، دار المعارف ، القاهرة.

9-داخل حسن جريو : المثقف العربي والتحديات المعاصرة ، المجمع العلمي.

10-عزمي طه السيد احمد ، هموم ثقافية في عصر العولمة ، اربد ، الاردن ، 2015.

11-سامية الساعاتي ، الشباب العربي والتغير الاجتماعي ، الدار المصرية اللبنانية ، 2003 .

12-من مقدمة كتاب احتلال العراق ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2004 .ص7.

13-حميد حمد السعدون ، الفوضى الامريكية ، دار ميزوبوتاما ، بغداد ، 2013 ، .

14-مُحَمَّد صاحب الدراجي ، رماد بابل ، دار الحكمة لندن ، 2017 ، ص46 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)
15-محمود الوندي ، ديمقراطية العراق على اسس خاطئة ، 2010 ، شبكة المعلومات الدولية(الانترنت)،
الموقع. www. / View.php?cat=5656 .
https:// almadapaper.net .
16-فريق ابحاث ، ديناميكيات النزاع في العراق ، بغداد ، 2007 .
17-سعد العبيدي ، ثقافة التضاد العراقي بين زمنين ، بغداد ، 2011.
18-عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون،ج1،(بيروت: دار الساقي،1988م)،ط3.
19-علي الامين ، الغزو الثقافي ، دار الولاية ، بيروت لبنان، 1999.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الكوارث الطبيعية في بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط آثارها وسبل الحد منها (السيول والفيضانات أنموذجاً)

د. حنان محمّد علي سويد
أستاذ مشارك
كلية الآداب والتربية بجامعة صبراتة

ملخص : لم تكن بلاد المغرب الإسلامي بمعزل عن تقلبات المناخ والطبيعة ، فقد تعرضت عبر تاريخها الطويل للعديد من الكوارث الطبيعية ، والتي صنفتها كتب التاريخ والجغرافيا والمتمثلة في المجاعات والأوبئة ، والزلازل والأعاصير والسيول والفيضانات ،وآفة الجراد ، وقد أثرت هذه الكوارث على التطور الديموغرافي والحياة الاقتصادية بالدرجة الأولى ، كما كان لها آثارُ نفسيةُ جسيمةُ على شعوب المنطقة ، وما يشهده العالم اليوم هو زيادة حدة هذه التقلبات المناخية وأثرها في تفاقم خطر الكوارث الطبيعية التي حصدت الكثير من الأرواح البشرية مخلفة آثاراً جسيمة على الاقتصاد والتركيبة السكانية ، وحرصاً على توجيه البحث العلمي لخدمة المجتمع فإن التاريخ ملي بالدروس المستفادة ، فهو سلسلة متصلة من تجارب الأمم السابقة وما تشهده المنطقة اليوم مرت به في العصور الإسلامية السابقة وإن كانت الظروف تختلف ، ولكن النتيجة واحدة ، ومن هنا كان الدافع للحديث عن مخاطر السيول والفيضانات على بلاد المغرب الإسلامي وآثارها على المجتمع ، وجهود الدول للتقليل من أضرارها .

الكلمات المفتاحية :السيول ـ الأمطار ـ المغرب الإسلامي ـ الكوارث الطبيعية ـ الأنهار ـ السدود ـ القناطر .

Summary:

The countries of the Islamic Maghreb were not isolated from climate and natural fluctuations. Throughout their long history, they were exposed to many natural disasters, which were classified in history and geography books, namely famines, epidemics, earthquakes, hurricanes, torrents, floods, and locust plagues. These disasters affected demographic development and economic life. In the first place, it also had serious psychological effects on the people of the region, and what the world is witnessing today in terms of the increasing severity of these climate fluctuations and their impact on exacerbating the risk of natural disasters that have claimed many human lives, leaving huge impacts on the economy and demographics, and out of a desire to direct scientific research to serve society. History is full of lessons learned, as it is a connected series of the experiences of previous nations and what the region is witnessing today. It went through it in previous Islamic eras, even if the

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

circumstances differed, but the result is the same. Hence the motivation to talk about the dangers of torrents and floods on the countries of the Islamic Maghreb, their effects on society, and the efforts of countries. To reduce its damage.

Keywords: floods - rain - the Islamic Maghreb - natural disasters - rivers - dams - barrages.

تتناول هذه الورقة البحثية أهم السيول والفيضانات ببلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ، والتي سببت كوارث في مناطق المغرب الإسلامي، و لا يمكن حصرها بالكامل في دراسة واحدة ، ويعتبر الجفاف وما يتبعه من انتشار للقحط والمجاعات وكثرة الأوبئة ، من الكوارث الطبيعية التي تنتج عن قلة الأمطار ، وفي المقابل توجد ببلاد المغرب موجات من السيول والفيضانات التي أسهمت سلباً في فساد المحاصيل الزراعية وجرف التربة ، وهذا بدوره له آثار سيئة على المجتمعات المغربية ، وسنحاول تتبع أشهر هذه الفيضانات وجهود الدول في مواجهتها ، علنا نستطيع الاستفادة منها لمواجهة مخاطر الكوارث الطبيعية التي تواجهها المنطقة حالياً .

أهمية الدراسة وأهدافها :تكمن أهمية هذه الدراسة في توضيح وإبراز خطورة ظاهرة السيول والفيضانات ، والتعرف على الأسباب من الناحية التاريخية من خلال دراسة فيضانات العصر الوسيط في بلاد المغرب ، واستنتاج خلاصة تبين خطورة هذه الظواهر الطبيعية وسبل مواجهتها من خلال استقراء تجارب الأمم عبر تاريخها الطويل لتجنب حدوث الأضرار والحد منها .

أما الهدف منها فهو تتبع أهم الفيضانات والسيول في بلاد المغرب الإسلامي والوقوف على خطورتها، ووضع قاعدة بيانات من خلال مثل هذه البحوث وربط التسلسل التاريخي بعلم الجغرافيا وعلوم الهندسة البيئية مستقبلاً للحد من أضرار هذه الكوارث الطبيعية والتنبيه إليها .

المنهج المتبع في الدراسة: ستحاول الباحثة تحليل وتوظيف المعلومات لخدمة هذا الموضوع ، باتباع أسلوب علمي تحليلي ، للوصول إلى نتائج للاستفادة منها لأن التاريخ دروس وعبر من الماضي للحاضر والمستقبل .

ربط بعض المؤرخين أسباب الكوارث الطبيعية والتي من بينها الفيضانات بالبعد عن الدين فهي نوع من العقاب الإلهي ، حيث علل الفقهاء بل حتى عامة الناس أن من أهم أسباب الكوارث الطبيعية كالأوبئة والجفاف والسيول لاسباباً أخلاقية ترجع إلى انشغال الناس بالدنيا وملذاتها وإقبالهم على المعاصي وإهمال الطاعات والفروض ، فكان الماء آيةً من آيات الله سبحانه وتعالى في هلاك وعقاب القوم الظالمين ، كما تعرضت المنطقة لسنوات من الجفاف والقحط ، وقد أعقب ذلك نزول كميات كبيرة من الأمطار تسببت في السيول والفيضانات ، وجريان الأودية الأمر الذي أودى بحياة الكثير من البشر ، وفساد المزروعات ، وخسائر في البنية التحتية للدول ،وفي هذه الورقة البحثية يتم تتبع أشهر السيول والفيضانات التي اجتاحت منطقة المغرب الإسلامي والتي كان أغلبها فيما بين القرنين السادس والثامن

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الهجريين / الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين

وسيتم تقسيم الورقة إلى ثلاثة مباحث :

الأول : أشهر السيول والفيضانات بالمنطقة

الثاني : الآثار التي تحدثها السيول والفيضانات

الثالث :سبل مواجهتها والحد منها

الدراسات السابقة : توجد العديد من الدراسات السابقة التي سلّطت الضوء على تاريخ المجاعات والأوبئة في بلاد المغرب الإسلامي وكذلك بلاد المشرق الإسلامي ، ومن أهمها كتاب (الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوكيات وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس) لمؤلفه الدكتور عبد الهادي البياض والذي عالج فيه موضوع الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها وكيف أثرت في عقل الإنسان سلباً وإيجاباً ، وكذلك دراسة أخرى بعنوان (الكوارث الطبيعية على بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين) للدكتور مُحَمَّد عيساوي تناول فيه المجاعات والأوبئة والسيول والعواصف وتطرق من خلال دراسته لردود أفعال الإنسان المغاربي حيالها ، ومن الدراسات المشرقية كتاب (الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر الإسلامية) للدكتور البيلي مُحَمَّد بركات ، وغيرها من الدراسات الأخرى .

مقدمة : ويوضح العلامة ابن خلدون في مقدمته سبب الكوارث والأوبئة بأنه فساد الهواء وما يخالطه من العفن والرطوبة وكثرة العمران ويذكر أن مصر وفاس بالمغرب أكثر المناطق تعرضاً للكوارث بسبب كثرة البناء [1] . وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن التوسع في العمران والبناء من شأنه أن يسهم في تلوث البيئة وانجراف التربة، لذلك وجب التحذير من البناء في المناطق المجاورة للأودية والمنحدرات الجبلية حتى يتجنب وقوع الكوارث الطبيعية التي من شأنها أن تتسبب في هلاك البشر وتدمير البنية التحتية للدول.

ويعود مصدر الجائحة حسبما أورده أحد الباحثين إلى الاضطرابات المناخية التي تحدث فجأة، والتي لا دخل للإنسان فيها ، ولا قدرة له على ردها [2] ، وقد شهد تاريخ المغرب الإسلامي حدوث الكثير من الكوارث الطبيعية وكان أغلبها جفافاً ومجاعات وتلتها سلسلة من الأوبئة ، كما كان للسيول والفيضانات دورُ في حدوث بعض الكوارث التي تركت آثاراً جسيمة على المنطقة [3] .

وتعتبر مياه الأمطار من المصادر الهامة التي يعتمد عليها سكان المغرب الإسلامي وبخاصة في مجال الزراعة سواءً في مدن المغرب الأدنى مثل القيروان أو الأقصى كمراكش وكذلك بالنسبة لمدن المغرب الأوسط، حيث تزخر المدن المغربية بالعديد من الأودية التي تمتلئ بالمياه في مواسم الأمطار، والتي ذكرتها كتب المصادر التاريخية والجغرافية [4] .

والحدود المكانية لهذه الدراسة بلاد المغرب الإسلامي وهي تشمل الأقاليم الواقعة غرب مصر حتى المحيط الأطلسي ، ويقسمها الجغرافيون إلى ثلاث بيئات وهي : المغرب الأدنى ، والمغرب

[1] مقدمة ابن خلدون ، (بيروت ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، 2000 م) ، ص 195 .

[2] ـ عبد الهادي البياض ، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 6 ـ 8 هـ / 12 ـ 14 م) ،(بيروت ، دار الطليعة ، لبنان ، 2008) ، ص 19 .

[3] ـ المرجع نفسه ، ص 20 وما يليها .

[4] ينظر : ابن حوقل النصيبي ، صورة الأرض ، ج 1 ، (بيروت ، دار صادر ، 1863) ، ص 62 وما يليها / الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ترجمة : مُحَمَّد حجي ، ومُحَمَّد الأخضر ، (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط 2 ، 1983م) .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الأوسط ، والمغرب الأقصى [1] ، وقد اقترن تاريخ هذه المناطق بكثرة الكوارث الطبيعية والتي يأتي في مقدمتها الجفاف وما يترتب عليه من المجاعات والأوبئة ، وبما أن الحديث عن هذه المجاعات والأوبئة قد زخرت به المصادر والمراجع وأفاضت فيه ، فقد رأت الباحثة التركيز على السيول والفيضانات والتي أحدثت كوارث بشرية في فترة الدراسة ولا زال خطرها مستمراً في هذه الفترة بسبب قلة التدابير التي تتخذها الدول في مواجهتها وبخاصة تلك التي تكثر بها مجاري الأودية .

المبحث الأول : أشهر السيول والفيضانات :

شهدت بيئات المغرب الثلاث حدوث العديد من السيول والفيضانات ، كان من نتيجتها هلاك كثير من البشر ، وتدمير المنازل ، واقتلاع الأشجار ، وبالتالي جرف التربة ، مما أثر على الاقتصاد وركود التجارة ، وانتشار الأمراض والأوبئة ، وكان لتقلبات الجو والمناخ دورٌ مهمٌ في نزول الأمطار في فصل الصيف ، وغالباً ما تكون هذه الأمطار ضارة حيث تسهم في تلوث الهواء وانتشار الأمراض [2] ، وقد تتبع المؤرخ ابن أبي زرع الفاسي أحداث الكوارث الطبيعية في بلاد المغرب ، وسجلها مقيدة بسنوات حدوثها ، وآثارها ، وأشار إلى نتيجة هامة مترتبة عنها وهي خوف الناس الشديد من هذه الكوارث ورجوعهم إلى الله سبحانه وإكثارهم من الصدقات ، واللجوء إلى الطاعات [3] .

حدثت سيول عظيمة بمدينة قرطبة في سنة 161 هـ / 777 م وقد سببت أضراراً كبيرة ، وتكرر السيل فيها مرة أخرى في سنة 182 هـ / 798 م حيث ارتفعت مناسيب المياه في نهر قرطبة وفاضت مياهه على جانبيه محدثة دماراً في المنازل وفي الأراضي الزراعية [4] .

تعرضت بلاد المغرب إلى سيول ومنها في سنة190 هـ عندما خرج إدريس بن إدريس لاختيار موضع لبناء عاصمة لدولته " الأدارسة " ولما وصل جبل زالغ أعجبه الموضع وبدأ بالبناء ، ولكن أتاه سيل من أعلى الجبل هدم المباني وحمل الخيام وأفسد الزرع ، فأيقن أن هذا الموضع لا يصلح للبناء [5] .

شهدت بلاد المغرب الإسلامي رخاءً عظيماً دام عدة سنوات منذ سنة 208 هـ وحتى سنة 247 هـ ، بعدها توالت الكوارث الطبيعية ببلاد المغرب من القحط ، والمجاعات ، وغلاء الأسعار ونتج عن ذلك موت خلق كثير في بلاد المغرب وكذا بلاد الأندلس وكان ذلك فيما بين سنتي 253 هـ و260 هـ ، وتبعها زلزال عظيم في بلاد المغرب والأندلس في سنة 267 هـ / 881 م وقد أحدث أضراراً بليغة في المباني فسقطت الدور وتهدمت القصور وفر الناس إلى البراري وقد عم هذا الزلزال بلاد العدوة من طنجة إلى تلمسان [6] .

---

[1] ـ ابو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد الشريف الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،ج 1(القاهرة : المكتبة الثقافة الدينية ، 1994)

[2] ـ الحسن الوزان ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 79 .

[3] ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس ، راجعه : عبد الوهاب بنمنصور ، ط 2 ، (الرباط ، المطبعة الملكية ، المغرب ، 1999 م) ، ص 121 .

[4] ـ ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ،ج 4، تحقيق : بشار عواد ، مُحَمَّد بشار عواد ، (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،) ، ص

[5] ـ أحمد بن القاضي المكناسي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، ج 1(الرباط ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، المغرب ، 1973م) ، ص 27 .

[6] ـ ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب ، ص 118 ـ 120 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

تعتبر سنة 342 هـ في تاريخ المغرب سنة مليئة بالكوارث الطبيعية ، حيث نزل عليها برد عظيم لم تشهد مثله من قبل ، قتل الماشية ، وأفسد الثمار ، وتلاه سيول وفيضانات بجميع أنحاء المغرب ، وكانت محملة بالرعد والبرق الشديدين

ومصحوبة بالرياح العاصفة التي هدمت المنازل والدور ، وفي سنة 344 هـ كان الوباء العظيم ببلاد المغرب والأندلس الذي هلك فيه خلق كثير [1] .

يتضح مما سبق ذكره أن السيول والفيضانات غالباً ما يتبعها انتشار للأمراض والأوبئة وذلك نتيجة طبيعية لأن المياه الراكدة تسبب فساد الهواء وانتشار الرطوبة وانعدم التهوية الجيدة كلها تسهم في كثرة الأوبئة .

ومن السيول والفيضانات التي شهدتها المنطقة تلك التي حدثت في سنة 378 هـ ، حيث فاضت أودية المغرب ووصلت إلى مرحلة لم تعهدها من قبل ، وقد شهدت البلاد قحطاً شديداً في سنة 381هـ ، وجفت المياه باستثناء وادي سجلماسة الذي شهد سيلاً لم يبلغه من قبل وقد تعجّب الناس من ذلك ، وفي أواخر هذه السنة أغاث الله الأمة ونزلت الأمطار وعم الرخاء بين الناس [2] .

والمتتبع لهذه الأحداث يلاحظ العملية التراتبية لهذه الكوارث ، تحدث المجاعة ومن ثم تأتي سيول وفيضانات ويتبعها انتشار للأمراض والأوبئة ، وقد أجمعت كتب المصادر على أن المجاعات والأوبئة حصدت الكثير من الأرواح البشرية ببلاد المغرب ، ومع ذلك كانت هناك جهود كبيرة من أجل مجابهتها والحد من أخطارها .

تتميز بلاد المغرب بكثرة الأنهار والأودية ، وارتفاع منسوب المياه فيها عن معدلاته الطبيعية الأمر الذي ينتج عنه تدمير للعمران وهلك وتجريف للأراضي الزراعية ، وقد تميزت مدينة تلمسان ، وقسنطينة كذلك بالبرودة الشديدة وكثرة الأمطار التي تستمر أحياناً من فصل الربيع وحتى الشتاء ، وكثيراً ما كانت هذه السيول تعيق الأنشطة الاقتصادية ، وقد كانت السيول التي تتساقط من المرتفعات الجبلية غزيرة وشديدة وعادة ما تجرف معها الحجارة والصخور محدثة أضراراً بليغة وكانت معيقة للنشاط الاقتصادي [3] .

شهدت مراكش أمطاراً وفيضاناتٍ غزيرةً في سنة 524 هـ / 1130 م ، تزامناً مع موقعة البحيرة بين المرابطين والموحدين ، وقد تجددت هذه الأمطار في سنة 531هـ / 1137م ، حيث دامت أربعين يوما ، مخلفة العديد من الخسائر البشرية والمادية ، وكان لهذه الأمطار دورٌ في توقف الحروب ومنها السيول التي حدثت في سنة 533 هـ / 1139 م والتي أسهمت في توقف الحرب الدائرة بين المرابطين والموحدين والتي انتهت بانتصار الخليفة عبد المؤمن بن علي على الأمير المرابطي تاشفين بن علي ، وقد وصف هذه السيول العديدُ من المؤرخين منهم ابن عذاري ، والنويري وبينوا آثارها بالنسبة للجيوش وما

---

[1] - ابن أبي زرع ، الانيس المطرب ، ص 124 .

[2] - ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب ، ص 145 .

[3] مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق : سعد زغلول عبد الحميد (دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ، بغداد ، د. ت) ،ص 166 ،167 ./ مُحَمَّد رمضان الشاوش ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان ، عاصمة دولة بني زيان ، ج 1 ، (بن عكنون ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2011 م) ، ص 2 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

عانته من نقص في الأقوات وبرودة في الطقس الأمر الذي أدى إلى تفشي المرض فيهم [1] .

وفي ذلك الأمر نتيجة مهمة إذ يوحي توقف الحرب بين الموحدين والمرابطين إلى شدة هذه السيول وقوتها ، حتى تسببت في وقف القتال الدائر بين الطرفين ، وفي ذلك إشارة واضحة وصريحة إلى الآثار الاستراتيجية لهذه السيول كونها سبباً مباشراً في وقف الحرب ، بل وتغيير مسار المعارك في التاريخ الإسلامي .

لم يكن ذلك نهاية السيول والفيضانات ببلاد المغرب فقد شهدت المنطقة أمطاراً طوفانية في سنة 536 هـ / 1141 م ، الأمر الذي تسبب في سيول جارفة حملت الأخضر واليابس ، واستمرت لمدة خمسين يوماً ، خربت القرى من جرّاء طوفان أودية فاس ووادي سبو ووادي ورغة ، وقد جاءت هذه الفيضانات بعد معاناة الناس من المجاعة في سنة 535هـ / 1142 م ، ونتج عنها انتشار الأوبئة في المنطقة ، وشهدت سنة 581 هـ / 1185 م سيولاً جارفة تزامنت مع حملة الموحدين إلى بجاية لرد بني غانية فامسكتهم الأمطار في مدينة فاس وتعذر السير عليهم نتيجة مدود الأنهار وجريان الأودية [2] ، وفي ذلك إشارة إلى أن المجاعات كثيراً ما كانت تعقبها سيول جارفة .

استفحل القحط والمجاعات والسيول في منطقة المغرب الإسلامي منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ففي سنة 626 هـ / 1229م ، شهدت مدينة فاس فيضان واديها نتيجة السيول وتهدم جزء من سورها القبلي ، وهدمت العديد من المنازل وفي سنة 634هـ / 1237 م تعرضت مراكش لمطر شديد متوالٍ وكانت تعاني قبلها من مجاعة وقحط ، وقد تركت هذه السيول خسائر كبيرة في العمران الاجتماعي والديني [3] .

كما تعرضت مدينة تامسنا للسيول الجارفة التي تسببت فيها الأمطار العاصفية في سنة 677 هـ / 1278 م والتي منعت جواز القوات المرينية إلى بلاد الأندلس بقيادة السلطان يعقوب بن عبد الحق ، كما شهد الربع الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي تغيرات مناخية جرفت القرى وهدمت المباني ففي سنة 722 هـ / 1322 م نتيجة الرياح العاصفة التي استمرت يومين متتالين وتبعها سيول وأمطار شديدة انعدم بسببها الحطب والبياض واستفحل الغلاء بمعظم بلاد المغرب [4] .

يذكر صاحب الأنيس المطرب تعرض مدينة فاس لإعصار شديد أعقبه مطرٌ وابلٌ محملٌ بالسيول الطاغية التي حملت الناس والدواب وأفسدت الزرع والشجر ، ومما لاشك فيه أن مدينة فاس ابتليت بالسيول من جراء فيضان واديها المتكرر منذ سنة 722 هـ/ 1322م وحتى نهاية الربع الأول من القرن الثامن خلفت خسائر كبيرة وكانت سبباً في تفشي الأوبئة من جراء تحلل الجثث ، وقد شهد القرن الثامن سيولاً جارفة في أغلب مدن المغرب ولا يكاد

---

[1] ـ شهاب الدين أحمد النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 24 ، تحقيق : حسين نصار ، (القاهرة ، 1983 م) ، ص 291 .

[2] ـ ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : إحسان عباس ، ج 4،(بيروت ، دار الثقافة ، ط 2 ، 1980) ص 99 . / عبد الهادي البياض ، الكوارث الطبيعية ، ص 47 .

[3] ـ ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب ، ص 360

[4] ـ عبد الهادي البياض ، الكوارث الطبيعية ، ص 54 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

يخلو قرن من مآسي هذه السيول والفيضانات ، وكانت مدينتا فاس ومراكش من أكثر المدن تضرراً من جراء هذه السيول ، وقد عادت الفيضانات مرة أخرى لوادي مدينة فاس وكان ذلك في سنة 725.هـ / 1303 م وكان السيل قوياً أحدث خراباً كثيراً وبخاصة في العمران ، فهدم القناطر وبعض الأسواق مثل سوق الصباغين وسوق الرصيف وسوق الرميلة إضافة إلى هدم بعض المساجد والدور [1].

تعرضت بلاد المغرب في عام 758 هـ / 1357 م ، لاضطرابات مناخية تزامنت مع مسير السلطان أبي عنان المريني لإخضاع مدينة قسنطينة ، حيث أعاقته أعاصير وسيول جارفة منعت تقدم قواته وأجبرتهم على الرحيل إلى ديارهم [2].

المبحث الثاني : الآثار التي تحدثها السيول :

من خلال البحث في كتب التاريخ عن الفيضانات والسيول كنموذج لأحدى الكوارث الطبيعية وفي محاولة لربط آثار السيول في العصور الإسلامية وما تحدثه الآن من مآسي وآثار سلبية وبخاصة بالقرب من مجاري الأنهار والأودية يتضح أن هذه السيول والفيضانات تركت آثاراً بشرية ، وأخرى نفسية ، ناهيك عن الآثار الاقتصادية المختلفة التي تشمل الأنشطة المعيشية كافة سواءً أكانت في الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، كما يتضح أن هذه السيول والفيضانات كان لها آثار استراتيجية غيرت مجرى الأحداث في الحروب والمعارك ، كما تسببت الكوارث الطبيعية في شل حركة النشاط الثقافي ، وبروز دور علماء الدين عند حلول هذه الكوارث بالنصح والإرشاد ، ومما يلفت الانتباه في أثر هذه الكوارث الطبيعية في المجتمعات المغربية أنها تسهم في تقوية النسيج الاجتماعي من خلال التعاضد ومؤازرة الفئات المتضررة بتقديم المساعدات الإنسانية ، وفيما يلي توضيح لهذه الآثار :

أولا : الآثار البشرية والنفسية :

تبادلت الكوارث الطبيعية والحروب والفتن الأدوار في تاريخ المغرب في تأثيرها على النمو الديموغرافي للسكان فقد حصدت السيول أرواحاً كثيرة في مدن المغرب وبخاصة تلك التي تقع في مجاري الأودية كتلك التي خلفها السيل الذي عمّ مدينة طنجة في سنة 532 هـ / 1138 م ، وما ت بسببه خلق كثير ، وبالتالي أحدث فراغاً في التوزيع السكاني ، كما قضت السيول التي اجتاحت المغرب في سنة 626 هـ / 1229 م وسنة 634 هـ / 1237 م ، على العديد من البشر وترتب عنها انتشار الأوبئة التي حصدت الكثير من الأرواح [3].

وقد حملت السيول التي عصفت بمدينة فاس في سنة 724 هـ / 1324 م الكثير من الناس وكان لطوفان سد وادي أوراغ في نفس السنة أضرارٌ بشرية حيث هلك فيه قرابة المائة والخمسين نفساً وكانت حصيلة فيضان سد وادي فاس في سنة 725 هـ قرابة السبعمائة والثلاثين نفساً وقد أولى السلطان أبو الحسن المريني عناية بإصلاح ما جرفته السيول فبنى

---

[1] ـ ابن أبي زرع الفاسي ،الأنيس المطرب ، ص 431 . / عبد الهادي البياض ، الكوارث الطبيعية ، ص 59 ./ يزميزطايط محمد ، كرنولوجية الفيضانات التاريخية بوادي سبو الأوسط (فيفري 2022) ص 192 .

[2] ـ النميري ، فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، دراسة وإعداد : محمد بن شقرون ، (الرباط ، المغرب ، 1984 م) ، ص 88 وما يليها .

[3] ـ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج 4 ، طبعة دار الثقافة ، ص 96 ـ ص 345 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

قنطرة وادي فاس في سنة 725 هـ / 1325م ورمم الكثير من الجسور [1] .

عادة ما تحدث جرّاء الكوارث الطبيعية عملية نزوح وهجرة جماعية لمناطق أكثر أماناً ، فيميل السكان القاطنون بالقرب من مجاري الأودية للنزوح للمناطق الآمنة ، وتضطرهم أحياناً ضياع ممتلكاتهم ودورهم للهجرة لمناطق أخرى للبحث عن مصادر رزق جديدة ، وقد اهتم بعض السلاطين في العصر الإسلامي بتنظيم الطرق وحراستها لحفظ المسافرين ومن ذلك تعمير الطريق بين فاس مراكش وتلمسان وتأمينها وتزويدها بمحطات لراحة المسافرين في عهد أبو الحسن المريني [2] .

كان للكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها تأثير على نفسية الناس ، حيث يشعرون بالخوف والذعر ، فنجدهم يلجأون إلى كثرة الطاعات والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ظناً منهم أن هذه السيول والفيضانات بمثابة العقاب الإلهي، كما كان للسيول التي حدثت في العدوتين وما سببته من تدمير في الموارد البشرية والمادية دورٌ في تسرب بعض الأساطير والخرافات إلى العقلية المغربية ، كما ساد الاعتقاد بتأثير النجوم في حصول هذه الاضطرابات المناخية ، كما ارتبطت هذه الكوارث بالذاكرة الشعبية فصاروا يؤرخون بها [3] .

ثانياً : الآثار الاقتصادية :

نجم عن ظاهرة الفيضانات والسيول العديد من الآثار الاقتصادية منها جرف الأراضي الزراعية ، وتلف الأشجار المثمرة ، وبخاصة تلك الأمطار التي استمرت أربعين يوماً حيث أفسدت المحاصيل الزراعية ونفقت فيها الكثير من المواشي والدواب ، وقطعت سبل الاتصال بين جهات مختلفة في العدوة المغربية ،ومن الآثار التي تخلفها السيول ارتفاع سعر المحاصيل الزراعية ، وانعدام الأقوات وكثرة المجاعات ، ويعبر البيدق عن ضرر السيول التي اجتاحت حواضر المغرب الشمالية بقوله " بلغ عندنا في ذلك الوقت سعر الشعير ثلاثة دنانير للسطل ، وبلغ الحطب ديناراً للرطل من شدة تلك السنة " وهذا النص يؤكد تبعات السيول على المحاصيل ، وارتفاع سعر المواد الغذائية [4] .

يعبر بعض المؤرخين عن نتيجة السيول الجارفة بانعدام ضروب العيش الأساسية ، فقد قتلت الدواب والمواشي والبقر والغنم والأبل ناهيك عن اقتلاع أشجار الزيتون والكروم ، كما أن التربة بعد السيول تصبح غير صالحة للزراعة بسبب تشبعها

---

[1] ـ مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة وتحقيق : ماريا خيسوسبيغيرا ، تقديم : محمود آغا بو عياد ، (الجزائر ، موفم للنشر ، 2011 م) ، ص 122 .

[2] ـ مُحَمَّد عيساوي ، الكوارث الطبيعية على بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (7 ـ 9 هـ / 13 ـ 15 م) ،(مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، مج 2 ، ع 2 ، ديسمبر 2018 م) ، ص 239 .

[3] ـ عبد الهادي البياض ، الكوارث الطبيعية ، ص 131 وما يليها .

[4] ـ ابوبكر بن علي الصنهاجي البيذق ،أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، راجعه : عبد الوهاب بن منصور ، (الرباط ، المطبعة الملكية ، ط 2 ، 1971 م) ، ص 53 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

بالماء ، الأمر الذي يؤدي إلى زعزعة النظام الاقتصادي [1] .

كما شلت هذه السيول والفيضانات حركة التجارة من وإلى بلاد المغرب لأنه تعذر معها ركوب البحر واجتياز الأنهار فاسهم ذلك في ركود حركة النشاط التجاري و تراجعت الحرف الصناعية لارتباطها بالمحاصيل الزراعية، وانتشرت ظاهرة الاحتكار نتيجة لقلة المواد الغذائية ، وارتفعت أسعار الملابس ، والمنسوجات ، لأنها تأثرت بهذه الكوارث الطبيعية ، كما شمل الغلاء إيجار المنازل والدور ، وكان من نتائج هذه الكوارث الطبيعية بروز ظاهرتي الادخار والاحتكار تحسباً لأي ظروف تنتج جرّاء هذه التقلبات المناخية المفاجئة [2] .

كما كان لهذه السيول والفيضانات دورٌ في تخريب العمران شمل أسوار المدن ومبانيها ، ودور السكان ، والجوامع ، ففي الفيضانات التي اجتاحت مدن شمال المغرب في سنة 536 هـ / 1141 م اختفت قرى بأكملها مثل قرية مليلة وغرقت مساحات واسعة من مدينة طنجة وغمرت المياه جامعها ، وهدمت السيول في سنة 626 هـ / 1228 م سور مدينة فاس وسقطت بلاطات من الجامع والعديد من الدور [3] .وكان من نتيجة الفيضانات التي حدثت في هذه السنة أن تهدم سور فاس الشرقي ، وسقطت مجموعة من بلاطات جامع الأندلس بالمدينة ، بالإضافة إلى تهدم العديد من المنازل والفنادق [4] ، وهذا يبين مدى الأثر التخريبي الذي أحدثته السيول والفيضانات في منطقة المغرب الإسلامي قديماً والذي يسهم في وصف الأوضاع وتوضيح النتائج من الناحية التاريخية لوضع الحلول ومواجهة التحدي المناخي الذي تتعرض له المنطقة المغاربية حالياً ، وما ينطبق على السيول والفيضانات يسري على الكوارث الطبيعية الأخرى .

ثالثاً : الآثار الثقافية :

تتمثل الآثار الثقافية للكوارث الطبيعية في عدة مظاهر ارتبطت بهذه الكوارث منها انتشار الادعاء بمعرفة الغيبيات ، حيث تنبأ بعض الكهنة والمنجمين بحدوث الأعاصير والفيضانات مما أثار الذعر في نفوس الناس ، كما انتشر تأثير المتصوفة حيث أسهم انتشار الغلاء والاحتكار في لجوء البعض إلى حياة الزهد والتصوف ، وبفعل هذه الكوارث توفى عدد من العلماء والمثقفين ، والذين تركوا فراغاً ثقافياً في الوسط المغاربي ، كما كان لهذه الكوارث دورٌ في هجرة بعض العلماء من بيئات المغرب إلى دول أخرى بحثاً عن بيئة آمنة تدعم الإنتاج الثقافي [5] .

ازداد في هذه الفترة تركيز المنجمين والفلكيين على عناصر المناخ في حدوث الاضطرابات وفناء الشعوب بالطوفان ، وقد ارتبطت الرياح والعواصف العاتية في مخيلة الناس الدينية بعلامات الساعة والبعث والجزاء [6] .

---

[1] ـ الهلالي مُحَمَّد ياسر ، أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى ، (المغرب ، الجمعية المغربية للبحث التاريخي ، 2002 م) ، ص 178 .

[2] ـ ابراهيم القادري بوتشيش ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ،(بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، 1998 م) ، ص 211 . / عبد الهادي البياض ، الكوارث الطبيعية ، ص 108 .

[3] ـ البيذق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص 53

[4] ـ ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب ، ص 360 .

[5] ـ عبد الهادي البياض ،الكوارث الطبيعية ، ص 131 .

[6] ـ المرجع نفسه ، ص 132 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

مما تقدم يمكن تلخيص آثار السيول والفيضانات على بلاد المغرب الإسلامي فيما يلي :

ـ خلفت السيول والفيضانات خسائر مادية وبشرية كبيرة.

ـ أحدثت السيول ضرراً بالمحاصيل الزراعية والمراعي واقتلعت الأشجار .

ـ أسهمت السيول في انجراف التربة وفسادها وعدم صلاحيتها للزراعة .

ـ قُتل من جراء السيول العديد من الدواب والمواشي فحدث نقص في الثروة الحيوانية .

ـ أغرقت السيول والفيضانات مساحات كبيرة من المدن وخرّبت العمران بمختلف أنواعه مثلما حدث في فاس وطنجة وتلمسان ، ولمتونة .

ـ تسببت السيول في قطع الطرق ، والاتصالات بين مناطق المغرب وما جاورها ، وأقفلت مسالك الطرق من كثرة المياه والطين .

ـ كان للسيول دورٌ في تغيير مجرى الحروب ، وعودة حملات من طريق مسيرها إلى أماكن آمنة مثل دور السيول في الحرب الدائرة بين الناصر الموحدي وصاحب قشتالة بسبب فيضان الوادي الكبير الذي طمأ تياره فكان سبباً في خسارة المسلمين ، وكذلك السيول التي أجبرت السلطان أبي عنان المريني في سنة 758هـ على الرحيل عن مدينة قسنطينة .

ـ من آثار الكوارث الطبيعية بقاؤها محفورة في الذاكرة الشعبية حيث أرّخوا بها كعام السيل وعام الجراد وعام المجاعة إلى غير ذلك .

ـ يلاحظ أن تأثير السيول التي تنحدر من المناطق الجبلية يكون أقوى من غيره حيث يخلف أضراراً أكثر.

ـ كما أحدثت السيول بعض النزاعات بين المستأجرين وأصحاب الملك بسبب فساد المزروعات ، وكثيراً ما تتجدد هذه النزاعات بسبب إصلاح ما هدمته السيول .

ـ أسهمت الفيضانات في ازدياد ظاهرة الهجرة والفرار بحثاً عن مناطق أكثر أماناً .

المبحث الثالث : سبل مواجهتها :

تعتبر الفيضانات من أخطر الكوارث الطبيعية عندما تتحول مياه الأمطار إلى سيول جارفة ، وقد تبين من خلال هذه الدراسة الدورة الزمنية لهذه السيول في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ، ومدى الآثار التي أحدثتها على الصعيد البشري والنفسي ، وآثارها الاقتصادية والثقافية والتي كانت أغلبها جسيمة ، وقد تضافرت جهود الدول مع جهود العامة ، وطبقة علماء الدين والمتصوفة في الحد من خطورة هذه الظاهرة ، وهذا يبرز التكاتف والنسيج الاجتماعي القوي بين طبقات المجتمع المغربي في مثل هذه المحن وهذا ما نلمسه حالياً في المجتمعات المغربية .

تكاد تكون سبل وطرق مواجهة السيول والفيضانات واحدة عبر العصور وإن اختلفت المواد وتقدمت وسائل التكنولوجيا في البناء والإعمار، فقد اتخذت دول المغرب الإسلامي عدة إجراءات للحد من مخاطر السيول وفيضانات الأودية، ومن هذه الطرق : بناء القناطر مثل قنطرة وادي تانسيفت بمراكش وتجدد بناؤها عدة مرات لأهميتها في الربط بين أهالي ضفتي الوادي [1] .

كما اعتنى حكام دول المغرب الإسلامي ببناء السواقي لحجز المياه وعدم ضياعها دون فائدة ، وأولوا اهتماماً

[1] ـ ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب ، ص 349 /

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

ببناء الجسور وترميمها وكانت دولة الموحدين رائدة في هذا المجال ، حيث قام الخليفة عبد المؤمن بن علي بعمل سواقي لمد مدينة رباط الفتح بما تحتاجه من المياه ، ورمم ابنه الخليفة أبو يعقوب يوسف هذه السواقي وجددها في سنة 566هـ / 1170م وذلك لمنع ضياع المياه، كما قام ببناء جسر كبير يربط بين مدينتي سلا ورباط الفتح لتفادي خطر السيول الناتجة عن فيضانات وادي أبي رقراق تعويضاً للجسر الذي بناه والده وتحطم [1] .

تنافست دول المغرب في بناء السدود لحجز المياه دون استثناء وقد اهتموا بإنشاء هذه السدود مثل : السد الذي أقيم على وادي فاس ، وسد وادي بوطوبة بفاس الذي بناه المرينيون[2] ، وقد اهتم حكام بني مرين بجر قنوات المياه ومد أنابيب فخارية لصيانة جداوله عبر مسافات بعيدة[3] .

تميزت فاس بكثرة القناطر التي استفادت منها وبخاصة في العصر المريني مثل القنطرة الكبرى التي عليها سوق باب السلسلة والتي بناها المرينيون لتفادي خطر السيول التي تعزل المناطق عن بعضها ، الأمر الذي يترتب عليه شلٌ حركة النشاط التجاري [4]، كما انتشرت ظاهرة بناء المواجل الكبرى للاستفادة من مياه الأمطار وبخاصة في عصر الأغالبة وهي وسيلة من وسائل مواجهة كوارث الفيضانات من جهة ومن جهة أخرى للاستفادة من مياه الأمطار في مجالات الحياة المختلفة حيث تتجمع المياه في السدود ومن ثم تجلب عبر قنوات إلى المواجل والصهاريج وينتفع به أهالي القيروان وغيرها من مدن بلاد المغرب الإسلامي [5] .

تجارب التاريخ في العصر الإسلامي تثبت فعالية مواجهة الكوارث الطبيعية في عصور قوة الدول، وفي مراحل ضعفها تركت العامة في مواجهة مصيرها بالوسائل المحدودة وقد عرفت المجتمعات المغربية على الصعيد الشعبي بالتكافل الاجتماعي بين طبقاتها في مواجهة الكوارث التي تحدثها تقلبات المناخ، وكان للعلماء والفقهاء دور في مواجهة الكوارث الطبيعية [6] .

تتحدث بعض كتب النوازل عن أهمية إقامة السدود في العصر الإسلامي للحد من مخاطر السيول والاستفادة من مياه الأمطار ، وقد كانت هذه السدود تبنى في أضيق جزء من عرض الوادي وتتحول المياه عبرها إلى مناطق التخزين في المواجل والصهاريج ، لغرض السقي ، وكان يراعى في تشييد السواقي درجة الانحدار وتضاريس المكان حتى لا يتضرر السكان وأراضيهم الزراعية[7] .

---

(1) ـ عبد الملك بن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الوارثين ، السفر الثاني ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، (بيروت ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، 1964م) ، ص 449 .

(2) ـ علي الجزنائي ، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق :عبد الوهاب بن منصور ،ط 2 ، (الرباط ، المطبعة الملكية ، 1991 م) ، ص 114 .

(3) ـ عبد الهادي البياض ، الكوارث الطبيعية ، 173 .

(4) ـ ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب ، ص 545 .

(5) ـ ابو عبيد الله البكري ، المسالك والممالك ، ج 2 ، تحقيق : جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2003 ، ص 199 / أبو زيد عبد الرحمن الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، ج 2 ، تحقيق : مُحَمَّد الأحمدي أبو النور (مصر ، مكتبة الخانجي ، 1972) ص 149.

(6) ـ عبد الهادي البياض ، الكوارث الطبيعية ، ص 175 .

(7) ـ أحمد بن يحيى الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، أخرجه : جماعة من الفقهاء باشراف مُحَمَّد حجي ،ج 8 (المغرب ، وزارة الأوقاف المغربية ، 1981 م) ص 41./ مُحَمَّد بن أحمد البرزلي ، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام ، ج 4 ، تحقيق : مُحَمَّد

خلاصة الورقة :

ما يشهده العالم اليوم من مخاطر الكوارث الطبيعية كالزلازل والأعاصير والسيول والأوبئة والمجاعات ليس وليد العصر و أنما هي سلسلة ودورة متتابعة عبر العصور منذ القدم وإن اختلفت مخاطرها وآثارها ، فالظاهرة نفسها ، ولكن ما يؤسفنا حالياً ما يحدث من تزايد أضرار هذه الكوارث في ظل غياب الاحساس بالمسئولية ، فالسيول التي اجتاحت المغرب الإسلامي قديماً تكاد تكون أقوى من السيول والفيضانات في عالمنا الحالي لأنها استمرت قرابة الشهرين متواصلة في بعض الأحيان ولكن المخاطر قبل لم تكن بنفس الكم حالياً .

إن مواجهة الفيضانات التي تنتج عن هطول الأمطار بكميات كبيرة تحتاج إلى تكاتف الجهود بين الدولة وعامة الشعب ، فمن حلول تخفيف ضرر السيول تدعيم البنية التحتية وصيانة السدود المقامة على الأودية بصفة دورية ، ودعم وزارة الموارد المائية لإنشاء السدود والقناطر وعمل قنوات أرضية لتصريف مياه الأودية في حالة الفيضان ،وتنظيف السدود وقنوات التصريف لتفادي وقوع الضرر ، وكما يستنتج من تجربة فيضان بعض الأودية أن البناء على جانبي الوادي من الأمور غير المستحبة وبخاصة المباني السكنية ، وحتى لو اضطر الأمر أن تكون المباني حكومية لتفادي الخسائر البشرية في حالة الفيضانات ، وكذلك التشديد على عدم البناء في المناطق المحظورة وفرض عقوبات على من يخالف ذلك ، ويمكن من خلال الدراسات والشواهد التاريخية تتبع سلسلة فيضانات الأودية والاستفادة من توصيات الباحثين المتخصصين في الجغرافيا وعلم المناخ وبذل الجهود من الدولة لتشجيع البحث العلمي والاستفادة من نتائجه ، وعلى السلطات الحكومية تنبيه القاطنين في هذه المناطق في حالة توقع الفيضانات .

وتوجد مواد حديثة تساهم في مقاومة الفيضانات مثل تركيب العوازل من خلال إغلاق الفتحات المؤدية للمنازل بعوازل مانعة لتسرب المياه على الأبواب والنوافذ والجدران لمقاومة ضغط المياه، ومن التدابير المهمة في مواجهة الفيضانات زراعة مساحات كبيرة بالأشجار حول ضفاف الأنهار لأنها تحجز الرواسب وتمنعها من الدخول إلى شبكات التصريف وتعيق تدفق المياه بقوة بالتالي تقلل خطر وحجم الكارثة .

كما عالجت بعض الدول مشكلة الفيضانات بإقامة أحواض الحجز وهي تشبه السدود ولكنها أصغر، بحيث يتم فيها خزن المياه ومن ثم إطلاقها ببطء .

كما يلعب الجانب التوعوي والتثقيفي دوراً مهماً في تفادي مخاطر الفيضانات منة خلال التوعية المستمرة بخطورة الأودية التي تتعرض للفيضانات، وطرق التعامل مع هذه الكوارث عند حدوثها، ودعم مراكز البيئية ومراكز الارصاد الجوي بأحدث المعدات والأجهزة التي تسهم في التنبؤ بالكوارث الطبيعية والاعلان عنها لتفادي أضرارها وإنشاء منظومات لتسجيل هذه الكوارث ودراستها واحتساب الدورة الزمنية لحدوثها .

وتوصي الباحثة بدعم مراكز البيئة ومراكز الأرصاد الجوي بأحدث المعدات والأجهزة التي تسهم في التنبؤ بالكوارث الطبيعية والاعلان عنها لتفادي أضرارها وإنشاء منظومات لتسجيل هذه الكوارث ودراستها واحتساب الدورة الزمنية لحدوثها، وتكثيف وتوجيه

الحبيب الهيلة (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 2002) ، ص 435 .

البحث العلمي لدراسة هذه الظواهر وتسليط الضوء عليها بين الحين والآخر، والاستفادة من تجارب الأمم في الحد منها وسبل مواجهتها .

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

ـ ابن أبي زرع : علي بن عبدالله الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس ، راجعه : عبد الوهاب بن منصور ط 2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب ، 1999 م .

ـ ابن الحاج النميري: إبراهيم بن عبد الله بن مُحَمَّد، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة: مُحَمَّد بن شقرون ، الرباط المغرب ، 1984 م .

ـ ابن حوقل : أبو القاسم مُحَمَّد ، صورة الأرض ، ج 1، دار صادر ، بيروت ، 1863 م .

ـ ابن خلدون : أبوزيد ولي الدين عبد الرحمن ، المقدمة ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 2000 م .

ـ ابن صاحب الصلاة : أبو مروان عبد الملك ، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الوارثين ، السفر الثاني ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، 1964 م .

ـ ابن عذاري المراكشي : أحمد ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق :بشار عواد ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،2013 .

ـ [2] ـ ابن عذاري : أحمد ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ط 2 ، 1980 م .

ـ ابن القاضي المكناسي : أحمد بن أبي العافية ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ، ج 1 ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، المغرب ، 1973 م .

البرزلي: أبو القاسم مُحَمَّد بن أحمد التونسي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، ج 4 ، تحقيق : مُحَمَّد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2002 م .

ـ البكري : أبي عبيد الله ، المسالك والممالك ، ج 2 ، تحقيق : جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2003 م .

ـالبيذق : أبوبكر بن علي الصنهاجي ، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، راجعه : عبد الوهاب بن منصور ، ط 2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1971 م .

ـ التلمساني : مُحَمَّد بن مرزوق ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق : ماريا خسيوسبيغيرا ، تقديم : محمود آغا عياد ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2011 م .

ـالجزنائي : علي ، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، ط 2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1991 م .

ـ الدباغ : أبو زيد عبد الرحمن ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، ج 2 ، تحقيق : مُحَمَّد الأحمدي أبو النور ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1972 م .

ـ الادريسي : أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد الشريف ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، القاهرة : المكتبة الثقافة الدينية ، 1994

ـمجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة المدينة ومصر وبلاد المغرب ، تحقيق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الآفاق العربية ، بغداد ، العراق ، 1985 .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

ـ الناصري: أبو العباس أحمد بن خالد، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق ، جعفر الناصري ، ومُحَمَّد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1954 م .
ـ النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 24 ، تحقيق : حسين نصار ، القاهرة ، 1983 م .
ـ الوزان : الحسن بن مُحَمَّد ، وصف أفريقيا ، ترجمة : مُحَمَّد حجي وحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1982 م .
ـالونشريسي : أحمد بن يحيى ، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، أخرجه : جماعة من الفقهاء بأشراف : مُحَمَّد حجي ، ج 8 ، وزارة الأوقاف المغربية ، المغرب ، 1981 م .

ثانياً : المراجع :

ـ بوتشيش : إبراهيم القادري ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1998 م .
ـ البياض : عبد الهادي ، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق . 6 ـ 7 هـ / 12 ـ 14 م) دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، 2008 م .
ـ الشاوش : مُحَمَّد رمضان ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان ، ج 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 2011 م .
ـ عيساوي : مُحَمَّد ، الكوارث الطبيعية على بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (7 ـ 9 هـ / 13 ـ 15 م) مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، مج 2 ، ع 2 ، ديسمبر ، 2018 م .
ـ مُحَمَّد : يزميزطايط ،كرنولوجية الفيضانات التاريخية بوادي سبو الأوسط (فيفري 2022) .
ـ ياسر : الهلالي مُحَمَّد ، أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى ، الجمعية المغربية للبحث التاريخي ، المغرب ، 2002 م .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

تجارب ودروس تاريخية في مواجهة المخاطر
مشروع عماد الدين زنكي (ت 541هـ/1146م)النهضوي إنموذجا

أ.م.د. ليلى توفيق سلمان العاني
العراق/ وزارة التربية

الملخص

شهدت الخلافة العباسية منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي فترة انحلال وضعف ادى هذا الضعف الى تعرضها لمخاطر عدة ،تمثلت باحتلال البويهيين بغداد سنة (334-447 هـ/936-1055م)وانتهى هذا الاحتلال باحتلال السلاجقة بغداد سنة(447-590هـ/1055-1193م). فضلا عن ذلك ظهور خطر الفاطميين الذين أسسوا دولتهم في مصر وقطعوا الخطبة للخليفة العباسي وأعلنوا الخطبة للخليفة الفاطمي وأخذوا في نشر الدعاية للفاطميين التي وجدت طريقها الى مقر الخلافة العباسية في بغداد. وكانت بلاد الشام تعاني من أوضاع غير مستقرة تسودها الفوضى والنزاعات بين أمراء المدن الامر الذي سهل على الصليبيين إحتلال معظم سواحل بلاد الشام وأقاموا فيها إمارات صليبية .

وفي خضم هذه الاوضاع والمخاطر قيّض الله للاسلام ظهور شخصية قيادية إتّسمت بالارادة الصلبة والشجاعة على مواجهة هذه المخاطر فكانت هذه الشخصية عماد الدين زنكي الذي أخذ زمام المبادرة للقيام بعمل من شأنه أن ينتشل بلاد المسلمين من حالة الضعف والانقسام ويوحد صفوفهم بعد أن كانت أمصارا متفرقة لاسيما المدن والحصون الشامية التي كانت تعاني من الفرقة والاختلاف والتناحر ، فأخذ ينظر الى هذه الاوضاع برؤية إستراتيجية ووضع خطة وصفها المؤرخون بالناجحة والحكيمة .

لذا سلّط البحث هذا الضوءعلى التجربة الرائدة للاتابكي عماد الدين زنكي ، وخطته الاستراتيجية للنهوض بالامة ومواجهة المخاطر التي أحاطت ببلاد المسلمين في مرحلة كانت من أشد مراحل التاريخ الاسلامي خطورة .

وأهميّة هذا الموضوع تكمن في إظهار أهمية ماقام به عماد الدين زنكي من دور هام على مسرح أحداث الدولة العربية الاسلامية خلال القرن السادس الهجري في مواجهته لهذه المخاطر وفق مشروع نهضوي بدأ به وأكمله من بعده إبنه نور الدين زنكي ومن بعده صلاح الدين الايوبي .وعماد الدين زنكي هو واضع الحجر الاساس لهذا المشروع ، يستدعي منا جميعا الاستفادة من تجربته لمواجهة المخاطر التي تواجه بلدان المسلمين في وقتنا الحاضرالذي يعاني من أزمات مستعصية باتت تشكل تهديدا خطيرا على وجودنا ،فكان ولابد من مواجهتها ووضع الحلول لرسم صورة مستقبلية لمجتمعاتنا تخلو من هذه الازمات والمخاطر.

ومن أجل توضيح تجربة عماد الدين زنكي لابد من معرفة : ماهي المقومات التي إعتمدها في تنفيذ خطته ،وماهي العوامل التي ساعدته في إنجاح تجربته ، وهل كانت هناك عقبات اعترضت مسيرته الاصلاحية ؟ وماهي الاساليب التي إتّبعها في مواجهة هذه االمخاطر؟لاسيما الخطر الصليبي وكيف تمكن من توحيد الامارات ومدن بلاد الشام في دولة واحدة قوية ؟ وما مدى الاستفادة من تجربته لمواجهة مخاطر عالمنا العربي والاسلامي اليوم ؟.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

اعتمد البحث المنهج الوصفي بذكر الاحداث وذكر الدور الذي قام به عماد الدين زنكي مع التحليل للنصوص .ولتوضيح ماذكرناه قسّم البحث الى محورين.

المحور الاول : اصل البيت الزنكي

المحور الثاني: سياسة عماد الدين زنكي في مواجهة المخاطر ويتضمن :

اولا: المخاطر الداخلية تتضمن :

1- مواجهة خطر تفكك الامارات المحلية والعمل على توحيدها في جبهة اسلامية موحدة
2- الاساليب التي اعتمدها في تكوين جبهة اسلامية موحدة

ثانيا :المخاطر الخارجية المتمثلة بالخطر الصليبي ويتضمن :

الخطط و الاساليب التي اتبعها عماد الدين زنكي في مواجهة الخطر الصليبي من خلال فتح حصون الصليبيين وتحرير اراضي المسلمين من سيطرتهم .

وذيل البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل اليها البحث والتي تضمنت اهم الدروس التي يمكن الاستفادة من تجربة عماد الدين زنكي لمواجهة ازمات الوضع الراهن والمخاطر التي تواجهه . مع قائمة بالمصادر الاولية والمراجع الحديثة .

المقدمة

يتناول هذا البحث التجربة التاريخية لعماد الدين زنكي (ت541هـ/1146م) ومشروعه النهضوي لمواجهة المخاطر التي واجهت العالم الاسلامي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي .تلك الحقبة التاريخية التي تعد من اشد مراحل التاريخ الاسلامي خطورة وحرجا .اذ تعرض فيها العالم الاسلامي في الشرق خاصة الى هجوم صليبي قادم من اوربا ،في الوقت الذي كان فيه المسلمون يمرون في حال من الضعف والتفكك والانقسام.فهناك خلافتان :الخلافة العباسية في بغداد التي فقدت هيبتها ونفوذها على اثر احتلال البويهيين لبغداد عام (334هـ/ 945م)اعقبه احتلال السلاجقة عام(447هـ/ 1055م). الذين تدهور نفوذهم بعد ذلك وتفككت دولتهم ودب النزاع بين امرائها للاستئثار بالنفوذ والسلطان . وخلافة فاطمية في مصر كانت تنافس الخلافة العباسية وتبث الدعاية للفاطميين في عقر دارالخلافة ،وفي الوقت نفسه كان الفاطميون في نزاع مع السلاجقة لبسط نفوذهم على بلاد الشام ولم يتمكن اي منهما من بسط نفوذهما وسيطرتهما عليها بشكل دائم . ونتج عن هذه الاوضاع استغلال الامراء المحليين في بلاد الشام واقليم الجزيرة الفرصة ،فاستقل كل امير بامارته واخذ يوسع املاكه على حساب الامارات المجاورة له .فاصبحت كل امارة عبارة عن دويلة مستقلة تهتم بشؤونها الخاصة .

وفي ظل هذه الظروف وصل الصليبيون الى الشرق وتمكنوا من تأسيس أربع إمارات صليبية هي: الرها،وانطاكيا ،وبيت المقدس ،وطرابلس .مستغلين تدهور نفوذ السلاجقة وعجز الخلافة العباسية ،والدولة الفاطمية وتفكك الامارات الاسلامية .

وفي خضم هذه الاحداث ظهرت شخصية قيادية شجاعة قادرة على مواجهة هذا الخطر انطلاقا من ولاية الموصل القريبة من امارة الرها الصليبية ،فكان عماد الدين زنكي الذي ادرك

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

خطورة اوضاع العالم الاسلامي التي تعاني من تفكك وتدهور فاخذ على عاتقه القيام بمهمة تعبئة المسلمين لمواجهة هذه المخاطر ومجابهة التحديات الداخلية المتمثلة بالامارات المحلية المفككة والمشتتة والعمل على توحيدها والخارجية المتمثلة بالتهديد الصليبي برفع راية الجهاد .

وتاتي اهمية هذا الموضوع كونه لايختلف عما نواجهه اليوم في بلداننا العربية من تشتت وانقسام ومخاطر تكاد تكون متشابهة مع مخاطر الماضي مع اختلاف المسميات . فنحن اليوم نواجه مخططات غزو ثقافي لطمس هويتنا العربية الاسلامية وبكافة السبل وعلى مختلف الصعد ودول عربية تتعرض اليوم الى التجزئة والتقسيم على اسس عرقية واثنية وعدو الامس يتربص اليوم للانقضاض على ماتبقى من بلداننا للسيطرة عليها ونهب ثرواتها والحيلولة دون ان يكون للعرب نفوذ وسيطرة على اراضيها.واغراق المنطقة العربية بازمات مستعصية وخلق الفوضى وتدخل دول بشؤون البلدان العربية . ومن تجربة عماد الدين زنكي ومشروعه النهضوي يمكن الاستفادة منها لمواجهة مخاطر الوقت الحاضر وبناء مستقبل مشرق لاجيالنا العربية.

ومن اجل تسليط الضوء على تجربة عماد الدين زنكي لابد من طرح عدة تساؤلات : كيف تمكن عماد الدين زنكي ببناء مشروعه النهضوي؟وماهي الاساليب التي استخدمها لانجاح مشروعه في مواجهة المخاطر ؟وماهي مقومات هذا النجاح .وستكون الاجابة على هذه التساؤلات من خلال محاور البحث .حيث قسمت االبحث الى محورين :

المحور الاول :تناول اصل البيت الزنكي

المحور الثاني :سياسة عماد الدين زنكي في مواجهة المخاطر ويتضمن:

اولا: المخاطر الداخلية وتتضمن :

1-مواجهة خطر تفكك الامارات المحلية والعمل على توحيدها في جبهة اسلامية موحدة

2-الاساليب التي اعتمدها في تكوين جبهة اسلامية موحدة

ثانيا:المخاطر الخارجية المتمثلة بالخطر الصليبي ويتضمن:

الخطط والاساليب التي اتبعها عماد الدين زنكي في مواجهة الخطر الصليبي من خلال فتح حصون الصليبيين وتحرير اراضي المسلمين .

وختم البحث بخاتمة لخصت فيها اهم النتائج التي توصل اليها البحث مع قائمة بالمصادر الاولية والمراجع الحديثة

اعتمد البحث على عدة مصادر في مقدمتها ذيل تاريخ دمشق لابي يعلى حمزة ابن القلانسي (ت555هـ/1160م).الذي كتب عن الاسرة الزنكية وعلاقة الزنكيين با ل طغتكين في دمشق .

ويعد كتاب التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية في الموصل لابن الاثير (ت630هـ/ 1233م)من المصادر المهمة التي قدمت لنا تفاصيل عن الاسرة الاتابكية الزنكية والتي اعتمد عليه ابو شامة المقدسي (ت665هـ/ 1267م) في كتابه الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية .وكتابه الاخر الكامل في التاريخ تضمن فيه معلومات دقيقة ومهمة عن اوضاع الخلافة العباسية التي كانت عاجزة عن صد الصليبيين .وعن جهود عماد الدين

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

زنكي في بعث روح الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين وتحريره لامارة الرها.

واستفاد البحث من كتاب مرآة الزمان في تاريخ الاعيان لسبط ابن الجوزي(ت654هـ/ 1256م) ونقل عنه ابو شامة بعض المعلومات المتعلقة بالدولة الزنكية .

ولم يستغن البحث عن كتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم(ت 660هـ/1262م)لاهميته في تقديمه لمعلومات عن عماد الدين زنكي .

واستمد البحث معلومات قيمة من بعض المراجع العربية الحديثة وفي مقدمتها كتاب عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الاسلامي للدكتور علي مُحَمَّد الصلابي وكتاب تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام للدكتور مُحَمَّد سهيل طقوش .فضلا عن مصادر ومراجع اخرى .

المحور الاول : أصل البيت الزنكي

ظهرت الاتابكيات[1] في ظل الحكم السلجوقي في العالم الاسلامي نتيجة للسياسة التي اتبعها السلاجقة في النظام الاقطاعي وطبقوها في معظم مناطق نفوذهم ،فانتشرت الاتابكيات في معظم أقاليم دولتهم ،وأصبح نظام الاتابكيات عنصرا هاما من نظمهم السياسية والاجتماعية[2].

ومن أشهر هذه الاتابكيات :"أتابكية الموصل " وكان مؤسسها الاتابك عماد الدين زنكي سنة 521هـ/1127م[3].و أبوه آق سنقر بن عبد الله تركيا من أصحاب السلطان السلجوقي جلال الدولة ركن الدين ملكشاه بن ألب أرسلان (465-485هـ/1072-1092م).وتربى معه في صغره وظلّ مصاحبا له حتى كبر ،ولمّا أفضت السلطنة بعد وفاة ألب أرسلان سنة(465هـ/1072م)إلى ولده مكشاه حفظ لقسيم الدولة صحبته فجعله من أعيان أمرائه وأخص اؤليائه ،فرفع قدره وأعلى محله ،واعتمد عليه السلطان في مهماته ،وأفضى إليه بأسراره ،فارتفعت منزلته ومرتبته فلقبه ب(قسيم الدولة) [4].وكانت الالقاب حينئذ مصونة لاتعطى الا لمستحقيها حسب قول إبن الاثير[5].ولقبه كل من إبن خلكان (ت681هـ/ 1282م)وإبن كثير (ت774هـ/ 1372م) بالحاجب[6].ولما رأى نظام الملك وزير السلاجقة

(1)الاتابكيات جمع اتابكة وهي كلمة مشتقة من الكلمة التركية "اتابك "المركبة من مقطعين :"اتا" بمعنى اب و"بك" معنى امير وتعني الوالد الامير .وكان يطلق على من يتولى تربية أبناء الملوك والسلاطين ، ويرعى شؤونهم .القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ/1418م) ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء،نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ، وزارة الارشاد القومي، القاهرة ،1963م،ج4،ص18.

(2)حسين امين،تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الارشاد ،بغداد ،1385هـ /1965م، ص209.

(3)حسين أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي،ص210.

(4)إبن الاثير:علي بن أبي الكرم مُحَمَّد (ت630هـ/ 1232م)،التاريخ الباهر في الدولة الزنكية ، تحقيق ،عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة ،ومكتبة المثنى ببغداد 1382هـ/1963،ص4.

(5)إبن الاثير، التاريخ الباهر،ص4؛ أبو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ/1266م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ،نشر وتحقيق ،مُحَمَّد حلمي أحمد ،مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ،القاهرة،1956م،ج1،ق1،ص58-59.

(6)أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر ،وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق ،إحسان عباس ،دار صادر ،بيروت ،د.ت،ج2،ص241؛أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي،البداية والنهاية، تحقيق، أحمد جاد ،دار الحديث ، القاهرة، 1427هـ /2006م، ج12،ص138.والحاجب هنا على مايبدو لم يكن المقصود به

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

أنّ آق سنقر قد زاد علوا وقدرا عند السلطان وتقدم عنده تقدما فاق فيه سائر الناس، أشار على السلطان أن يوليه مدينة حلب وأعمالها ،وذلك ليبعده عن خدمة السلطان[1] .فبقيت حلب وأعمالها بيد آق سنقر الى ان قتل سنة 487هـ/1087م .ولما استقر بالشام ظهرت كفايته ومقدرته وهيبته في جميع البلاد وانصف الرعية وحفظ الامن والنظام ثم سيره ملكشاه الى تكريت فملكها[2].

وكان لآق سنقر دور كبير في توطيد دولة السلاجقة في عهد السلطان ملكشاه ، فخاض عدة معارك وافتتح عددا من المدن[3].

وعندما توفي ملكشاه سنة 485هـ/1092م ،تنازع ولداه بركياروق ومُحَمَّد و جرت بينهما حروب كثيرة دامت نحو اثنتي عشرة سنة حتى وفاة بركياروق فاستقرت السلطنة لاخيه مُحَمَّد بن ملكشاه[4]. وقد وقف آق سنقر الى جانب بركياروق ودافع عنه ضد عمه تاج الدولة تتش وضحى بنفسه الى أن قتل بيد تتش سنة 487هـ /1094م عندما جمع تتش عساكره متوجها الى الشام فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم بعض عسكر آق سنقر وثبت هو الى أن وقع اسيرا بيد تتش فقتل وتمكن تتش من دخول حلب والسيطرة عليها[5].

ولما قتل قسيم الدولة آق سنقر لم يخلف من الاولاد غير ولد واحد وهو عماد الدين زنكي وكان حينئذ صبيا له من العمر نحو عشر سنين فاجتمع عليه مماليك والده واصحابه وكان عماد الدين حينئذ في حلب[6].فلما تولى أمر الموصل قوام الدولة كربوقا [7] احضر مماليك قسيم الدولة آق سنقر وأمرهم بإحضار عمادالدين زنكي وقال: هو إبن اخي وأنا أولى الناس بتربيته فأحضره عنده ،واقطعهم الاقطاعات السنية وجمعهم على عماد الدين زنكي ،واستعان بهم في حروبه ، وكانوا من الشجاعة في أعلى درجاته ،فلم يزالوا معه[8].وظل عماد الدين ملازما لكربوقا الى أن توفي سنة 494هـ/1101م) [9].

وحظي عماد الدين زنكي بمكانة عالية عند ولاة الموصل الذين أعقبوا كربوقا وشارك معهم في كثير من أحداث المنطقة لاسيما في الجهاد ضد الصليبيين وأظهر بذلك شجاعة ومقدرة فائقة رفعته الى مصاف القادة البارزين فكان محط تقدير كبير عند السلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين[10].وتقديرا لجهوده هذه

من يقف عند باب السلطان او الخليفة انما هو في مرتبة الوزير وذلك لقول إبن الاثير أنّ آق سنقر كان يقف إلى جانب تخت السلطنة عن يمينه ولايتقدمه أحد، وصار ذلك لعقبه من بعده .انظر:التاريخ الباهر، ص4.

(1)ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص4.

(2)ابن القلانسي:أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي التميمي الدمشقي (ت555هـ/1160م)،ذيل تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار ، دار احسان ،دمشق،1402هـ/1983م ،ص196؛ابن الاثير: التاريخ الباهر ،ص8.

(3)للتفاصيل عن هذه المدن التي افتتحها آق سنقر انظر:ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 120-121 ؛ابو شامة : الروضتين،ج1ق1،ص60.

(4)ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص12.

(5)م.ن،ص15.

(6)م.ن،ص15.

(7)قوام الدولة كربوقا :وهو احد قادة السلاجقة انضم الى جانب آق سنقر في نزاعه مع تتش فوقع في اسر تتش بعد قتل آق سنقر ،وقد اطلقه الملك رضوان بن تتش عقب مقتل والده تتش سنة 488هـ/1095م .ابن الاثير : التاريخ الباهر،ص15.

(8)ابن الاثير : التاريخ الباهر ،ص16.

(9)م.ن،ص16،ابو شامة: الروضتين،ج1،ق1،ص67.

(10)للتفاصيل حول ولاة الموصل انظر: ابن الاثير: التاريخ الباهر، ص 16-28؛ ابو شامة :الروضتين ،ج1ق1،ص67-75.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

أقطع عماد الدين زنكي عددا من الاقطاعات منها مدينة

واسط سنة(516هـ/ 1112م) وشحنكية[1] البصرة[2].فاظهر عماد الدين زنكي مقدرة عسكرية وكفاية ادارية فارتفعت مكانته عند السلاجقة وفي ذلك يقول ابن الاثير :"وظهر من كفايته في البلدين مالم يظنه أحد ،فازداد شانه عظما"[3].ثم ولي شحنكية العراق من قبل السلطان السلجوقي محمود بن مُحَمَّد (511-525هـ/1117-1131م) مضافا الى مابيده من الاقطاع اذ وجد أنّ عماد الدين زنكي هوالرجل الاصلح لهذا المنصب والقادر على ضبط الامور والذي يستطيع ان يقوم بمهامه الموكلة اليه خير قيام ،فسار السلطان عن بغداد وقد أطمأن قلبه من جهة العراق ،حيث أسنده الى الكافي القيم بامره"[4].

ولاية عماد الدين زنكي للموصل سنة 521هـ/ 1127م)

بعد وفاة عز الدين مسعود بن آق سنقر البرسقي سنة(521هـ/1127م)برز أحد المماليك الاتراك ويدعى جاولي سقاو ، اخذ على عاتقه الوصاية على الابن الاصغر لاق سنقر البرسقي وقام بتدبير الدولة ، وسعى للحصول على موافقة السلطان السلجوقي ببغداد بتولية هذا الطفل شؤون الموصل ،وبذل أموالا كثيرة [5]،الا أنّ سلطان السلاجقة محمود والخليفة المسترشد وجدا ان المنطقة انذاك تتعرض للخطر الصليبي وان الموصل اذا سقطت بيد الصليبيين فان الخلافة العباسية والدولة السلجوقية ستكونان في خطر لقرب الموصل من بلاد الشام التي وصل اليها الصليبيون اذ امتدت مملكة الفرنج من ناحية ماردين [6]الى عريش مصر وكانت سراياهم تبلغ تبلغ من ديار بكر[7]الى آمد[8].ومن ديار الجزيرة الى نصيبين[9].وراس العين[10].وكانت الرقة وحران في احوال سيئة اذ كان الصليبيون يسومون أهلها سوء العذاب حتى أنّ أهلها كانوا يتمنون الموت ،وانقطعت الطرق الى دمشق الا على الرحبة والبر ،وكان التجار والمسافرون يلقون من المخاوف .وزاد الامر وعظم الشر ،حتى جعلوا على كل بلد جاورهم خراجا وإتاوة ياخذونها منهم ليكفوا ايديهم عنهم ،ثم لم يقنعوا بذلك .واما حلب فانهم اخذوا مناصفة اعمالها حتى في الرحا التي على باب الجنان وبينها وبين المدينة نحو عشرين

(1)الشحنكية :وظيفة يتولاها حاكم البلد ،او صاحب الشرطة ،او الامير المشرف على حراسة المدينة ،وهي بمثابة الحاكم العسكري للمدينة ،وتكون له سلطات استثنائية من قبل الخليفة او السلطان .حسن الباشا: الفنون الاسلامية على الاثار العربية ، دار النهضة العربية ،القاهرة، 1966م،ص623-624؛حسين امين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي ،ص201.

(2)ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص25.

(3)م.ن،ص25.

(4)م.ن،ص31.

(5)ابن الاثير : التاريخ الباهر،ص32.

(6)ماردين:قلعة مشهورة في الجزيرة الفراتية .ياقوت الحموي: ياقوت ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/ 1228م)،معجم البلدان،قدم هذه الطبعة المنقحة والمصححة :مُحَمَّدعبد الرحمن المرعشلي،دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي،بيروت ،د.ت،ج5،ص39.

(7)ديار بكر:هي ديار كبيرة واسعة تنسب الى بكر بن وائل .انظر التفاصيل.ياقوت الحموي معجم البلدان،ج4،ص330.

(8)آمد:أعظم مدن ديار بكر واشهرها. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ،د.ت،ج1،ص56.

(5)نصيبين:مدينة عامرة من بلاد الجزيرة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5،ص288.

(6)رأس العين: احدى مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر.ياقوت الحموي : معجم البلدان،ج3،ص14.

(7)ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص32.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

خطوة ،واما باقي بلاد الشام فكان حالها اشد من هذين البلدين[1].

وفي الوقت الذي كانت بلاد الشام والجزيرة في حال من الضعف والتمزق وأمراؤهم عاجزون عن نصرة الدين وصد الصليبيين ، كان الفرنج الصليبيون قد ازدادوا قوة وتضاعفت سطوتهم ،واشتد بطشهم ببلاد المسلمين . فكان لابد للمسلمين من قيادة قوية قادرة على مواجهة الخطر الصليبي وتعمل على القضاء عليه .فكان عماد الدين زنكي ذلك الرجل الشجاع الذي تربى تربية عسكرية وورث عن ابيه الشجاعة والمقدرة على مواجهة المخاطر المحيطة ببلاد المسلمين فاتّبع لتحقيق هدفه هذا خطوات سياسية وعسكرية منظمة ،جعلته مسؤولا عن مرحلة جديدة في الجهاد ضد الصليبيين تميزت بالتنظيم وحسن التدبير وفق تخطيط شامل ومدروس ورؤية استراتيجية افتقدها الامراء المحليون الذين سبقوه .

المحور الثاني:سياسة عماد الدين زنكي في مواجهة المخاطر

اولا:المخاطر الداخلية ويتضمن:

1- مواجهةخطر تفكك الامارات المحلية والعمل على توحيدها في جبهة اسلامية موحدة

2- الاساليب التي اعتمدها في تكوين الجبهة الموحدة

اولا: المخاطر الداخلية :وتتضمن:

1-مواجهةخطر تفكك الامارات المحلية والعمل على توحيدها في جبهة اسلامية موحدة.

كانت سياسة زنكي منذ البداية تهدف الى تكوين جبهة إسلامية موحدة قوية ليتمكن من الوقوف في وجه الصليبيين .فكان يراقب الاحداث عن كثب وهو عاصر هذه الاحداث وشخّص الخلل الذي أدى الى تدهور حال المسلمين ،ورأى أنّ أحد أسباب هذا الخلل هو تفكك بلاد المسلمين الى إمارات متناحرة متنازعة فيما بينها تحكمها مصالحها الشخصية .فكانت كل إمارة تسعى الى مد نفوذها خارج حدود ها على حساب الامارة المجاورة لها .لذا قرر عماد الدين زنكي جمع شتات هذه الامارات وتوحيدها في دولة واحدة قوية مع امارة الموصل لتصبح قادرة على مواجهة الصليبيين .

وكانت اولى هذه الخطوات قيامه بضم الامارات والمدن المجاورة في إقليم الجزيرة[2] وديار بكر وإخضاعها تحت زعامته وإحكام سيطرته عليها[3]. لحماية مؤخرة جيشه ،لكون هذه المنطقة تشكل خطرا على مواصلاته مع الشام سيما في حالات صدامه مع الصليبيين[4].وبدأ بضم جزيرة إبن عمر[5]التي كانت تحت حكم احد مماليك آق سنقر

(2)اقليم الجزيرة :وهي المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات ،وتشمل على ديار بكر ومضر وربيعة. ابن حوقل :ابو القاسم مُحَمَّد بن علي النصيبي(ت 367هـ/978م)، صورة الارض، مطبعة بريل، ليدن،1928م، ص 208 -209؛سماه المقدسي باقليم أقور . المقدسي: مُحَمَّد بن أحمد،(ت380هـ/ 990م)،احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم،علق عليه ووضع حواشيه مُحَمَّد امين الضناوي، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ،1424هـ ،2003م، ص123-124.

(3)ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص32-36.

(4)خليل:عماد الدين: عماد الدين زنكي ، ط2، مؤسسة الرسالة ،بيروت،1402هـ/ 1982م،ص85 ؛الصلابي:علي مُحَمَّد،عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الاسلامي، ط1، مكتبة الايمان ، المنصورة،1427هـ/2006م،ص84.

(5)جزيرة إبن عمر:بلدة تقع شمال الموصل بينها مسيرة ثلاثة ايام ويحيط بها دجلة الا من ناحية واحدة ،وهي موطن آل الاثير العلماء .ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2،ص 138.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

البرسقي ،فاستولى عليها سنة 521هـ/1127م، ثم سار عنها الى نصيبين وكانت لحسام الدين بن تمرتاش بن ايلغازي صاحب ماردين فتسلمها منه زنكي وعجز حسام الدين عن حمايتها[1].ثم سار عنها الى سنجار[2]فملكها بعد أن امتنعت عليه في باديء الامر وبعد ان قاتلهم سلموها اليه واتصلوا بخدمته وسير منها الفرسان الى الخابور فملكه[3].

ثم سار الى حران[4]،وكان اهلها في ضيق عظيم لخلو البلاد من حام يدافع عنها او سلطان يفك حصار الصليبيين عنها فتسلمها[5].

اما الرها وسروج وغيرها من بلاد الجزيرة فكانت بيد الفرنج الصليبيين[6].

وكان اهم هدف سعى زنكي الى تحقيقه هو عبور الفرات والاستيلاء على حلب وغيرها من البلاد الشامية ،ففي سنة(522هـ/ 1128م)عاد زنكي الى الموصل بقصد عبور الفرات والاستيلاء على حلب وذلك للقضاء على الفوضى التي حصلت بعد وفاة عز الدين مسعود بن آق سنقر البرسقي بسبب التنازع بين المطالبين بالسلطة ، في الوقت الذي كان فيه الصليبيون قد استضعفوا المسلمين في بلاد الشام وضيقوا الحصار على حلب وقاسموا اهلها على بعض المناطق من حلب ، وطمع كل من امير الرها وامير انطاكيا للاستيلاء عليها لاتخاذها قاعدة لمد نفوذهما باتجاه الشرق والجنوب الشرقي فشنوا هجمات عنيفة للاستيلاء عليها[7]. فلما عبر الفرات ملك منبج منبج ،وحصن بزاغة وسار الى حلب فالتقاه اهلها بالفرح والسرور، فدخل حلب سنة 522هـ/1128م[8].

ان استيلاء زنكي على حلب يعد خطوة بالغة الاهمية لما تتمتع به حلب من حصانة عسكرية ،ومركز متميز ،وامكانيات اقتصادية وبشرية وسياسية هامة فضلا عن موقعها على خطوط المواصلات بين فارس والعراق من جهة وبين الشام وآسيا الصغرى من جهة اخرى ، ثم بين امارتين صليبيتين هما الرها وانطاكيا ،وغدت منذ عهد طويل قاعدة لايمكن بدونها السيطرة على الجهات الشمالية والوسطى من بلاد الشام في الوقت الذي يمكنها فيه الاتصال بالقوى الاسلامية المنتشرة في الجزيرة والفرات والاناضول وشمالي بلاد الشام واوسطه ،ممايعد اساسا حيويا

(1)ابن الاثير : التاريخ الباهر،ص 36-37.

(2)سنجارمدينة مشهورة من نواحي الجزيرة ،تبعد عن الموصل مسيرة ثلاث ايام من جهة الغرب .ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج3،ص262.

(3)ابن الاثير : التاريخ الباهر،ص37.والخابور:اسم لنهر كبير بين راس عين والفرات من ارض الجزيرة .ياقوت الحموي:معجم البلدان، ج3،ص206.

(4)حران : مدينة عظيمة مشهورة في جزيرة اقور على طريق الموصل والشام والروم . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2،ص235.

(5)ابن الاثير : التاريخ الباهر،ص37.

(6)ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص37.

(7)الصلابي: علي مُحَمَّد، عصر الدولة الزنكية،ص78.

(8) ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص38؛ الكامل في التاريخ ،راجعه وصححه مُحَمَّد يوسف الدقاق ، منشورات مُحَمَّد علي بيضون ،دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2003م،ج9، ص246-247، ابن العديم :كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله(ت660هـ/ 1261م) ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ،ط1،وضع حواشيه خليل المنصور،دار الكتب العلمية، بيروت،1417هـ/1996م ،ج2،ص239-242؛ ابن واصل:جمال الدين مُحَمَّد بن سالم (ت697هـ/1299م)، مفرج الكروب في أخبار بني ايوب،ضبطه وحققه وعلق عليه جمال الدين الشيال ، مطبوعات ادارة احياء التراث القديم ، مطبعة جامعة فؤاد الاول ،القاهرة، 1953م، ج1،ص39-40.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

لاستمرار حركة الجهاد ،وتحقيق اهداف حاسمة ضد الصليبيين ،لذلك كان ضمها من قبل اي قائد اسلامي ،بمثابة فتح الطريق امامه لتبوء مركز القيادة في حركة الجهاد[1].

حقّق عماد الدين زنكي هدفه وهو توحيد القوى الاسلامية في الشام والجزيرة ، وضم حلب الى الموصل مكّنه من مجابهة خطر الصليبيين وأدى الى عزل امارة الرها عن بقية الامارات الصليبية في الغرب والجنوب[2]،ولم يكن هذا الامر بالمتوقع عند الصليبيين ولم يخطر ببالهم ان يتوحد المسلمون ويشكلوا قوة يهددونهم بها بعد ان كانوا متفرقين ومشتتين بين قوى متصارعة ضعيفة .

ولم يتوقف زنكي عند هذا الحد بل توجه الى حماه [3]واستولى عليها سنة 523هـ/1129م[4].

ثم دخل عماد الدين زنكي في حرب مع الاراتقة الذين جمعوا من العساكر والتركمان فسار اليهم ولقيهم عند دارا [5] فصمدوا لكثرتهم وقاتلهم قتالا شديدا فانهزموا فملك دارا ثم توجه الى سرجة[6]فملكها[7].ولما فرغ من أمر الاراتقة صالحهم ليأمن جانبهم لانه عزم على مواصلة الجهاد ،وإنّ هذا الصلح أتاح له الفرصة للاستيلاء على مزيد من المدن فتوجه الى حصن الاتارب[8]الذي كان بيد الصليبيين فاستولى عليه وسواه بالارض[9].ثم توجه نحو القلاع الكردية المحيطة ببلاده من الشمال ،وكانت هذه القلاع تشكل خطرا على امارته فاستولى في سنة 528هـ /1132م على عدد من هذه القلاع[10].

واستمر زنكي في ضم المدن والقلاع إلى إمارته ففي سنة 531هـ/1137م توجه نحو قلعة بعرين[11]فهاجم الصليبيين فيها وانتصر عليهم واستولى على القلعة[12].ثم ضم بعض المدن الكبرى مثل حمص وبعلبك وحاصر دمشق في سنة 534هـ/1139م[13].

إنّ ضم حمص وحماه الواقعتين على الطريق المؤدي الى دمشق يمنحه ذلك من قواعد عسكرية هامة ،ومراكز للتموين لايمكن الاستغناء عنها عند القيام بهجوم ضد دمشق او فرض الحصار عليها[14].لكن ضم دمشق لم يكن بالامر السهل بل واجه عقبات حالت دون دخوله اليها وذلك بسبب

(1)خليل:عماد الدين: عماد الدين زنكي، ص71؛الصلابي: علي مُحَمَّد ، عصر الدولة الزنكية،ص78.

(2)زكار:سهيل:مدخل الى الحروب الصليبية، دمشق،1416هـ/1995م، ج2،ص678.

(3)حماه:مدينة كبيرة بينها وبين حمص مسيرة يوم من جهة الجنوب وبينها وبين حلب مسيرة اربعة ايام من جهة الشمال .ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج2،ص300.

(4)ابن الاثير : التاريخ الباهر،ص38.

(5)دارا:بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين . ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج4،ص273.

(6)سرجة:وهي حصن بين نصيبين ودنيسر ودارا من بناء الروم القديم وهو باق الى عهد ياقوت .ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج5،ص36.

(7)ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص39.

(8)الاتارب: قلعة مشهورة بين حلب وانطاكية .ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج1،ص80.

(9)ابن الاثير:التاريخ الباهر،ص39.

(10)م.ن،ص48.

(11)بعرين :بليد بين حمص والساحل .ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج1،ص357.

(7)ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ،ص407-408؛ابن العديم: زبدة الحلب ،ج2،ص261-262.

(8)ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق،ص424-426؛ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج9، ص312-314.

(9)طقوش:مُحَمَّد سهيل، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام،ط2،دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت،1431هـ،2010م،ص16.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

ضيق الطرق والشوارع وقد نصح القاضي كمال الدين ابو الفضل الشهرزوري بعدم دخوله دمشق قائلا له:"إنّ البلد ضيق الطرق والشوارع ،ومتى دخل العسكر اليه لايتمكنون من القتال فيه لضيقه وربما كثر المقاتلون لنا والمحاربون ،فتعجز عن مقاومتهم لانهم يقاتلوناعلى الارض والسطوحات ،واذا دخلنا البلد اضطررنا الى التفرق لضيق المسالك فيطمع فينا اهله ، وعاد عن ذلك العزم بحزمه وحذره "[1].فضلا عن أنّ استماتة أهل دمشق في الدفاع عنها ، وما بذله معين الدين أنرمملوك جده طغتكين في سبيل الحفاظ عليها ومنعها من السقوط في يد عماد الدين زنكي ،حتى ان معين الدين انر لم يجد حرجا في الاستعانة بالصليبيين ضد عماد الدين زنكي فقد كاتبهم وطلب منهم النجدة ضد عماد الدين على ان يسلمهم بانياس بعد استعادتها من زنكي ومبلغ عشرين الف دينار يؤديها لهم كل شهر ،ولم يكتف بهذا بل انه خوف الصليبيين من عماد الدين زنكي وحذرهم من انه لو ملك دمشق فانه لن يبق لهم معه بالشام مقام .وعندما علم عماد الدين زنكي بهذا الاتفاق بين انر والصليبيين رفع الحصار عن دمشق وتوجه الى حوران في رمضان من السنة نفسها للقاء الصليبيين قبل وصولهم الى دمشق .وعندما علم الصليبيون بتحركات زنكي ،لم يخرجوا من بلادهم فعاد عماد الدين الى حصار دمشق فتزل شمالها واحرق عدة قرى من المرج والغوطة وقفل راجعا الى بلاده [2].ثم عاد الى الجزيرة وتوجه نحو شهرزور [3]واعمالها واستولى عليها في سنة 534هـ/ 1139م وما يجاورها من الحصون[4].كما استولى على مدينة حديثة وعانة من من ارض العراق سنة 537هـ/ 1142م [5]ديار بكر بكر في سنة 538هـ/1143م[6].

وبذلك اضحت مدن بلاد الشام والجزيرة بيد عماد الدين زنكي في دولة موحدة وقوية ليتمكن من التصدي للصليبيين وازالة خطرهم عن بلاد المسلمين .

2-الاساليب التي اعتمدها عماد الدين زنكي في تكوين الجبهة الاسلامية الموحدة

اعتمد عماد الدين زنكي عدة اساليب لمواجهة خطر انقسام الامارات المحلية في بلاد الشام واقليم الجزيرة .فلم يكن القتال خياره الوحيد لمواجهة هذا التفكك والانقسام والضعف الذي كانت عليه هذه الامارات .

من هذه الاساليب فرض الحصار على المدن لكي تستسلم دون دخوله عنوة ومنح السكان الامان مقابل تسليم المدينة كما حدث في حصار جزيرة ابن عمر [7].وسنجار [8].

(1)ابن الاثير: التاريخ الباهر ،ص59.

(2)ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق،ص271-272؛ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،ج11،ص74؛ ابن العديم: زبدة ،ج2،ص273-274؛ ابن واصل : مفرج الكروب،ج1، ص88.

(3)شهرزور:وهي كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمذان .ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج5،ص165.

(4)سبط ابن الجوزي:شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله(ت654هـ/1256م) ، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان،ط1، حقق هذا الجزء وعلق عليه ابراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت،1434هـ/2013م،ج20،ص366؛ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص57.

(5) ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص64.

(6) م.ن،ص66.

(7)ابن الاثير: التاريخ الباهر ،ص36.

(8)م.ن،ص37.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

استخدام اسلوب التمويه ففي ضمه للرقة نفذ خدعة ذكية فاعلن انه يريد الاستحمام في حمام البلد ،وأناب حاجبه بتدبير هذا الامر واتفق مع صاحب الرقة الذي لم يشك في نوايا عماد الدين زنكي ورجاله على السماح للجيش بدخول المدينة ،وما أن أصبح آخر جندي داخل السور حتى أمر عماد الدين قواته بالاستيلاء على المدينة وأبعد أميرها وأقطعها أحد أمرائه[1].واستخدم الحيلة مع اهل نصيبين فقام بتغيير محتوى رسالة حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين موجهة الى أهالي نصيبين يوعدهم فيها بوصول النجدة الارتقية خلال فترة لاتتجاوز خمسة أيام وكانت الرسالة على جناح طائر فوقعت بيد عماد الدين زنكي واطّلع على مافيها .فأمر بكتابة رسالة اخرى الى أهل نصيبين بدلا من رسالة تمرتاش كتب فيها :من حسام الدين تمرتاش انني قد قصدت إبن عمي داود وقد وعدني بالنجدة والمسير بالجيوش ،وسوف لن يتاخر قدومه الينا باكثر من عشرين يوما ،لذا اطلب منكم الثبات طيلة هذه المدة وبعث الرسالة على جناح الطائر نفسه ،ولم يشك النصيبيون لحظة الثبات طيلة هذه المدة[2].فخاف المدة[2].فخاف النصيبيون على انفسهم وايقنوا انهم غير قادرين على الصمود وانهم عاجزون عن الدفاع عن مدينتهم خلال هذه الفترة الطويلة ،لذا ارسلوا الى زنكي وصانعوه وسلّموا مدينتهم اليه[3].وبفتح نصيبين انفسح الطريق امام زنكي لتحقيق اهدافه ضد امارات ديار بكر ، اذ اتخذ هذا الموقع قاعدة عسكرية في المنطقة للهجوم على المواقع المجاورة [4].

اتخاذه لبعض المناطق التي يسيطر عليها قاعدة عسكرية للدفاع والتموين في حالات التمرد كما حصل اثناء توغله في بلاد الاكراد الهكارية وضم قلعتهم أشب التي اتخذها قاعدة عسكرية لقمع أي تمرد قد يقوم بها الاكراد ضد ممتلكاته هناك ونقطة لتوسيع نفوذه في المنطقة[5].

وعمد عماد الدين زنكي من أجل تحقيق هدفه الى تكوين جبهة موحدة قوية الى سياسة التحالف .اذ وجد الخطر الذي يشكله التحالف بين أمراء ديار بكر من الاراتقة ضد تطلعاته وطموحاته في المنطقة .فلجأ الى الاساليب السياسية علها تحدث تنافرا وانشقاقا في صفوف اولئك الامراء كي يسهل عليه بعد ذلك اقتطاع اراضيهم وممتلكاتهم ،واعتقد ان خير مايبدا به خططه السياسية هو ايجاد تحالف متين مع احد هؤلاء الامراء والاستعانة به ضد الاخرين .وكان من الصعب عليه تحقيق هذا التحالف مع مع غريمه اللدود ركن الدولة ،لما كان يتميز به هذا من حقد ورغبة بانزال الضربات بعدوه وتحين الفرص للانقضاض على ممتلكاته[6].أمّا صاحب آمد فكان ضعيفا وغير قادر على تقديم مساعدات مجدية غي حالة نشوب قتال بين امير الموصل والاراتقة ،ولم يبق امام زنكي سوى حسام الدين تمرتاس الذي كان اكثر مرونة من ابن عمه داود

(1)ابن العديم: زبدة الحلب،ج2،ص450.
(2)ابن الاثير:التاريخ الباهر،ص36-37.
(3)ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص37.
(4)الصلابي:علي مُحَمَّد، عصر الدولة الزنكية،ص85.
(5)م.ن،ص86.
(6)ابن واصل: مفرج الكروب،ج1،ص52.وانظر: الصلابي: علي مُحَمَّد،عصر الدولة الزنكية،ص86.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

،لذا اخذ يتقرب اليه ، واوقف مهاجمته لممتلكاته وسرعان ما احس الامير الارتقي باتجاه زنكي الودي منه ، وراى التضحية بابن عمه داود لابد منها في كسب حليفه الجديد ، وائتمان جانبه ، والسعي عن طريق هذا التحالف للحصول على مزيد من المكاسب في المنطقة[1]. ومن نتائج هذا التحالف تمكّن زنكي وحليفه من مهاجمة آمد وفرضا حصارا عليها وصاحبها سعد الدولة ايلكدي الذي استنجد بداود انتهى بهزيمة داود وتقديم صاحبها مقدارا من المال لقاء فك الحصار عنها[2].ثم اتجه الحليفان بعد ذلك الى الصور وهي من ممتلكات داود وحاصراها وارغماها على الاستسلام وأهداها زنكي الى تمرتاش تقديرا لمساعدته وتأكيدا لتحالفهما[3].

واستخدم زنكي الاساليب والمناورات السياسية في ضم حماه وحمص وتجنب استخدام القوة ،فارسل الى بوري بن طغتكين في دمشق يخطره بنيته في محاربة الصليبيين ويلتمس منه المساعدة ،فكتب بوري بن طغتكين الى ابنه سونج في حماه بالخروج من عسكره لنجدة عماد الدين زنكي ،كما ارسل من دمشق قوة غسكرية مؤبفة من خمسما ئة فارس ،لتنظم الى القوات الاسلامية .لكن زنكي بعد ترحيبه بسونج قبض عليه وعلى عدد من امرائه وقادته ،وأرسلهم الى حلب ، ثم تقدّم زنكي الى حماه منتهزا خلوها من الدفاعات ودخلها عام 524هـ/ 1130م[4].

وعندما وجد زنكي أنّ جهوده في ضم دمشق قد باءت بالفشل لجأ الى عقد هدنة مع حكام دمشق كي يتفرغ للتصدي للصليبيين[5]. فضلا عن استخدام اسلوب سياسي يتيح له السيطرة على دمشق من خلال اقامة علاقات عائلية مع حكام دمشق ،فعرض أن يتزوج من صفوة الملك زمرد خاتون ،ويزوج ابنته من الاتابك محمود مقابل تسليمه حمص[6]،ظنا منه أنه أنه بهذه المصاهرة ستصبح دمشق في متناول يده ،الا أنّه لم يكسب شيئا باستثناء الحصول على حمص فقط ،أمّا ضم دمشق الذي كان هدفه الاساسي من هذا الزواج فلم يتحقق[7].ويقول ابن الاثير في ذلك:"انما حمله على الزواج بها مارای من تحكيمها في دمشق ، فظن أنّه يملك البلد بالاتصال بها ، فلما تزوجها خاب أمله ، ولن يحصل على شيء ، فأعرض عنها"[8]).

واتّبع زنكي اسلوبا آخر يقضي بعزل دمشق عما يحيطها من الامارات فهو بعد أن استولى على حمص وحماه وبانياس والمجدل ،إتّجه الى عزل دمشق ومنع حكامها من الاتصال ببقية أجزاء الامارة الا أنّ هذا الاسلوب لم يجد نفعا

(1)الصلابي :علي مُحَمَّد ،عصر الدولة الزنكية،ص86.

(2)ابن العديم :زبدة الحلب،ج2،ص253. الصلابي: عي مُحَمَّد،عصر الدولةالزنكية،ص86.

(3)ابن منقذ :اسامة بن مرشد بن علي (ت 584هـ/ 1188م)،كتاب الاعتبار، تحقيق :فيليب حتي ،الدار المتحدة للنشر،بيروت،1981م، ص199-201؛ طقوش:مُحَمَّد سهيل، تاريخ الزنكيين،ص112.

(4)ابن العديم:زبدة الحلب: ج2،ص440؛ طقوش:مُحَمَّد سهيل، تاريخ تاريخ الزنكيين،ص116.

(5)ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق،ص-407؛طقوش:مُحَمَّد سهيل، سهيل، تاريخ الزنكيين،ص120.

(6)ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق،ص418-419.

(7)طقوش:مُحَمَّد سهيل، تاريخ الزنكيين،ص122.

(8)الكامل في التاريخ،ج9،ص301.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

فقد تحالف معين الدين أنر مع الصليبيين ضد عماد الدين زنكي وحال دون تنفيذ خطته[1].

ثانيا :المخاطر الخارجية :الخطر الصليبي و مواجهة عماد الدين زنكي لهذا الخطر

انشغل عماد الدين زنكي طيلة السنوات (بين 525-528هـ/1131-1134م) بتنظيم إمارته وتوسيعها ،ولم يوجّه في هذه السنوات قواته لمهاجمة الصليبيين بل عمل على مهادنتهم ليتفرغ للاستيلاء على مزيد من الاقاليم في بلاد الشام والجزيرة .فعقد الهدنة مع جوسلين صاحب الرها ووضع أمراء وفق اختياره على هذه الاقاليم ليرى مدى قدرتهم وشجاعتهم على مواجهة الصليبيين[2].ويشير ابو شامة الى سبب عقد عماد الدين الهدنة مع جوسيلين بأنّ عماد الدين قبل توقيعه للهدنة تلقى نداءا من أهل حران القريبة من الرها وسروج يطلبون منه القدوم الى بلادهم فخاف عماد الدين زنكي من أن يصطدم بجوسيلين صاحب الرها فاضطر الى عقد الهدنة معه[3].فوافق جوسيلين على ما طلبه منه زنكي ،فاستقرت قاعدة الصلح بينه وبين جوسلين وفق ما اراده زنكي[4].وكان زنكي[4].وكان من نتائج هذه الهدنة انها سهلت لعماد الدين زنكي من الاستيلاء على حلب وقطع حبل الامل امام الصليبيين في الاستيلاء عليها مستقبلا[5].

(1)ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق،ص273-274.

(2)ابن الاثير :التاريخ الباهر،ص37؛ابن واصل:مفرج الكروب ،ج1،ص36.

(3)الروضتين،ج1 ق1 ،ص77-78.

(4)ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص37.

(5)عاشور:سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية ،مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ،1976م، ج1،ص550.

وبعد ان حقق عماد الدين زنكي هدفه في توحيد جبهته الداخلية ،وبعد أن وجد انّ أوضاع الصليبيين في بلاد الشام والجزيرة آخذة في التدهور ،حيث أنّ جوسلين صاحب الرها لم يعد قادرا على القيام بهجمات عللى المسلمين ،وان صاحب انطاكيا بوهمند الثاني قتل في سنة (524هـ/1130)،اثناء معركة بينه وبين سلاجقة الروم في اسيا الصغرى ،وان ابنة بلدوين التي كانت تطمح بعرش انطاكيا ارسلت رسالة سرية الى عماد الدين زنكي تطلب فيها مساعدته لاقرارها اميرة على انطاكيا [6].ويوضح هذا التصرف مدى ما كان للزعيم المسلم من نفوذ في المنطقة بحيث التجأت اليه ابنة بلدوين واستعانت به ضد والدها[7].إلّا أنّ بلدوين تمكن من دخول انطاكيا فأضاع على عماد الدين زنكي فرصة الاستيلاء على أهم الامارات الصليبية .

الخطط والاساليب التي اتبعها في فتح حصون الصليبيين وتحرير اراضي المسلمين

فتح حصن الاتارب :من الحصون المنيعة للصليبيين وكان متاخما لحلب ، ومن هذا الحصن كان الصليبيون يشنون غاراتهم على حلب ،ويضايقون اهلها ويقاسمونهم في بعض مناطقها ،فبعد ان فرض عماد الدين زنكي حصاره على هذا الحصن اضطر الى فك الحصار ،وابتعد عنه وقرر خوض المعركة بعيدا عن الاتارب في خطة دلّت على حنكته وذكائه مما دفع بالصليبيين الخروج من الحصن والاصطدام بزنكي في معركة قاسية انتهت بانتصار المسلمين انتصارا عظيما وتكبّد الصليبيون فيها خسائر جسيمة بقواتهم العسكرية ووقوع عدد منهم أسرى بيد

(6)طقوش:مُحَمَّد سهيل ، تاريخ الزنكيين ،ص132.

(7)م.ن،ص132.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

المسلمين[1].فاتجه عماد الدين زنكي بعد المعركة الى الحصن وفتحه عنوة، وأسّرأفراد حاميته وأمر بتخريبه كي يقطع على الصليبيين كل أمل لاستعادته واتخاذه قاعدة تهدد أمن المسلمين في حلب[2].

وتوجّه نحو حارم الواقعة في طريق إنطاكيا ،وضرب عليها الحصار ،فبذل أهلها نصف دخل بلادهم والتمسوا مهادنته ،فأجابهم الى ذلك وقفل راجعا الى حلب[3].

وبعد هذه الانتصارات التي حققها المسلمون بقيادة عماد الدين زنكي أصبح الصليبيون غير قادرين على مواجهة المسلمين ولم يعودوا قادرين ايضا على شن هجمات جديدة على أراضي المسلمين بل اتخذوا موقفا دفاعيا بسبب قيادة عماد الدين زنكي الحكيمة .

أخذت الاحداث التي تلت فتح حصن الاتارب تتجه في بلاد الشام اتّجاها جديدا لصالح المسلمين الامر الذي جعل الصليبيين يدركون أنّ عليهم مجابهة قوة جديدة قذف بها العالم الاسلامي لم تك في حسابهم ، وقد اجبرتهم على تحويل خططهم القتالية من الهجوم الى الدفاع ،وبخاصة بعد وفاة بلدوين الثاني ملك بين المقدس في عام 525هـ/1131م لتنتهي مرحلة التوسع الصليبي الذي قادها هذا الملك ، وتبدا مرحلة التوازن بين المسلمين والصليبيين في الشمال ،ويتجه الجانبان الى الاطراف حيث الخلافة الفاطمية الضعيفة[4].

كانت لدى عماد الدين زنكي القدرة على مواجهة الصعوبات التي تواجهه في فتح المدن وقلب الاحداث لصالحه . فهو عندما يشعر أنّ جيشه في خطر يلجأ الى خطة بديلة فيرفع الحصار ويوهم الصليبيين أنّه سينسحب فيقوم بحركة التفاف سريعةحولهم فيجبرهم على التراجع . فعندما عزم على مهاجمة الصليبيين في سنة 531هـ/ 1137م تعرض جناح جيشه لخطر الدمشقيين فزحف الى حمص التي حازها أنر إقطاعا من اتابك دمشق وفرض عليها حصارا وظل مرابطا أمام المدينة مدة اسبوعين حتى جاءته الانباء بأنّ جيشا صليبيا بقيادة ريموند صاحب طرابلس يدنو منه لمباغتته والقضاء عليه ،فاضطر لرفع الحصار عن حمص حتى لايقع بين شقي الرحا ، وقام بحركة التفاف حول القوات الصليبية وأجبر ريموند على التراجع[5].

فتح حصن بعرين

إنّ هدف عماد الدين زنكي هو الاستيلاء على حصن بعرين(بارين) وهو من أمنع حصون الصليبيين ويقارب حماه .ورأى خير وسيلة يستدرج بها الصليبيين اليه ،وتتيح له الفرصة في الوقت نفسه تولي زمام المبادرة ،هو أن يظهر عزمه على مهاجمة حصن بعرين الصليبي ،وما أن بدأ زحفه صوب ذلك الموقع حتى تقدم الصليبيون بقيادة كل من فولك ملك بيت المقدس وريموند كونت صاحب طرابلس ،ودارت معركة شديدة كان النصر فيها حليف المسلمين وانهزم فولك الى حصن بعرين وأسّر ريموند مع عدد كبير من جنود الصليبيين وأمرائهم وقادتهم[6].

(1)ابن الاثير: التاريخ الباهر، ص 39؛ طقوش:محمّد سهيل، تاريخ الزنكيين ،ص132-133.

(2)ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص39-40.

(3)ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص39.؛وانظر: الصلابي: علي محمّد،عصر الدولة الزنكية،ص99.

(4)قاسم :محمّد عبدة ، ماهية الحروب الصليبية ،ص135.طقوش:محمّد سهيل ، تاريخ الزنكيين،ص133.

(5)ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق،ص258-259.

(6)ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ص298-299؛ الصلابي :علي محمّد، عصر الدولة الزنكية،ص100.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

تمكن عماد الدين زنكي من فتح حصن بارين والاستيلاء عليه وفق خطة محكمة كانت تقوم على:

اولا: التمويه والحيلة التي استخدمها في فتح بارين.

ثانيا:فرض الحصار الشديد على الصليبيين في هذا الحصن فساءت أحوالهم فأدى الى قلة الميرة والذخيرة لديهم بحيث أكلوا دوابهم وأذعنوا بالتسليم ليؤمنهم ويتركهم يعودون الى بلادهم[1].

ثالثا: إعطاء الامان لمن في الحصن عندما سمع عماد الدين زنكي بقرب ملك الروم من الشام ليفوت الفرصة عليه في الوصول الى الحصن ،فقرر عليهم تسليم الحصن ومن المال خمسين الف دينار يحملونها اليه ،فأجابوه الى ذلك .فعنصر المباغتة والاسراع في التحرك دون تأخير كان له الاثر الكبير في أن يستبق عماد الدين تحرّك ملك الروم لنجدة الصليبيين وقطع الطريق عليه[2].

رابعا: بث العيون لتقصي أخبار تحركات العدو ،اذ تبيّن من خلال تحركات عماد الدين زنكي أن لديه جهاز يشبه مايسمى اليوم بالاستخبارات العسكرية اذ ترده أخبار تحركات الصليبيين أولا بأول .

خامسا:في حصاره لحصن بعرين منع عن أهل الحصن كل شي حتى الاخبار ،فكان من به منهم لايعلم شيئا من أخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته على جنوده .فكان لهذا الامر الاثر الكبير في تحقيق الانتصار على الصليبيين لانّ أخبار وصول ملك الروم وقربه من بلاد الشام واجتماعه بمن بقي من الفرنج لم تصل الى مسامعهم[3].

إنّ صمود زنكي ومن معه من المسلمين وصبرهم وثباتهم كان أهم عامل ساعده على تحقيق أهدافه . وأنّ تملكه قلعة بارين سوف يمنع الصليبيين من أن ينفذوا الى أعالي وادي نهر العاصي ،كما أنّ موقعها الاستراتيجي يجعلها تسيطر على حماه وحمص ، ويعد فتحها بالغ الاهمية في مشاريعه المستقبلية[4].

مواجهة عماد الدين زنكي للتحالف الصليبي البيزنطي الذي تحقق اثناء حصار عماد الدين زنكي لحصن بارين كان احد اساليبه التي اتبعها لتفكيك هذا التحالف .بعد طلب الصليبيين في الشام النجدة من الامبراطور البيزنطي والغرب الاوربي دخلت القسوس والرهبان بلاد الروم والفرنج وماوالاها من بلاد النصرانية مستنصرين على المسلمين وأعلموهم أنّ زنكي إن أخذ حصن بارين ومن فيه من الفرنج ملك جميع بلادهم في أسرع وقت لعدم الحامي عنها . وأنّ المسلمين ليس لهم الا قصد بيت المقدس ،فحينئذ اجتمعت النصرانية وساروا على الصعب والذلول وقصدوا بلاد الشام مع ملك الروم[5].

ويبدو أنّ هذا التحالف كان هشا فسرعان ما نشب الصراع بين المتحالفين بعدعرض الاميرة الانطاكية اليسن زواج ابنتها من ابن الامبراطور البيزنطي مانويل[6].وهذا يعني دخول انطاكية في تبعية تبعية بيزنطية وهو الامر الذي رفضه بقية زعماء الصليبيين لذلك سارعوا بتزويجها من ريموند دي بواتييه وقد غضب يوحنا ملك الروم الذي تم دون

(1)ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج9،ص299.

(2)م.ن،ج9،ص299.

(3)ابن الاثير: التاريخ الباهر، ص61.

(4)طقوش:مُحَمَّد سهيل، تاريخ الزنكيين،ص137.

(5)ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج9،ص299.

(6)عمران:سعيد محمود ،محاضرات في معالم التاريخ الاسلامي الوسيط، مؤسسة كريديه، بيروت، د.ت، ص209؛طقوش: مُحَمَّد سهيل، تاريخ الزنكيين ،ص138.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

استشارته لانّ انطاكية تابعة له من الناحية الاسمية ،وبذلك اضحى الصدام وشيكا بين يوحنا وريموند[1].واشتد العداء بين البيزنطينيين والصليبيين منذ وصول هؤلاء الى اطراف الشام والعراق ، ورفضهم التقيد بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم للامبراطور البيزنطي بتسليمه كافة المدن والبلدات التي كانت فيما مضى من ممتلكات الامبراطورية البيزنطية قبل أن يفتحها المسلمون،وقد تركّز جزء كبير من العداء بين الطرفين في العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية وإمارة انطاكية،لان هذه الامارة -الاضافة الى امارة الرها كانت تشكل اهمية دينية وعسكرية وتجارية في السياسة البيزنطية[2].

تمكن الامبراطور البيزنطي من السيطرة على القلاع الارمينية في كليكية فتابع زحفه نحو الجنوب فاجتاز اسكندرونة ،وعبر الدروب الشامية الى انطاكية ، وضرب الحصار عليها فاضطر صاحبها ريموند بواتيه امام ضخامة الجيش البيزنطي من جهة وعدم تلقيه مساعدات من الصليبيين في الرها وبيت المقدس من جهة اخرى ،الى الخضوع لارادة الامبراطور بعد حصوله على حصوله على موافقة الملك فولك وتسلم الامبراطور البيزنطي المدينة[3].

لقد جرت مباحثات بين الامبراطور البيزنطي والصليبيين وكان محور هذه المباحثات هو قيام تحالف بينهما وتم الاتفاق على جملة بنود كان من بينها ،تحطيم قوة عماد الدين في حلب، والقضاء على إمارة بني منقذ في شيزر ،واقامة امارة صليبية تشمل الجهات الداخلية من بلاد الشام بما فيها حلب وشيزر وحماة وحمص[4].

ويبدو ان اخبار هذا الاتفاق على الرغم من سريته قد تسربت الى اهالي حلب الذين قاموا باعمال التحصينات وحفر الخنادق ،كما ان الامير سوار قام بمهاجمة الجيش البيزنطي اثناء عودته من انطاكية الى ارمينية لقضاء فصل الشتاء وظفر بسرية وافرة العدد من عسكره ،فقتل واسر ،ودخل بهم الى حلب[5].

من العوامل التي ساعدت عماد الدين زنكي في مواجهة الصليبيين وقوف اهل حلب الى جانبه وما ابدوه من مقاومة للغزاة الصليبيين الذين حاصروا شيزر بقوات بلغت مائة الف راكب ومائة ألف راجل ، ومعهم من الكراع والسلاح مالايحصيه الا الله ،وامام هذا الخطر قام حاكم شيزر بتعزيز استحكامات المدينة وراسل عماد الدين زنكي يطلب النجدة منه ،فوصل عماد الدين حماه واتخذها قاعدة لقواته ، واظهر بنو منقذ مقاومة عنيفة في المعركة التي جرت بين الطرفين وجرح احد امرائهم وهو ابو المرهف نصر بن منقذ الذي توفي فيما بعد متاثرا بجروحه، وتصدى بنو منقذ للبيزنطينيين واجبروهم على الانسحاب من المدينة[6].الا أنّ البيزنطينيين استمروا استمروا بشن غاراتهم على المدينة وضربها بالمنجنيقات[7].

أمّا عماد الدين زنكي فقد أسرع لمجابهة هذا الخطر حال سماعه لاستغاثة أهل شيزر وحاكمها ابو العساكر فتقدم بقواته الى المنطقة واختار موضعا بين حماه وشيزر على ضفاف نهر العاصي لكنه لم يتمكن

(1)طقوش: محمد سهيل، تاريخ الزنكيين،ص138.

(2)م.ن،ص139.

(3)رنسمان :ستيفن،تاريخ الحروب الصليبية،ط2 ،ترجمة السيد الباز العريني ،دار الثقافة ،بيروت، 1981م،ج2،ص341؛ وانظر : طقوش: محمد سهيل، تاريخ الزنكيين،ص141.

(4)طقوش: محمد سهيل،تاريخ الزنكيين ،ص141.

(5)ابن العديم :زبدة الحلب ،ص315.

(6)ابن العديم :زبدة الحلب،ص318.

(7)م.ن،ص318.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

من الدخول مع البيزنطيين في معركة لتفوقهم عليه بالعدة والعدد بل كان يركب كل يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فتاخذ من ظفرت به منهم[1].وعندما حاصر عماد الدين الروم منع عنهم وصول المؤن[2].وعمل على دب الرعب في صفوف الروم وترهيبهم فكان يرسل اليهم يقول لهم:" إنّكم قد تحصنتم بهذه الجبال ،فاخرجوا عنها الى الصحراء حتى نلتقي ، فإن ظفرتم أخذتم شيزر وغيرها ، وإن ظفرت بكم أرحت المسلمين من شركم ، ويقول إبن الاثير: أنّ عماد الدين لم يكن له بهم قوة لكثرتهم ، وإنّما يفعل هذا ترهيبا لهم[3].وعندما أشار فرنج الشام على ملك الروم بمنازلة عماد الدين وهوّنوا عليه أمره فلم يفعل ،وقال:أتظنون أنّ ليس له من العسكر الا ماترون إنّما يريد أن تلقونه فيجيئه من نجدات المسلمين مالاحد له "[4].ولعلّ هذا الاسلوب الذي اتبعه زنكي مع الصليبيين هو ما يسمى اليوم بالحرب النفسية .

ولجأ زنكي الى طلب النجدة من مختلف المناطق ،فأرسل الى القاضي كمال الدين أبو الفضل مُحَمَّد بن عبد الله الشهرزوري الى السلطان مسعود بن مُحَمَّد بن ملكشاه يستنجده ويطلب منه العساكر ،وعندما أجابه القاضي بأنّ هذه النجدة قد تخرج البلاد من ؟أيدينا ويجعل السلطان هذا حجة علينا وينفذ العساكر ،فاذا توسطوا البلاد ملكوها ،فقال عماد الدين : إنّ هذا العدو قد طمع في البلاد ،وإن أخذ حلب لم يبق بالشام إسلام ،وعلى كل حال فالمسلمون أولى من الكفار بها[5].

استخدم عماد الدين زنكي الحيلة والخداع لشق الصف بين الروم والفرنج وتعميق الخلاف بينهم،فراح يراسل إفرنج الشام ويحذرهم من ملك الروم ،ويخوفهم أنّه إن ملك بالشام حصنا واحدا أخذ البلاد التي بايديهم منهم،وكان يراسل ملك الروم يخوّفه ويوهمه بأنّ الفرنج خائفون منه فلو فارق مكانه تخلفوا عنه ،فأدخل الشكوك في نفوس الطرفين المسيحيين[6].فباءت حملتهم على شيزر بالفشل بسبب خلافاتهم واشتداد المنافسة بينهم ،وتدهور العلاقات فيما بينهم فلم يتمكنوا من القيام بعمل ضد عماد الدين زنكي .

اعتمد عماد الدين زنكي على رجال اكفاء امتازوا بالفطنة والذكاء وحسن التدبير ،ومن هؤلاء القاضي كمال الدين الشهرزوري الذي أرسله زنكي الى مسعود سلطان السلاجقة ليطلب منه المساعدة ،وعظم الامر عليه وذكر له خطورة الموقف في تعرض بلاد المسلمين الى خطر الصليبيين ،فهو بعد ان راى تقاعس السلطان عن ارسال المساعدة أثار العامة وحرضهم، والقى خطيب الجمعة خطبته واستغاث المصلون بصوت واحد :وا اسلاماه؛ودين مُحَمَّداه ، فخرجوا من الجامع فقصدوا دار السلطان يبكون ويستصرخون ويستغيثون[7].فقرر السلطان حينها ارسال العساكر لقتال الروم ،الا ان عماد الدين عدل عن طلب النجدة وأرسل الى السلطان يبلغه

(1)ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج9،ص302؛ التاريخ الباهر،ص55.
(2)ابن الاثير: التاريخ الباهر ،ص55.
(3)م.ن،ص55-56؛ الكامل في التاريخ،ج9،ص302.
(4)ابن الاثير:التاريخ الباهر،ص56؛ الكامل في التاريخ،ج9،ص302.
(5)ابن الاثير : الكامل في التاريخ،ج9،ص303.
(6)ابن الاثير:الكامل في التاريخ، ج9،ص302؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،ج1،ص79.
(7)ابن الاثير: الكامل،ج9،ص303.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

ان الروم قد رحلوا عن الشام فلم يعد بحاجة الى المساعدة[1].

وكان للقاضي دور فاعل في إعادة العساكر السلجوقية خوفا من أن تطأ عساكر السلطان البلاد أي بلاد الشام ويملكها بحجة قتال الروم [2].وللقاضي كمال الدين الشهرزوري مكانة خاصة عندعماد الدين فقد قال عن جهوده وأعماله : أنّ شغلا واحدا يقوم فيه كمال الدين خير من مائة الف دينار[3].

وعلى أثر انسحاب المتحالفين من شيزر تمكن صلاح الدين الباغسياني حاجب زنكي أن يستولي على كفر طاب سنة (531هـ/1137م) بعد أن بلغه هروب الصليبيين منها [4].وسار زنكي الى حصن حصن عرقة وهي من أعمال طرابلس ،فحاصره وفتحه عنوة ، وأسّر من فيه من الصليبيين ثم أمر بتخريبه[5].وفي عام 533هـ/ 1139م اتّجه الى حصن بزاعة ففتحه عنوة وقتل معظم من فيه من الصليبيين والروم ، ثم حاصر الاثارب وتمكن من فتحه وقفل عائدا الى الموصل[6].

فتح الرها

كانت امارة الرها الصليبية اولى الامارات التي تأسست في الشرق الاسلامي سنة 491هـ/ 1097م .وقد تميزت بموقعها في الحوض الاوسط لنهر الفرات حيث تحملت عبء الدفاع عن بقية الامارات الصليبية في بلاد الشام ،وشكلت خطرا اساسيا على خطوط المواصلات الاسلامية بين الشام واسيا الصغرى والعراق ومنطقة الجزيرة [7].قال [7].قال عنها ابن الاثير:"انها من اشرف المدن عند النصارى وأعظمها محلا ،وهي إحدى الكراسي عندهم ،فأشرفها بيت المقدس ثم رومية، والقسطنطينية والرها ، وكان فتحها فتح الفتوح حقا"[8].وذكر إبن الاثير أنّ فتحها كان بسبب تواجد الفرنج بها يشكل ضررا كبيرا لقربها من المسلمين وكانت غاراتهم مستمرة على اقليم الجزيرة من آمد من ديار بكر وماردين ونصيبين وراس عين والرقة ، وحران[9].فكان فتحها ضرورة سياسية وعسكرية واقتصادية ودينية[10].

تمكن عماد الدين زنكي من فتح الرها بعد ان وضع خطة محكمة ، وكانت خطته تقوم على :

اولا : التمويه والحيلة لكي تتيح له فرصة لتحقيق هدفه ، فكان يعلم بانه لايستطيع فتح الرها مادام جوسلين وقواته موجودين بها .لذا عمل على إيجاد وسيلة تدفع جوسيلين الى مغادرة الرها ،فاتّجه الى آمد وأظهر أنّه يعتزم حصارها ،وبث عيونه في منطقة الرها ليطلعوه على تحركات جوسلين اولا باول ،فانطلت هذه الحيلة على أمير الرها فغادرمقر إمارته على ر؟أس قواته[11].

واندفع عماد الدين زنكي بعساكره مسرعا نحو الرها واستنفر كل قادر على حمل السلاح من

(1)ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج9،ص303.
(2)ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص63.
(3)ابن الاثير : التاريخ الباهر ،ص63
(4)ابن العديم :زبدة الحلب،ج2،ص459.
(5)ابن الاثير: التاريخ الباهر: ص57.
(6)ابن العديم: زبدة الحلب ، ج2، ص460.
(7)الغامدي: مسفر سالم ،الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في عصر عصر الاسرة الزنكية، رسالة ماجستير ،جامعة ام القرى،مكة المكرمة ،1402هـ-1403هـ/1982-1983م،ص290.
(8)التاريخ الباهر،ص67.
(9)م.ن،ص67.
(10)طقوش: مُحَمَّد سهيل، تاريخ الزنكيين ،ص149.
(11)ابن الاثير: التاريخ الباهر ، ص67.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

مسلمي المنطقة للجهاد في سبيل الله ،فطوّق الرها من جهاتها الاربع [1].

ثانيا: حاول ان يستعمل الوسائل السلمية مع أهل الرها حتى لايضطر الى رفع السيف لقتالهم فبذل لاهالي الرها الامان ،طالبا منهم ان يفتحوا له ابواب المدينة بدلا من ان يلجا الى تخريب اسوارها ، الا أنّهم ابوا قبول الامان وامتنعوا [2].حينئذ اقدم على تدمير الاسوار مستخدما المنجنيقات ،وحاول جوسلين طلب النجدة لدى سماعه نبا هجوم زنكي فلم تصل هذه النجدة الا

الا بعد فوات الاوان[3].وتمكن زنكي من دخول المدينة بعد أن استسلمت القلعة[4].

فكانت المباغتة وسرعة التحرك واختياره التوقيت الملائم لعمله العسكري من العوامل التي ساعدت عماد الدين زنكي في فتح الرها والتخطيط الذكي لخوض المعركة أثبت أنّ عماد الدين زنكي قائدا عسكريا من الطراز الاول .

إنّ سقوط الرها بيد المسلمين أظهر أنّ المسلمين قادرين على تحقيق النصر على الصليبيين اذاما توفرت القيادة العسكرية القوية والعزيمة والارادة الصلبة ، وأنّ لدى المسلمين الكفاءة السياسية والعسكرية التي تمثلت بقيادة عماد الدين زنكي .

مهّد فتح الرها الطريق أمام عماد الدين زنكي لاستكمال فتح الحصون المجاورة ، وأدّى الى انقاذ امارة عماد الدين زنكي من خطر استمرار الغارات الصليبية عليها وأصبح أهلها بعد الخوف آمنين[5].

(1)م.ن، ص68.

(2)ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص68-69.

(3)ابن الاثير: التاريخ الباهر: ص69.

(4)م.ن،ص69.

(5)طقوش: محمد سهيل، تاريخ الزنكيين،ص156.

كانت مقومات نجاح مشروعه النهضوي تاسيسه لديوان الجند وامداد المجاهدين بمصدر لاينفذ من المؤن والعتاد ،لضمان استمرارية الجهاد ضد الصليبيين فكانت مصر المصدر الرئيسي لهذه المؤن ، الى جانب نظام الاقطاع الحربي[6].

ومن مقومات نجاح مشروعه هو تجديد الدعوة الى احياء حركة الجهاد ضد الصليبيين ،فالجهاد كان يعد في نظره فرض عين على كل مسلم عملا بقوله تعالى: " كتب عليكم القتال وهو كره لكم "[7].وقوله تعالى:

" انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم "[8].ولن يقبل بأي عذر فهو أمر بمكاتبة التركمان المتطوعة ثم أمر عساكره بالتجهز والسير صوب الرها وهدّد كل من يتخلف عنه ،وأعلن أنّه لايقبل عذر من اعتذر فانهالت عليه جموع المسلمين من كل مكان[9].

استمر زنكي في فتح الحصون والقلاع حتى آخر يوم من حياته. فحاصر قلعة جعبر الواقعة على الفرات بين بالس والرقة ،قرب صفين .وبينما كان يحاصرها في 6 ربيع الاخر عام 541هـ/ 1146م دخل عليه أخد خدامه وقتله وهو نائم[10].

ومما تقدم يمكن القول أنّ عماد الدين زنكي نجح في تأسيس دولة قوية ووسّعها عن طريق ضم

(6)ابن الاثير: التاريخ الباهر،ص37.

(7)سورة البقرة:آية216.

(8)سورة التوبة:آية 41.

(2)ابن العديم: زبدة الحلب ،ج2،ص278؛ابن واصل: مفرج الكروب،ج1،ص93.

(3)ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج9،ص13؛ابن واصل: مفرج الكروب،ج1،ص99.وعن اسباب مقتله انظر: طقوش: محمد سهيل، تاريخ الزنكيين،ص160.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

المدن والامارات المحلية في الجزيرة وبلاد الشام وتوحيدها مع إمارة الموصل .ونجح في تكوين جبهة إسلامية متماسكة لمواجهة الصليبيين وطردهم من بلاد المسلمين ،وفق خطط مدروسة .وأنّ مشروعه النهضوي هذا شكل ركيزة أساسية وضع لبنتها الاولى ليكمله من بعده ابنه نور الدين زنكي ومن بعده صلاح الدين الايوبي.

إنّ دراسة مشروع عماد الدين زنكي النهضوي هدفها الاستفادة مما قدمه من تجارب نافعة للنهوض بالامّة ومواجهة المخاطر والتي تعيننا على مواجهة ما يتعرض له عالمنا العربي الاسلامي في وقتنا الراهن من تحديات خطيرة متمثلة بقوى الاستعمار العالمي والاحتلال الصهيوني لفلسطين وضعف العرب والمسلمين وتفككهم ،والغزو الثقافي الذي يهدد هويتنا العربية الاسلامية وقيم الدين الاسلامي الحنيف .

الخاتمة:

عمل عماد الدين زنكي منذ توليه ولاية الموصل على تكوين جبهة اسلامية موحدة لمقاومة الصليبيين ،وطردهم من الشرق الاسلامي ،واضعا اللبنة الاولى لمشروعه النهضوي وتاركا لمن بعده هذا العمل الذي بداه لمن ياتي من بعده فاكمل مشروعه ابنه نور الدين محمود زنكي ومن بعد ه صلاح الدين الايوبي..

أسّس عماد الدين دولة قوية موحدة متماسكة شملت حدودها مابين شهرزور شرقا الى سواحل بلاد الشام غربا ،ومن آمد وديار بكر وجبال الاكراد شمالا الى الحديثة جنوبا ،وكان ظهوره على مسرح الاحداث فاتحة عصر جديد حالف النصر فيه المسلمين ،وتعد وفاته خسارة فادحة لهم حتى لقد صاح أهل جعبر عندما نمى اليهم القاتل بالنبأ:"لقد قتلت المسلمين كلهم بقتله"[1]

أعطى عماد الدين زنكي بمشروعه النهضوي دروسا تاريخية وعبر تؤكد أنّ بوحدة المسلمين يتمكن القائد العسكري أنّ يحقق النصر على الاعداء الصليبيين .وأنّ تشتت المسلمين وتفرقهم الى امارات متنازعة فيما بينها يشجع اعداء المسلمين على احتلال اجزاء من اراضيهم.

كانت شجاعة عماد الدين زنكي النادرة ومقدرته الادارية وبراعته العسكرية وخبرته بشؤون الجند وخططه الناجحة والدهاء الذي عرف به احد مقومات النصر التي عجز عن تحقيقه من سبقه في تصديهم للصليبيين.

بعث النصر الذي حققه عماد الدين زنكي على الصليبيين لاسيما في فتحه امارة الرها الامل في نفوس المسلمين ودفعهم الى مواصلة الجهاد لاستعادة اراضيهم بعدما لمسوا ضعف الصليبيين.

إنّ عماد الدين زنكي جسّد معاني البطولة في مشروعه النهضوي فكان قائدا شجاعا طار ذكره في الافاق . ممايدفعنا الى ضرورة إعادة النظر في أساليب تربية أجيالنا في الوقت الحاضر والتي ينبغي أن تقوم على غرس روح البطولة في نفوس النشيء الجديد وتربيته وفق الشريعة الاسلامية التي تربى عليها اؤلئك الابطال من أمثاله.

تأكّد منطق التاريخ من أنّ مثل تلك الكيانات الصليبية غير الشرعية لن تستمر على الارض لان ابناء المنطقة أصحاب الهوية الدينية

(1)ابن العديم: زبدة الحلب ،ج2، ص470.طقوش: مُحَمَّد سهيل ، تاريخ الزنكيين، ص162.

(2)الصلابي:علي مُحَمَّد،عصر الدولة الزنكية،ص528.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الموحدة لن يقبلوا بذلك الوضع السياسي والعسكري الدخيل (2) .

ارتفع شان عماد الدين زنكي بعد فتحه الرها خاصة فأصبح أسمه يتردد سريعا في الحوليات اللاتينية والسريانية ليعكس أنّه أحدث تاثيرا كبيرا في مجرى احداث الشرق اللاتيني ، وبصورة غير مسبوقة ، وارتفع شانه عند المسلمين ايضا ،فقد عزز فتح الرها مركز عماد الدين تجاه السلطان السلجوقي مسعود والخليفة العباسي المقتفي لامر الله الذي انعم عليه بعدد كبير من الالقاب التي حازها عن جدارة ،كالامير المظفر ،ركن الاسلام ،عمدة السلاطين ، زعيم جيوش المسلمين، ملك الامراء ، امير العراقين والشام ،وجعل هذا النصر عماد الدين زنكي المدافع الاول عن الدين ، والمجاهد في سبيل اعلاء كلمة الله ، ودارت في المحافل الاسلامية احاديث تمحورت حول شخصيته ، تصور لنا مدى الاعجاب اللذين نالها اثر تحقيقه هذا النصر الكبير[1].

قدّم عماد الدين زنكي بمشروعه النهضوي الجهادي انموذجا يقتدى به ، بقضائه على عوامل التجزئة وتوحيد المدن والامارات المنفصلة في نطاق دولة واحدة ،فهو اول قائد قام بتجميع القوى الاسلامية ليجابه الخطر الصليبي .

(1)الصلابي: علي مُحَمَّد، عصر الدولة الزنكية،ص528.

قائمة المصادر الاولية والمراجع الحديثة

- **القرآن الكريم**
- **ابن الاثير:علي بن ابي الكرم مُحَمَّد (ت630هـ/1232م)**

1. التاريخ الباهر في الدولة الزنكية ،تحقيق ،عبد القادر أحمد طليمات ،دار الكتب الحديثة ، القاهرة، ومكتبة المثنى ببغداد، 1382هـ/ 1963م.
2. الكامل في التاريخ ،راجعه وصححه مُحَمَّد يوسف الدقاق، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت،1424هـ/2003م.

- **ابن حوقل: مُحَمَّد بن علي النصيبي(ت367هـ/ 978م)**

3. صورة الارض،مطبعة بريل، ليدن،1928م.

- **ابن خلكان:ابو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد (ت681هـ/1282م)**

4. وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق،احسان عباس، دار صادر، بيروت،د.ت.

- **سبط ابن الجوزي:شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله (ت654هـ /1256م)**

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

5. مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ،ط1، حقق هذا الجزء وعلق عليه ابراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت،1434هـ/2013م.

- **ابو شامة:شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي(ت665هـ/1266م)**

6. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ،نشر وتحقيق مُحَمَّد حلمي أحمد،مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة،1956م.

- **ابن العديم:كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله(ت660هـ/1261م)**

7. زبدة الحلب في تاريخ حلب ،ط1، وضع حواشيه خليل المنصور،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417هـ/1996م.

- **ابن القلانسي:ابو يعلى حمزة بن أسد بن علي التميمي الدمشقي(ت555هـ/1160م)**

8. ذيل تاريخ دمشق،تحقيق،سهيل زكار ،دار احسان ،دمشق،1402هـ/1983م.

- **القلقشندي:أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ/1418م)**

9. صبح الاعشى في صناعة الانشا ،نسخة مصورة عن المطبعة الاميرية ، وزارة الارشاد القومي،القاهرة ،1963م.

- **إبن كثير:أبو الفدا اسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ/1372م)**

10. البداية والنهاية،تحقيق، أحمد جاد،دار الحديث، القاهرة ،1427هـ/2006م.

- **المقدسي: مُحَمَّد بن احمد(ت380هـ/ 990م)**

11. أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، علق عليه ووضع حواشيه مُحَمَّد أمين الضناوي،منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م.

- **ابن منقذ:اسامة بن مرشد بن علي(ت584هـ/1188م)**

12. الاعتبار،تحقيق،فيليب حتي،الدار المتحدة للنشر ،بيروت ، 1981م.

- **ابن واصل: جمال الدين مُحَمَّد بن سالم (ت697هـ/ 1299م)**

13. مفرج الكروب في أخبار بني ايوب،ضبطه وحققه وعلق عليه ،جمال الدين الشيال ، مطبوعات ادارة احياء التراث القديم، مطبعة جامعة فؤاد الاول ، القاهرة ،1953م.

- **ياقوت الحموي:شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م)**

14. معجم البلدان ،قدم هذه الطبعة المنقحة والمصححة مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي،دار احياء التراث العربي ،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ،د.ت.

المراجع الحديثة

- **الباشا:حسن**

1. الفنون الاسلامية على الاثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة،1966م.

- **زكار:سهيل**

2. مدخل الى الحروب الصليبية ،دمشق،1416هـ/ 1995م.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

- **الصلابي : علي محمد**

3. عصر الدولة الزنكيةونجاح المشروع الاسلامي،ط1، مكتبة الايمان ، المنصورة ،1427هـ/ 2006م.

- **طقوش: محمد سهيل**

4. تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ،ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت،1431هـ/ 2010م.

- **عاشور:سعيد عبد الفتاح**

5. الحركة الصليبية، مكتبة الانكلو المصرية ،القاهرة، 1976.

- **عمران:سعيد محمود**

6. محاضرات في معالم التاريخ الاسلامي الوسيط، مؤسسة كريديه ،بيروت،د.ت.

- **الغامدي: مسفر سالم**

7. الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في عصر الدولة الزنكية، رسالة ماجستير ،جامعة ام القرى ،مكة المكرمة ،1402-1403هـ/1982-1983م.

- **قاسم :محمد عبدة**

8. ماهية الحروب الصليبية ،عالم المعرفة، العدد 149،شهر ايارعام 1990.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

تقويم كتاب التدريبات اللغوية للصف الرابع الابتدائي من وجهة نظر المعلمين.

م.د. أمنة كاظم عليوي الجبوري
الكلية التربوية المفتوحة / مركز الرصافة الدراسي /قسم اللغة العربية

الكلمات المفتاحية : التقويم، عناصر التقويم ، الكتاب المدرسي، التدريبات اللغوية،اهمية التدريبات اللغوية .

ملخص البحث باللغة العربية

يهدف البحث الحالي إلى تقويم كتاب التدريبات اللغوية المقرره لتلامذة الصف الرابع الابتدائي ومدى تطابقه مع مواصفات الكتاب المدرسي الجيد .

ولتحقيق هدف البحث قامت الباحثة باستطلاع آراء مدرسي الكتاب من خلال :

استبيان لمواصفات ومعايير الكتاب المدرسي ومدى توفرها في الكتاب المعني وبعد التأكد من صدق وثبات أداة البحث ، كانت أهم النتائج :-

1. مادة الكتاب المدرسي مناسبة.
2. تحقق مادة الكتاب الأهداف التربوية المحددة .
3. لغة الكتاب المذكور سليمة وواضحة ومناسبة.
4. طريقة عرض الكتاب مناسبة وتحفز على القراءات الإضافية.
5. مواصفات إخراج الكتاب وعناصر الكتاب مناسبة وجيدة.
6. اشتمل الكتاب على أنشطة نحوية مناسبة .
7. لم يتضمن الكتاب رسوم وأشكال توضيحية .

وأوصت الباحثة بأهمية إيصال كتاب دليل المعلم لمعلمي المادة ، وعمل دورات تدريبية للمعلمين، واقترحت أن يقوم باحثون آخرون بدراسة تقويمية لبقية الصفوف في مواد اللغة العربية وفروعها المختلفة .

ملخص البحث باللغة الإنكليزية

Evaluation of the book of language exercises for the fourth grade of Elementary school from the point of view of teachers

The current research aims to evaluate the book of the language exercises for the elementary fourth grade students and its compatibility with the specifications of the valued textbook.

To achieve the goal of the research, the researcher surveyed the views of the teachers of the book through Questionnaire for the specifications and standards of the textbook and the extent of availability in the book concerned and after confirming the

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

validity and stability of the research tool, the most important results- :

1. Textbook material is appropriate
2. Materials of the book achieve specific educational goals
3. The language of the book mentioned is sound, clear and appropriate
4. The presentation of the book is appropriate and stimulates additional readings
5. The specifications of the book output and the elements of the book are appropriate and good
6. The book includes appropriate grammatical activities
7. The book does not include illustrations and pictures.

The researcher recommended the importance of delivering a teacher's guidebook to teachers who teach the same material, and conducting training courses for teachers, and suggested that other researchers conduct an evaluation study for the rest of the classes in the Arabic language subjects and its various branches.

key words: Evaluation, Evaluation Elements ,school book, Language Exercises, The importance of language exercises.

الفصل الاول

مشكلة البحث :

يعد الكتاب المدرسي المرجع الرئيسي في العملية التعليمية ، فهو يترجم الكثير من أهدافها كما أنه يساعد التلميذ على التعلم الذاتي ، فهو يستطيع أن يرجع إليه في أي وقت يشاء ، وهو بالإضافة إلى ذلك أداة وصل بين التلميذ والمدرس ، فالكتاب المدرسي هو العمود الفقري للمنهج .

وقد عرفه اللقاني [1] بأنه : ذلك الوعاء الذي يضم المحتوى من المادة الدراسية شاملاً الوسائل التعليمية والأنشطة ، ووسائل التقويم ، ومقدمة تخص التلميذ ، وفهرساً يعرض المقرر بشكل عام ، هذا إضافة إلى المصطلحات ، وهو يخص المتعلم بالدرجة الأولى وقبل المعلم .

ونظراً لأهمية الكتاب المدرسي فإنه جرى الاهتمام والعناية به من حيث مواصفاته ولذلك ظهرت مشكلات عديدة تتعلق بالكتاب المدرسي ومبررات تأليفه وهناك عدة ابتهالات ينبغي توافرها ، وهذه المواصفات منها ما يتعلق بالمادة العلمية ، ومنها ما يتعلق بالأسلوب والإخراج والوسائل والأنشطة إلى غير ذلك ، ويجب أن يكون المحتوى مرتبطاً بحاجات التلميذ وقدراته ، وحاجات المجتمع ومتطلباته ، وأن تكون موضوعاته مترابطة مع بعضها ، وأن يضع الحلول للمشكلات المعاصرة التي يحياها الناس اليوم ،

[1] . اللقاني ، أحمد حسين ، المنهج : الأسس ، المكونات ، التنظيمات ، القاهرة ، عالم الكتب ١٩٩٥م .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

كما يجب أن تتنوع موضوعاته بتنوع الفروق الفردية بين التلاميذ ، إلى آخر ما هنالك من مواصفات .

والكتاب موضوع البحث هو كتاب " التدريبات اللغوية للصف الرابع الأبتدائي " المقرر تدريسه لصفوف الرابع الابتدائي للعام الدراسي 2019/2018 وهو في الطبعة الأولى التجريبية الحديثة مما يعني أن الكتاب لم تجر عليه أي دراسة فهو طباعة العام الحالي ولهذا فإن أهمية هذا البحث تبدو كبيرة كونها جاءت متزامنة مع طرح الكتاب للتدريس وقد تكون أول دراسة بحسب علم الباحثة .

أهمية البحث :

ترجع أهمية البحث كما ذكرت الباحثة سابقاً إلى أنه الدراسة الأولى حول كتاب تم اعتماده بنفس العام كمقرر على طلاب المرحلة الأساسية ، فمن خلال هذا البحث سيتبين فيما إذا كان الكتاب مطابقاً لمواصفات الكتاب المدرسي أم أن الكتاب بحاجة إلى تعديلات كما سيوضح هذا البحث فيما إذا كان الكتاب المعني مناسباً لمستوى التلاميذ ولعدد الحصص المقررة .

إن الوقوف ميدانياً على جوانب القوة والضعف بالكتاب المقرر من خلال آراء المدرسين يسهم بشكل كبير بتقديم الإيجابيات لدعم ضمان استمرار الكتاب ، وتحديد السلبيات التي يمكن تلافيها ومعالجتها بشكل مناسب من خلال توصيات ومقترحات إلى الجهات المعنية .

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى : -

- معرفة مدى مطابقة مواصفات الكتاب المدرسي لكتاب التدريبات اللغوية للصف الرابع الابتدائي من وجهه نظر المعلمين.
- تقديم مقترحات وتوصيات لجهة الاختصاص ، للعمل على تلافي السلبيات في الكتاب إن وجدت .

منهج البحث :

أتبعت الباحثة في هذا البحث المنهج الوصفي ، حيث يهتم المنهج الوصفي بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع والحقائق ، ويتضمن قدراً من التفسيرات للبيانات التي تم جمعها وتبويبها ، وتزودنا البحوث الوصفية في المجالات التربوية : بمعلومات حقيقية عن الوضع الراهن للظواهر المختلفة التي يتأثر بها التربويون في عملهم ، ومثل هذه المعلومات ذات قيمة عملية تؤيد ممارسات قائمة أو ترشد إلى سبيل تغييرها .[2]

أداة البحث :

استعملت الباحثة الاستبيان باعتباره الأداة المناسبة للمسح المدرسي بالدراسات المسحية حيث تهدف الدراسة المسحية لتشخيص الأوضاع الحالية وتحديد كفاءة الوضع القائم عن طريق مقارنته بمستويات أو معايير معينة ووضع خطط لتحسين تلك الأوضاع .

وقد استفادت الباحثة من عدة مراجع جمعت منها الأداة وكان أهمها ما اعتمدت في منهجها منها وعرض التفصيلات .

تحاول الباحثة الإجابة عن الأسئلة التالية :

[2] . مرسي ، محمد منير، البحث التربوي وكيف نفهمه ،القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٤م.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

- ما مدى ملاءمة مادة الكتاب المقرر لمواصفات ومعايير مادة الكتاب المدرسي الجيد ؟
- ما مدى مطابقة لغة الكتاب المدرسي المقرر لمواصفات ومعايير لغة الكتاب المدرسي الجيد ؟
- ما مدى ملاءمة طريقة عرض الكتاب المقرر لمواصفات ومعايير طريقة عرض الكتاب المدرسي الجيد ؟
- ما مدى ملاءمة عناصر الكتاب المقرر لمواصفات ومعايير عناصر الكتاب المدرسي الجيد ؟
- ما مدى احتواء الكتاب المدرسي المقرر على رسوم وأشكال ؟
- ما مدى ملاءمة إخراج الكتاب المقرر لمواصفات ومعايير إخراج الكتاب المدرسي الجيد؟
- ما مدى احتواء الكتاب على أنشطة وتدريبات يستفيد منها التلاميذ ؟

حدود الدراسة:

يقتصر هذا البحث على:

- كتاب التدريبات اللغوية للصف الرابع الابتدائي للعام الدراسي 2019/2018 .
- معلمو مادة التدريبات اللغوية بمدينة بغداد / تربية بغداد المدارس النهارية.

الفصل الثاني

الإطـار النظـري :

الكتاب المدرسي وأهميته :

سبق وأن تم تعريف الكتاب المدرسي الذي يحتل مكانة بارزة في التعليم ، فهو الأداة الأساسية في تنفيذ المنهج المقرر ، إذ يقدم لجميع الطلاب قدراً مشتركاً من الحقائق والمعلومات التي يجب أن يلم بها الطالب ، ويترك المجال لهم بعد ذلك بالتوسع حسب فروقهم الفردية ، ووفقاً لقدراتهم العقلية ويقدم كذلك الخبرات والمعلومات بطريقة تتناسب مع مستوى الطالب فهو يبسط الخبرات للطلاب الصغار ويعرضها بأسلوب جذاب ، ويساعدهم على فهم المادة الدراسية [3].

ويعد الكتاب المدرسي المرجع الرئيسي الذي يستقي منه الطلاب معلوماتهم لأنه يصعب الحصول عليها عن طريق الخبرة المباشرة لافتقار معظم المدارس إلى المراجع الكافية ، كما يصعب على المدرس تعليم الصف إلا إذا وضع كتاب مدرسي في يد تلاميذه ، حيث يقدم الكتاب المعلومات والمعارف والأفكار في تنظيم منطقي فهو يساعد المعلم في الانتقال من موضوع لآخر ، ويطمئن المعلم إلى صحة وسلامة ودقة المعلومات والحقائق التي يحتويها الكتاب باعتبار أن

[3] . دبور ، مرشد ، والخطيب ، إبراهيم ، أساليب تدريس الاجتماعيات ط. ٤، عمان ، دار الأرقم ، ١٩٨٧م.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

مؤلفيه من أساتذة الجامعات أو من الموجهين ذوي الخبرة الطويلة [4].

مواصفات الكتاب المدرسي الجيد :

لا بد أن يتصف الكتاب المدرسي بمواصفات خاصة ليؤدي دوره على الوجه المطلوب وتتمثل في :

أ- بالنسبة لمادة الكتاب :

- سلامة المادة العلمية : يجب أن تكون المادة العلمية صحيحة ودقيقة.
- واقعية المادة العلمية وصلتها بحياة الطالب ، ومدى علاجها لمشكلاته واستيعابها للمشكلات المحلية والعربية والإسلامية والإنسانية بشكل عام ، ومع مجتمعه ليحسن التعامل مع من يعيش من أسرة وأقرباء وأصدقاء وجيران وغرباء وأعداء.
- حداثة المادة العلمية أو قدمها : وليس المقصود أن قدمها غير مقبول ولكن حسن تناولها وأسلوب عرضها بما يسرع في فهمها ويشوق إليها .

ب- بالنسبة للغة الكتاب :

- وضوح الهدف من دراسة المادة في أسلوب الكتاب ، من غير شرود الكتاب إلى مواضيع لا صلة لها بالهدف .
- السهولة اللغوية : بحيث تكون من الفصيح المألوف لا الغريب المهجور ، وتذليل بعض الاصطلاحات الغريبة إن وجدت بشرح معانيها
- وضوح الأسلوب في التعبير ، والبعد عن الإيجاز المخل أو الإسهاب الممل وضرورة مطابقة الوصف للفكرة مع احتساب عقلية الطالب وإدراكه ومرحلة نموه إذ لا بد من تنوع الخطاب لعمر القارئ.
- جمال الأسلوب بما يبعث على التشويق للطالب ، مع حسن التبويب والتسلسل المنظم المتتابع في عرض المادة العلمية وحسن تجزئتها بنقاط متتابعة .
- المفردات اللغوية يجب أن تكون واضحة المعنى ومألوفة ، وإن كانت مصطلحات فقهية أو علمية فلا بد من شرحها تيسيراً لفهم المادة العلمية ، كما أن طول الكلمات وقصرها وصياغتها له أثر في الفهم .
- أسلوب الكتابة : يجب أن يكون أسلوباً أدبياً ممتعاً .

ج – بالنسبة للتطوير النفسي والتربوي لمادة الكتاب :

- التدرج من السهل إلى الصعب .
- التكرار والتعزيز .
- اشتماله على التدريب .
- اشتماله على الواجبات المدرسية .
- اشتماله على رسومات اختصاصية من جداول ورسومات .

[4] . مجاور ، مُحَمَّد صلاح الدين علي ، والديب ، فتحي عبد المقصود ،المنهج المدرسي: أسسه وتطبيقاته التربوية ط. ٩ ، الكويت ، دار القلم ، ١٩٩٣م .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

- مراعاة التسلسل المنطقي والسيكولوجي.
- استخدام التشويق لجذب التلاميذ للقراءة .

د- بالنسبة لصلة محتوى الكتاب بالمنهج :

- وجوب تطابق مادة الكتاب مع المقرر الدراسي للصف الذي ألف له من حيث المستوى العقلي والعملي والزمني وعلاقتها بالمجتمع الذي يعيشه ، وبيان الثغرات إن وجدت ، واقتراح الملاءمة بينهما وسد الثغرات .
- مادة الكتاب مبنية على الكتاب السابق وأرضية مناسبة للاحق
- محاولة ربط مادة الكتاب المدرسي بالمواد الدراسية القريبة منها لنفس الفصل الدراسي مثل اللغة العربية والتاريخ لتتأكد المعاني الإسلامية لدى الطالب من خلال تكرارها بأساليب شتى في عدة كتب منهجية .

هـ- بالنسبة للشكل العام للكتاب :

- يحسن كتابة في صدر كل كتاب مدرسي مع شرح معناها بالهامش بإيجاز ويجدر انتقاؤها بدقة ، بما يتجاوب مع مرحلة الطالب الدراسية .
- الاهتمام بالعناوين الرئيسية والفرعية وحسن صياغتها ، وتجزئة الموضوع المطول إلى أجزاء بعناوين فرعية بصياغة محببة مشوقة ، تعين على فهم الأفكار الرئيسية .
- يحسن كتابة مقدمة للطالب في كل كتاب توضح هدفه بوضوح ومقدمة أخرى للمدرس وتوصيات في المنهج .
- وجوب العناية بالتنقيط (. ، ؛ : ! ؟ ...) لأن هذه العلامات تعين على فهم المعنى
- ضرورة وضع (الخلاصة والفوائد العملية لموضوع الدرس) في نهاية أو مقدمة الكتاب .
- ضرورة تضمين الكتاب قائمة المحتويات (الفهرست) في نهاية أو مقدمة الكتاب ضرورة تضمين الكتاب أسماء الكتب والمراجع التي اعتمدها الكتاب مع أسماء مؤلفيها.
- ضرورة تثبيت أوجه النشاط التي يقترح الكتاب ممارستها في نهاية الموضوع الذي فيه مجال هذه الممارسة ، من مثل : - النشاط الثقافي العقيدي . - النشاط الروحي التعبدي . - النشاط الاجتماعي . - النشاط الفني والترفيهي . - النشاط اللاصفي : صيام جماعي.... .

و – بالنسبة للإخراج الطباعي :

- شكل الكتاب الخارجي وتصميم غلافه.
- حروف الكتابة التي يجب أن يكون حجمها مناسب لعمر الطالب ، ويجب تشكيل
- الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .
- يجب أن يكون طول الأسطر والمسافة فيما بينها مناسبة .
- وزن ولون ونقاء الورق ومتانته .

ز – بالنسبة للوسائل التعليمية :

إن احتواء الكتاب المدرسي على الوسائل التعليمية ضرورة لا بد منها ، إذ أن

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الوسيلة جزء لا يتجزأ من عملية التعليم ، فبها يتحقق فاعلية التعليم بطريقة تناسب إدراك التلاميذ وتجعل أسرع وأبقى أثراً، كما أنها تثير اهتمام التلاميذ وتساعدهم على تنمية قوة الملاحظة والدقة وتزيد من فاعليتهم [5].

مجتمع وعينة البحث :

إن مجتمع البحث هو :المعلمون الذين يعملون على ملاك تربية بغداد للعام الدراسي 2019/2018 باعتبار أن المعلم هو الجهة المنفذة للمنهج بكل عناصره ، وهو يمثل طرفاً من أطراف ثلاثة للعملية التعليمية برمتها وهي : معلم ومتعلم ومادة تعليمية ، ولذلك فإن رأيه هو الأهم لمعرفة مدى مطابقة الكتاب المعني للمواصفات المطلوبة فيه ، لأنه نابع من الواقع ، وصادرعن عملية تفاعل حقيقي ورؤيا ملموسة . وقد حاولت الباحثة أن تشتمل عينة البحث جميع مدرسي الكتاب في المدينة كان من ضمنهم طلبة قسم اللغة العربية في الكلية التربوية المفتوحة (لانهم معلمين بلاصل)كون الباحثة تدريسية فيها، وكذلك من خلال زيارتها المباشرة لمعظم مدارس مدينة بغداد (الرصافة الاولى)بصورة قصدية والاستعانة بطلاب الصف الرابع الذين يدرسون التدريبات اللغوية ، وقد بلغ عدد الاستبيانات التي عادت من معملي المدارس (42) استبانه .

إجراءات البحث :

سار البحث وفق الخطوات الآتية :

١- قامت الباحثة بالرجوع إلى عدد من المصادر لمعرفة المعايير والمواصفات التي ينبغي توفرها في الكتاب المدرسي ، حيث تم استنتاج استبيان حول المواصفات والمعايير للكتاب المدرسي الذي احتوى على سبع مجالات هي : مادة الكتاب المدرسي ولغته وطريقة العرض وعناصر الكتاب ومواصفات الإخراج والأنشطة فيه ، أما التقويم فكان ضمن المجالات السابقة وخاصة في مجالي مادة الكتاب وعناصره .) (ملحق رقم ١)

صدق وثبات أداة البحث :

- تم عرض استبيان المواصفات والمعايير للكتاب المدرسي السابق ذكره على مجموعة من الأساتذة والمعلمين ، لتبيان صدقه من مناسبة الفقرات وملاءمتها للمجال ، وكذا عدد المجالات وأسمائها وإبداء التعديلات إن وجدت .
- تم توزيع استبيان المواصفات والمعايير للكتاب المدرسي على عينة من المدرسين بفارق زمني مدته ثلاثة أسابيع وتم إيجاد معامل الارتباط بين الأول والثاني فكان ٨٦% وهي نسبة جيدة .
- تم توزيع (استبيان المواصفات) على مجتمع البحث لمعرفة آراء المدرسين عن الكتاب.

النتائج ومناقشتها :

بعد أن جمعت الباحثة الاستبيانات التي وزعها على المدرسين قام بتفريغها في جداول مستخدماً

[5] . زين العابدين ، عابد توفيق ، مناهج دراسات إسلامية الجزء ٢ ، صنعاء ، دار اقرأ، ١٩٩٤م .

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

العدد التكراري لمعرفة النسبة المئوية لآراء المستجيبين للراغبين بالاطلاع على الجداول يمكنهم الرجوع إلى الملحق رقم (2)

وكانت النتيجة بالنسبة لكل مجال وبحسب الترتيب التنازلي للفقرات بحيث تم وضع الفقرات التي حصلت على نسبة عالية في المقدمة وتم ترتيب الفقرات بشكل عام بشكل نسبتها المئوية الحاصلة عليها ، وقامت الباحثة بترتيب نتائج الدراسة ترتيباً تنازلياً لجميع الفقرات بحسب التكرارات والنسبة المئوية .

ففي المجال الأول حول : مادة الكتاب المدرسي :

- المادة مترابطة مع مادة الصف السابق وهي أرضية مناسبة لمادة الصف اللاحق .
- ينمي الكتاب مواقف إيجابية نحو التعليم .
- استنتاجات المادة المعروضة معززة بالأدلة .
- المادة مدعمة بالمصادر والمراجع .
- المادة منظمة ومتسلسلة ومترابطة .
- تنسجم المادة مع البناء الفكري ونظام القيم في المجتمع .
- مادة الكتاب منسجمة مع فلسفة التربية وأهدافها.
- تنسجم المادة مع المواد الأخرى بنفس الوقت .
- مادة الكتاب منسجمة مع أهداف التربية في المرحلة الأساسية .
- المادة مناسبة للمقرر الدراسي من حيث عدد الحصص المقررة لها.
- تقيس أسئلة الكتاب المستويات المعرفية الثلاث .
- تحقق المادة الوظيفية من حيث فائدتها في حياة الطالب .
- يوجد الكتاب دوافع عند الطلاب لحب القيم وأخلاقيات المواطنة الصالحة .
- تساعد المادة على التعلم الذاتي والمستمر .
- تحتوي المادة على أسئلة دقيقة ومتنوعة .
- المادة متوازنة في تناول الموضوع كماً ونوعاً.
- تتسم المادة بالدقة العلمية .
- المادة مناسبة للمستوى العقلي للطلاب .
- تراعي المادة مجالات المعرفة ومستوياتها المتنوعة .
- ترتبط المادة بمشكلات المجتمع وتعطي حلولاً لها ما أمكن.

وعند تحليل الباحثة للكتاب وجدت تطابق وجهة نظرها مع المدرسين في الفقرات الأولى من المجال الأول السابق (أعلاه) ولكنها اختلف معهم في عدد من الفقرات الأخرى .

ففي الأخيرة منه حسب وجهة نظر المدرسين هي أن المادة ترتبط بمشكلات المجتمع وتعطي حلولاً لها ما أمكن ، حيث ترى الباحثة أن هذه الفقرات يجب أن يكون ترتيبها ضمن الفقرات الأولى إن لم تكن هي الأولى في جميع فقرات المجال ، ذلك أن مادة التدريبات اللغوية ما هي إلا حلول لمشكلات نحوية ، وهذا الكتاب الذي نقيمه(كتاب التدريبات اللغوية للصف الرابع الابتدائي) كذلك يعطي حلولاً لمشكلات المجتمع مثال ذلك في قسم المبتدا والخبر

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

بالكتاب ففي الحقيقة كلها تعطي حلولاً لمشكلات المجتمع المسلم الذي نعيش فيه .

وهي في الحقيقة كذلك حلول لمشكلات المجتمعات غير المسلمة ، أي للإنسانية بشكل عام ، فالتحذير من سوء الظن، واحترام شعور الآخرين مطالب بهما كل الناس بغض النظر عن دياناتهم . إذاً لماذا وضعها المدرسون في الترتيب الأخير؟! وحصلت على نسبة درجة تحقق ١٠% كبيرة و٤٥% متوسطة ، ترجع الباحثة السبب في ذلك الى أن العديد من مدرسي اللغة العربية بمدينة بغداد الرصافة الاولى غير متخصصين في تعليم اللغة العربية لتلامذة المرحلة الابتدائية مما يعني أن الفقرة لم تكن مفهومة من قبلهم ، وقد يذهب بهم الظن الى أن المشكلات في المجتمع هي فقط من النوع : التقدم الاقتصادي ، التقدم الصناعي ، التضخم المالي.

مما يعانيه المدرس في واقع الحياة ، وإن كان في الحقيقة ، يعاني المجتمع من مشكلات سوء الظن وعدم احترام الآخرين أكثر مما يعانيه من المشكلات الاقتصادية والصناعية من وجهة نظر الباحثة.

كما أن الفقرة التي تقول إن المادة مناسبة للمستوى العقلي للطلاب جاء ترتيبها قبل الأخير وحصلت على درجة تحقق نسبة ٣٥ % كبيرة و٣٥% متوسطة من وجهة نظر المدرسين ، أما من وجهة نظر الباحثة فإن المادة مناسبة للمستوى العقلي للطلاب خاصة أن مادة الكتاب مما يمكن فهمه من قبل مستوى الصف الثامن بشكل جيد ، فالصيام مثلاً والإيمان بالقدر والملائكة والهجرة إلى الحبشة والى المدينة كلها مناسبة تماماً لمستوى الطلاب ،

وكذلك بالنسبة لبقية الموضوعات . وكذلك بالنسبة للفقرة التي تقول إن المادة متوازنة في تناول الموضوع كمياً ونوعياً حصلت على درجة تحقق نسبة ٤٠% عالية و ٦٠% متوسطة ، وهي نوعاً ما قد تكون مقبولة من المدرسين وإن كانت الباحثة ترى أنها متوازنة في موضوعات التدريبات اللغوية .

وترجع الباحثة السبب في الاختلاف في كل ذلك إلى عدم تخصص العديد من مدرسي اللغة العربية ، إذ أن معظم مدرسي المادة معلوماتهم ثقافية في التربية الإسلامية أكثر منها تخصصية ، فالمدرس الذي لديه ثقافة إسلامية ورغبة يقوم بتدريسها ، وفي هذا نوع من الإجحاف في حق المادة ، وإليه يرجع السبب في الاختلاف في وجهات النظر حول الفقرات المذكورة .

وفي المجال الثاني : لغة الكتاب المدرسي :

- جاء ترتيب الفقرات بحسب نسبتها على الشكل التالي من وجهة نظر المدرسين: تستخدم لغة الكتاب المصطلحات والآراء النحوية التي لا خلاف عليها .
- لغة الكتاب سليمة وواضحة من حيث التركيب والتعبير.
- عبارات الكتاب قصيرة ولا تخل بالمعنى .
- المفردات الجديدة والمصطلحات العربية بارزة وموضحة للطالب.
- تناسب لغة الكتاب مستوى نضج الدارسين . لا تختلف الباحثة مع المدرسين حول وجهة نظرهم حول لغة الكتاب المقصود بالبحث إذ هي بشكل عام جيدة وسليمة وليس هناك خلاف حولها .

وفي المجال الثالث : طريقة العرض :

فقد جاءت الفقرات بحسب نسبتها على النحو التالي من وجهة نظر المدرسين :

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

- توثق جميع النصوص والاقتباسات .
- تراعي علامات الترقيم وأصول التفريق.
- تحفز طريقة العرض على القراءات الإضافية .
- تتجنب الطريقة التكرار الممل والإيجاز المخل.
- تهتم بتقويم نمو الطلاب .
- تتنوع الطريقة بحسب المجال والموقف .
- تشجع على إشراك الطالب بشكل كاف.
- تؤكد طريقة عرض الكتاب على تحقيق مبادئ الفلسفة التربوية.
- تنظيم المادة مشوقاً .
- تنبثق طريقة العرض من طريقة تربوية محددة .
- تتدرج من المحسوس إلى المجرد بالقدر الذي يتناسب مع مرحلة النمو .
- تراعي أسس ومبادئ التعليم الفعال.
- ترشد المعلم للأخذ بالطريقة التربوية المناسبة.
- تساعد على الشعور بالمشكلات وتحديدها.
- تحفز على التعلم الذاتي والمستمر.
- تحفز على التفكير العلمي .

وعند تحليل الباحثة لطريقة العرض بالكتاب وجدت تطابق وجهة نظرها مع وجهة نظر المدرسين في الفقرات الأولى لكنها تختلف معهم حول تقييمهم للفقرات الأخيرة ومنها على سبيل المثال الفقرة التي تقول إن طريقة العرض تحفز على التعلم الذاتي والمستمر فقد حصلت على درجة تحقق نسبة ٢٥% عالية و٥٠% متوسطة ، إلا أنها من وجهة نظر الباحثة تحقق درجة أعلى من ذلك بكثير فهي تحتوي على أسئلة للتفكير في نهاية كل وحدة ، كما تبحث في مواضيع شيقة بالنسبة للطالب تجذبه للقراءة الذاتية، فدروس المفرد والمثنى والجمع تجذب أي طالب لقراءتها بشكل ذاتي وتعطيه دافعية لمتابعة بقية الأحداث ، مما يعني أنها تساعد على التعلم الذاتي والمستمر .

وفي المجال الرابع : عناصر الكتاب :

فقد جاء تسلسل الفقرات من وجهة نظر المدرسين على النحو التالي من حيث درجة تحققها في الكتاب :

- يحتوي الكتاب على أسئلة وتمارين في نهاية الفصل.
- يحتوي على فهرس واسع ومرقم بدقة.
- يحتوي الكتاب على مقدمة مناسبة تحتوي على عرض موجز لما اشتمل عليه الكتاب من وحدات .
- يحتوي على هوامش واسعة .
- يحتوي على تعريفات لكل المصطلحات الجديدة .
- يتضمن قائمة بالمراجع الخاصة بالكتاب .
- يتضمن قائمة متنوعة بالقرارات الإضافية للمعلم والطالب .

وتتفق وجهة نظر الباحثة مع المعلمين حول تقييمهم لعناصر الكتاب ، فالكتاب بحاجة الى كتابة المراجع الخاصة به ، كما أنه بحاجة الى قائمة متنوعة بالقرارات الإضافية لكل من المعلم والطالب.

أما المجال الخامس : الرسوم والأشكال :

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الذي ينص على أن : يتضمن الكتاب رسوم وأشكال لها صلة بالمادة المعروضة ومناسبة لخبرات التلاميذ ، فقد ذكر المدرسون أن درجة التحقق تصل في خانة القليلة إلى ٦٠% والى ٣٥% في خانة المتوسطة ، وهي في حقيقتها كما هي في الكتاب ، ومن وجهة نظر الباحثة تصل إلى أكثر من ٩٠% في خانة القليلة أو هي منعدمة إذ أن كتاب التدريبات اللغوية لا يتضمن رسوم أو أشكال وكان من الصواب أن يتضمن عدداً من الرسوم والأشكال التوضيحية لا أقلها أن ترسم أماكن الحروف ومواضع الكلمات والطرق النحوية إليها ، ولا يخفى على كل تربوي أهمية الرسوم والأشكال في توضيح الأفكار وتثبيتها في ذهن الطالب .

وفي المجال السادس : مواصفات إخراج الكتاب:

فقد جاء تسلسل الفقرات من وجهة نظر المدرسين على النحو التالية من حيث درجة تحققها في الكتاب :

- الطباعة (العناوين الرئيسية والجانبية بارزة بحرف أسود بارز)
- مكتوب على الوجه الآخر من الورقة الأولى السنة التي قررت فيها الوزارة تدريسه .
- حجم الكتاب من حيث عدد الصفحات متناسبة مع طبيعة الموضوع.
- لم يزد عدد الأسطر عن ٢١ سطراً للصفحة الواحدة.
- المسافة بين الكلمات مناسبة مع المستوى.
- الورقة الأخيرة من الكتاب فارغة أو عليها صورة مناسبة.
- مكتوب على الوجه الأول من الورقة الأولى التي تلي الغلاف نفس معلومات الغلاف .
- حجم الورق متناسب مع مستوى الصف.
- مكتوب على الغلاف المعلومات التالية :(اسم الكتاب، الصف، المؤلف،....) الكلمات الصعبة مشكلة ، وكذا الآيات والأحاديث الشريفة.
- عدد الكلمات في السطر الواحد مناسبة .
- مكتوب على الغلاف الداخلي ما يلي: (اسم مراجع المادة ،اسم المحرر...)
- مكتوب على الوجه الداخلي من ورقة الغلاف الأخيرة عبارة هادفة وموجهة للطالب .
- مكتوب أهداف كل وحدة في بدايتها .

ترتيب الفقرات في هذا المجال خاصة لا يعني أن هناك فوارق كبيرة ، فبالرجوع إلى الملحق يتبين لنا أن هناك تقارباً كبيراً في الفقرات بشكل عام وخاصة من١-١٢ وهي من وجهة نظر المدرسين وكذا من وجهة نظر الباحثة محققة لدرجة كبيرة .

وفي المجال السابع : الأنشطة في الكتاب :

كان ترتيب الفقرات من وجهة نظر المدرسين بحسب درجة تحققها على النحو التالي:

- **تحقق الأنشطة أهداف المادة .**
- **تقدم معلومات وخبرات مباشرة للطلاب من خلال النشاط .**
- **تربط الطالب بالمجتمع المحلي .**

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

- **تتميز الأنشطة بأنها جذابة ومشوقة .**
- **تقدم معلومات لقيام الطلاب بأنشطة يلخصون فيها ما تعلموه.**
- **تقدم معلومات عن نشاط لغوي.**
- تقدم معلومات عن نشاط ثقافي يعالج بعض مشكلات العصر.
- النشاط العملي يقدم معلومات تشخيصية عن التلاميذ ومشكلات معينة يواجهونها .
- وفي هذا المجال كذلك بالرجوع الى الملحق يتبين لنا أن هناك تقارباً كبيراً في الفقرات ، وهي ما تتفق فيها الباحثة مع وجهة نظر المدرسين .

الفصل الرابع

التوصيات :

- من المتوقع أن يتم تلافي السلبيات في الطبعات القادمة للكتاب .
- تضمين الكتاب رسوم وأشكال توضيحية.
- كتابة الأهداف في بداية كل وحدة بالكتاب.
- أن يتم ذكر أسماء المراجع في نهاية الكتاب.
- طبع كتاب دليل المعلم وإرساله للمدرسين خاصة وأن الكتاب يطبع ويدرس لأول مرة.
- عمل دورات تدريبية للمعلمين .

المقترحات لبحوث مستقبلية :

أن يقوم باحثون آخرون بدراسة تقويمية لبقية مقررات كتاب قواعد اللغة العربية لتلامذة المرحلة الابتدائية للصفوف الأخرى (وبخاصة أن هذه الكتب تطبع وتدرس لأول مرة) .

المصادر

- **دبور ، مرشد ، والخطيب ، إبراهيم ، أساليب تدريس الاجتماعيات ط. ٤، عمان ، دار الأرقم ، ١٩٨٧م.**
- **زين العابدين ، عابد توفيق ، مناهج دراسات إسلامية الجزء ٢ ، صنعاء ، دار اقرأ، ١٩٩٤م .**
- **محمد أحمد سنان ، تطوير مواصفات الكتاب المدرسي واستخدامها في تقييم كتب الكيمياء للمرحلة الثانوية لليمن ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ، الأردن ، ١٩٨٩م.**
- **مجاور ، محمد صلاح الدين علي ، والديب ، فتحي عبد المقصود ،المنهج المدرسي: أسسه وتطبيقاته التربوية ط. ٩ ، الكويت ، دار القلم ، ١٩٩٣.**
- **مرسي ، محمد منير، البحث التربوي وكيف نفهمه ،القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٤م.**

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

- اللقاني ، أحمد حسين ، المنهج : الأسس ، المكونات ، التنظيمات ، القاهرة ، عالم الكتب ١٩٩٥م .

Sources:

- Dabour, Murshid, and Al-Khatib, Ibrahim, Methods of Teaching Social Studies, 1st edition. 4, Amman, Dar Al-Arqam, 1987 AD.
- Zain Al-Abidin, Abed Tawfiq, Islamic Studies Curricula, Part 2, Sana'a, Dar Iqraa, 1994 AD.
- Muhammad Ahmed Sinan, Developing textbook specifications and using them in evaluating chemistry textbooks for the secondary stage in Yemen, unpublished master's thesis, Yarmouk University, Jordan, 1989 AD.
- Mujawar, Muhammad Salah al-Din Ali, and al-Deeb, Fathi Abd al-Maqsoud, The School Curriculum: Its Foundations and Educational Applications, 1st edition. 9, Kuwait, Dar Al-Qalam, 1993.
- Morsi, Muhammad Mounir, Educational Research and How to Understand It, Cairo, Alam al-Kutub, 1994 AD.
- Al-Laqani, Ahmed Hussein, The Curriculum: Foundations, Components, and Organizations, Cairo, Alam al-Kutub, 1995 AD.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

PERIODIZATION OF GREEK, ROMAN, AND BYZANTINE HISTORY ACCORDING TO ISLAMIC SOURCES DURING THE MIDDLE AGES

BECHIR LABIDI
Assistant Professor of Medieval History
Faculty of Letters, Arts and Humanities of Mannouba. Tunisia

ملخّص البحث

تحقيب التّاريخ اليوناني والرّوماني والبيزنطي من خلال المصادر الإسلاميّة خلال العصور الوسطى

تبحث هذه الورقة في اهتمام بعض المؤلّفين المسلمين خلال العصور الوسطى بتاريخ الأمم السّالفة كاليونانيين والرّومان والبيزنطيين. فانطلاقا ممّا كان متاحا لهم من مصادر إسلاميّة وأخرى غير إسلاميّة حاولوا إعادة تشكيل مختلف الحقبات التّاريخيّة لهذه الأمم بناء على تعاقب السّلالات الحاكمة، واستنادا إلى أحداث عسكريّة وسياسيّة ودينيّة عدّوها مؤشّرا على القطيعة بين فترة وفترة أخرى. لكنّ المسعودي (ت 346 هـ/957م) وقلّة قليلة من المؤلّفين المسلمين من بعده قد أوْلوا كذلك الموروث الفكريّ والعلميّ المكانة المستحقّة لإعادة بناء حقبة طويلة من هذا الماضي. فصار ممكنا الحديث عن فترة من التّاريخ الثّقافي تتخطّى التّقسيم التّقليديّ للتّاريخ، وتمتدّ من زمن اليونان القديم إلى القرن الرّابع الهجري. ولتبيان أبرز ملامح هذه الفترة وحدودها الزّمنية، حاول هؤلاء المؤلّفون ايجاد روابط تاريخيّة ولو مزعومة بين اليونانيين والعرب المسلمين، وعملوا على التّأكيد على الرّوابط الحضاريّة التي جسّدتها حركة التّرجمة لاسيما وأنّها فسحت المجال لتواصل الموروث الفكري والعلمي اليوناني خلال عدّة قرون من التّاريخ الإسلاميّ.

كما تبيّن هذه الورقة أنّ انشغال بعض هؤلاء المؤلفين بعمليّة تحقيب تاريخ هذه الشّعوب يندرج في إطار رؤية شاملة تقوم على إدراج الإسلام ضمن السّياق التّاريخي للحضارات السّابقة وحتّى التي عاصرته، فيكون عندئذ وريثا للكثير من قيمها الفكريّة والعلميّة، ومهيمنا عليها في نفس الوقت. إنّنا نلمس جانبا من هذه الرّؤية في كيفيّة نظرهم إلى الحقبة البيزنطيّة المعاصرة للمسلمين. فلقد أُدمجوها في حركة تاريخ الإسلام، ولم يعدّوها حقبة من حِقَب التّاريخ البيزنطيّ.

Keywords
Periodization, Islamic historiography, Greeks, Romans, Byzantines, Greek thought, long-lasting period, Christianity.

The field of the research

Based on some Islamic sources written in the Middle Ages, this historical research attempts to understand how Islamic historiography divided the ancient history of the Greeks, Romans and

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

Byzantines into different historical periods.

Introduction[1]

Having been interested in studying periodization, scholars showed that it is more than a simple identification of coherent periods of history based on some evident turning points in the past. It depends on the issues examined by historians, the processes required for shaping human societies, and the criteria that enable scholars to recognize continuity and change in the phenomena.[2] Moreover, they have long realized that periodization schemes are based on the experiences of Western civilization [3] which usually neglected the views of some other societies such as the Islamic medieval reconstruction of the past of foreign nations. And if Islamic medieval sources provide a lot of material to study periodization and dynamics of the historical process, this material has been mainly investigated to understand Islamic history,[4] but it remains still unevaluated to study periodization of the history of nations previous or contemporary to the Islamic era.

Therefore, this present paper aims to fill a part of this gap. It attempts to draw attention to the main outlines of the periodization of Greek, Roman, and Byzantine history according to medieval Muslim authors who, although they were not direct eyewitnesses of the ancient events, they presented the long past of non-Arab peoples as a succession of dynastic reigns resulting from conflicts over power or external conquests. [5] So in the field of

[1] The system of transliteration of Arabic characters is borrowed from *The Encyclopaedia of Islam*, New Edition, Brill-Leiden, 1986.

[2] Jerry H. Bentley, «Cross-Cultural Interaction and Periodization in World History», in *The American Historical Review*, Vol. 101, N. 3, June 1996, p. 749.

[3] Numerous studies exist which deal with the problems related to periodization. I refer the reader to three main works: Dietrich Gerhard, «Periodization in European History», in *The American Historical Review*, Vol. 61, N. 4, July 1956, pp. 900-913; and his book: *Old Europe: A Study of Continuity, 1000-1800*, New York, 1981; Jacques Le Goff, *Faut-il vraiment découper l'histoire en tranches ?* Seuil, coll. «La Librairie du XXI[e] siècle», Paris, 2014.

[4] For the periodization of Islamic history, I refer the reader to the work of Tarif Khalidi, «Reflections on Periodisation in Arabic Historiography», in *The Medieval History Journal*, 1, 1, 1998, pp. 107-124. Discussions of recent studies related to this topic are cited in: Konrad Hirschler / Sarah Bowen Savant, «Introduction - What is in Period ? Arabic Historiography and Periodization», in *Der Islam*, 91 (1), 2014, pp. 6–19. See Also: Antoine Borrut, «Vanishing Syria: Periodization and Power In Early Islam», in *Der Islam*, 91 (1), 2014, pp. 37–68.

[5] During the Middle Ages, there were some Christian chroniclers who wrote their works in the Arabic language, but they are excepted

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

Islamic chronicle writing, the primacy of political history and its concomitant dynastic periodization was particularly strong. But while focusing on this matter, Muslim chroniclers extended their reflection on the past, and so they did not exclude another essay on periodization based mainly on intellectual and religious changes that significantly shaped history.

My present research confines itself mainly to the period between the 3rd century of the Islamic era/9th Christian century when the earliest Islamic work that contains some passages necessary to examine this subject was written, and the end of the Middle Ages, when ᶜAbd al-Raḥmān B. Khaldūn (732-802/1332-1406) wrote the most important compilation historical book in the 8th/14th century. As will be seen, however, it is necessary to focus the investigation on the works written from the 3rd/9th century until the 5th/11th century for two reasons: firstly, some early Muslim authors, and due to their open-mindedness, attempted to present their universal vision of history, and as a result, they offered a particularly illuminating example for studying this issue. Secondly, in the late Middle Ages, Muslim authors usually repeated accounts from these earlier sources. And even if they collected information from other ancient sources, and added some interesting details, they did not, in any case, elaborate a different view on periodization related to the history of these early nations.[1]

To study the periodization of Greek, Roman, and Byzantine history according to Islamic sources during the Middle Ages, I attempt to answer the following questions:

Which sources did Muslim authors use to get their accounts about the ancient history of Greek, Roman, and Byzantine nations?

How did Muslim chroniclers divide the history of Ancient

from this paper that focuses only on Muslim authors to understand the Islamic view towards periodization of the history of Greek, Roman and Byzantine nations.

[1] Ibn al-Athīr (ᶜIzz al-Dīn Abū al-Ḥasan ᶜAlī B. Abī al-Karam al-Shaybānī), *al-Kāmil fī al-tārīkh*, ed. Abū al-Fidā' ᶜAbd Allah al-Ḳāḍī, Dār al-Kutub al-ᶜIlmiyya, Beyrouth, 1987, T. I, pp. 247-260. For example, Ibn Khaldūn used the work of Paulus Orosius to write the ancient history of the Greek and Roman nations. See: Paulus Orosius, *History of the World*, the ancient arab traduction ed. by ᶜAbd al-Raḥmān Badawī, al-Mu'assasa al-ᶜArabiyya li-al-Dirāsāt wa al-Nashir, Beyrouth, 1990, pp. 391-402, 416-460, 469-497; Ibn Khaldūn (ᶜAbd al-Raḥmān B. Muḥammad B. Muḥammad), *Tārīkh*, eds. Khalīl Shaḥāda and Suheil Zakkar, Dār al-Fikr, Beyrouth, 2000, T. II, pp. 218-234.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

Greece, the Roman Empire, and Byzantium into different periods?

Why did they privilege the intellectual and religion dimensions to shape some historical periods?

To what extent did the history of the Byzantines possess its own periodization in Islamic sources?

To answer these questions, I divide this research into three parts. I will begin the analysis by presenting a modest idea about the primary sources on which Muslim chroniclers are based to reconstruct the chronology of Greek, Roman, and Byzantine history. I shall also shed light on some concepts used by our sources to reconstruct the periodization and to identify the peoples studied in this paper.

In part two, I will study the periodization of Greek history based on political and military dimension. Furthermore, I will, in particular, demonstrate how Muslim chroniclers attempted to reconstruct a long-lasting period in which Arabic thought is linked to ancient Greek thought, regardless of the succession of different political periods.

Part three of this paper explores the understanding of the various periods of Roman and Byzantine history. After sketching the chronological limits of each period, I will focus on Christianity to understand its place in shaping a period of the past. It is also important to pay attention to the Islamic view of Byzantium's contemporary history to elaborate an idea about its place in Islamic historiography from the rise of Islam until the 5th/11th century.

It is worth noting that although there is not a wide range of Islamic sources dealing with this subject, I do neither claim to exhaust all possible materials nor pretend to present definitive answers.

I) The Periodization: The Primary Sources and the Concepts

For the study of the periodization of Greek, Roman, and Byzantine history, Islamic narrative sources have considerable material to offer, sometimes not less than appears to be found in Roman and Byzantine sources themselves. It is generally agreed that Wahb ibn Munabbih (d. in 110/728 or 114/732) who was recognized as a great authority in the field of biblical traditions, was the first Muslim chronicler to introduce the stories of other nations as a prelude to Islamic history. But there are only some fragments of his work that

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

have survived in later works. [1] After Wahb ibn Munabbih, the earliest works that have come down to us dealing with the reconstruction of the chronology of world history go back to the second half of the 3rd/9th century. These works are also influenced by books that tell the story of the Israelites and ancient nations from the creation of Adam to their contemporary period.[2]

Among these chroniclers, Al-Yaᶜḳūbī (d. 292/905) can be considered as an important representative of the expansion of the historical perspective. He revealed some stories about the history, culture, and beliefs of the Greeks and Romans. Some of his chronological information is drawn from *The Canon of the Kings* written by the astronomer, mathematician, and geographer Claudius Ptolemaeus of Alexandria (d. 170 A. D.)[3]

But our detailed information about the chronology of these peoples that has come down to us is in large part thanks to Al-Masᶜūdī (d. 346/957) whose works shed some light in particular on the Arab's view on the pre-Islamic past. Thus, to better realize his understanding, let us take a brief and closer look at his authorities. He mentions that he draws some geographical and historical information about the Greek and Roman nations from two works of Ptolemaeus: *The Canon of the Kings* and the book known as the *Almagest*.[4] And he draws some chronological information concerning the Greek kings from the work of Theon of Alexandria (still alive in 377 A. D.), a Greek scholar, astronomer, and mathematician who wrote commentaries on Ptolemy's work.[5]

[1] Tarif Khalidi, *Islamic Historiography: The Histories of Masᶜūdī*, State University of New York Press, New York, 1975, p. 82.

[2] Al-Yaᶜḳūbī (Aḥmad B. Isḥāḳ B. Djaᶜfar B. Wahb B. Wāḍiḥ al-Yaᶜḳūbī al-Baghdādī), *Tārīkh*, al-Maktaba al-Ḥaydariyya, Nadjaf, 1964, T. I, pp. 124-137; Al-Ṭabarī (Abū Djaᶜfar Muḥammad B. Djarīr B. Yazīd), *Tārīkh al-'umam wa al-mulūk*, ed. Muḥammad Abū Al-Faḍl Ibrāhīm, Dār al-Maᶜārif, Egypt, 1967, T. I, pp. 317-319; Tarif Khalidi, *Islamic Historiography*, op. cit., p. 83.

[3] Al-Yaᶜḳūbī, *Tārīkh*, T. I, pp. 124-137.

[4] Al-Masᶜūdī (Abū al-Ḥasan ᶜAlī B. al-Ḥusayn B. ᶜAlī), *Murūdj al-dhahab wa maᶜādin al-djawhar*, ed. Kamāl Ḥasan Marᶜī, al-Maktaba al-ᶜaṣriyya, Beyrouth, 2005, T. I, pp. 217-221. See also his book: *Kitāb al-tanbīh wa al-ishrāf*, Bibliotheca Geographorum Arabicorum, ed. M. J. De Goeje, Brill-Leiden, 1894, pp. 129-130.

[5] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 111-112, 129; Ṣāᶜid al-Andalusī (Abū al-Ḳāsim Ṣāᶜid B. Aḥmad B. ᶜAbd al-Raḥmān B. Muḥammad B. Ṣāᶜid), *Ṭabaḳāt al-umam*, ed. Louis Shīkhū, al-Maṭbaᶜa al-Kāthūlīkiyya, Beyrouth, 1912, p. 40; Alexander Kazhdan, Alice-Mary Talbot, Anthony Cutler, Timothy E. Gregory and Nancy P. Ševčenko, (edi.), *The Oxford*

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

In his *Kitāb al-tanbīh wa al-ishrāf* (*Book of Admonition and Revision*) he also mentions that much of his information about Roman and Greek kings comes from diverse works of ancient authors such as the saint Athanasios archbishop of Alexandria (d. 373 A. D). [1] He adds that he is well acquinted with his contemporary Christian chroniclers such as the Maronite Ḳaiss al-Mārūnī, Agapius (Maḥbūb) B. Ḳusṭanṭīn al-Manbidjī (10th century A. D.), Saᶜīd B. Al-Baṭrīḳ (Eutychius of Alexandria, d. 940 A. D.), and Abū Zakariyā' Denkhā the Christian a Syrian Orthodox whose work written about Roman and Greek kings and philosophers could have been in Syriac. [2] Unfortunately, the interesting work of Al-Masᶜūdī entitled *Funūn al-maᶜārif wa mā djarā fī al-duhūr al-sawālif* (*The Book of the Types of Sciences and the Events of Past Ages*), in which he wrote about the history of Greek and Roman nations and dealt with their philosophers, is lost, and we only have some dispersed accounts and chapters dealing with these topics in his surviving books.[3]

To write the chronology of ancient nations, Ḥamza Al-Iṣfahānī (d. 360/970) derived his information from various sources. About Greek chronology, he used information from a Greek work which is reported to have been translated by Ḥabīb b. Bahrīz the metropolitan of Mosul. [4] Dealing with the chronology of Greek and Roman nations, he used another work entitled «*al-Ulūf fī buyūt al-ᶜibādāt*» written by the astrologer Abū Maᶜshar al-Balkhī (d. 272/886). It was, judging by the quotations from it in later authors, a study on the temples built in the world in each millenary.[5]

While dealing with the chronology of «the kings of Constantinople», Ḥamza Al-Iṣfahānī got his information from two different sources. The first authority was a Greek prisoner who, after being captured in the

Dictionary of Byzantium, New York - Oxford, Oxford University Press, 1991, Vol. III, pp. 2060-2061.

[1] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 154-155

[2] Ibidem, pp. 154-155. See also: Maḥbūb B. Ḳusṭanṭīn al-Manbidjī, *Kitāb al-ᶜUnwān*, ed. and trans. in French language by Alexandre A. Vasiliev, Paris, 1909; Saᶜīd B. Baṭrīḳ, *Tārīkh*, T. I-II, London, MDCXLII.

[3] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 115-116.

[4] Al-Iṣfahānī (Ḥamza B. Al-Ḥasan), *Tārīkh sinī mulūk al-arḍ wa al-anbiyā'*, (no place, no date), pp. 64-65. The metropolitan was a contemporary of the Abbasid caliph al-Ma'mūn who reigned from 813 to 833 A. D.

[5] Ibidem, p. 63; Millás J. M., «Abū Maᶜshar al-Balkhī», in *The Encyclopaedia of Islam*, New Edition, Brill-Leiden, 1986, Vol. I, pp. 139-140.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

war against Byzantium, he became a servant of the governor of Iṣfahān Aḥmad b. ᶜAbd al-ᶜAzīz b. Dulaf (still alive in 271/884). Then he wrote a book in Greek language from which his son, who was astronomer and a soldier serving in the army of Iṣfahān's governor, translated some passages for our author.[1] His second authority was the «*ḳāḍī*» (magistrate) of Ahwāz Wakīᶜ b. Muḥammad b. Khalaf b. Ḥayyān (d. 306/918) who he is reported to have got his historical information from a work of one «Roman king» translated to Arabic language. [2] Unfortunately we have not any more information about these two lost sources.

Concerning the late Middle Ages, we are content with refering to the source from which Ibn Khaldūn benefited alot. As he himself explained in his historical compilation, he derived a detailed information about the chronology of Greek, Roman, and Byzantine history from an Arabic translation (dated in 4th/10th century) of the work of the Christian author Paulus Orosius (5th century A. D.)[3]

It is interesting to note that the Arabic tradition of translation gave rise to numerous translation of pagan Greek books on science and philosophy, but historical works were almost neglected. Thus, it has not come down to us only few works, and few dispersed passages in some Arabic sources. This historiographical problem which would require a much broader discussion than this article allows, does not hide a reality that the works of Muslim authors offer a particularly illuminating example for studying the periodization of Greek, Roman, and Byzantine history since they do not enclose world history within an Arabocentric chronological framework.[4]

But it is also extremely important to understand that some early Muslim authors showed exceptional rationality and objectivity while investigating the distant past as written in ancient sources. Having attempted to lay the foundations of a critical view of early nations' stories, Al-Bīrūnī (d. after 442/1050) excelled in this field by deducing that historians have to encounter serious problems in the reconstruction of

[1] Al-Iṣfahānī, *Tārīkh*, pp. 55-56.
[2] Ibidem, pp. 61-63.
[3] Paulus Orosius, *History of the World ;* pp. 391-402, 416-460, 469-497; Ibn Khaldūn, *Tārīkh*, T. II, pp. 218-234 ; Fischel W. J., «Ibn Khaldūn's use of historical sources», in *Studia Islamica*, Vol. XIV, 1961, pp. 112-113.
[4] Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, pp. 216-254; Al-Iṣfahānī, *Tārīkh*, pp. 5, 52-65.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

the ancient past because of the dominance of its mythical aspect and the inauthenticity of its many stories. Perhaps for these reasons, he paid no attention to Greek and Roman ancient history, and he considered that formulating the right periodization is sometimes a difficult task.[1]

After determining these knowledgeable and methodological difficulties, Al-Masᶜūdī, and then Al-Bīrūnī explain that every nation needed to formulate its own chronology by referring to some important events that lead to deep changes in its history, such as the rise of a prophet, the collapse of the State, the beginning of a dynastic reign, the occurrence of a natural disaster (earthquake, and flood), the epidemic disease, and the happening of an important event.[2] This analysis means that even before being the task of historians, the periodization remains for the societies an ancient and continual affirmation of the identity by remembering the past, pointing out its turning points, and preserving the common memory.[3]

Having deduced that periodization is anchored in the consciousness of the peoples, and occupies a major place in the reconstruction of the distant past; chroniclers and astronomers discussed time and its division into days, months, and periods in order to elaborate a firm chronology and to give a possibility for writing a material history of the ancient world. In this sense, Al-Masᶜūdī's work and Al-Bīrūnī's work offer serious attempts at ordering time by making various calendars, and at competing periodization based on astronomical calculations. [4] For this aim, Al-Bīrūnī revised many systems of calculating the days and months such as the Syriac calendar used, in the Middle Ages, by the Byzantines to correct chronologies, to indicate both the beginning and the end of each year, and to mention commemorative saint persons and religious events.[5]

[1] Al-Bīrūnī (Abū al-Rayḥān Muḥammad B. Aḥmad), *Al-'Āthār al-bāḳiya ᶜan al-ḳurun al-khāliya*, ed. Parwizadh Kā'ī, Tihran, 2001, p. 20. For the rationality and objectivity of Al-Bīrūnī in writing history, see also Fathi Triki, *L'esprit historien dans la civilisation arabe et islamique*, Maison tunisienne de l'édition et Faculté des sciences humaines et sociales de Tunis, Tunis, 1991, pp. 296-315.

[2] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 196-214; Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, p. 19.

[3] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, p. 196.

[4] Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. II, pp. 149-161; Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, pp. 357-374, 389.

[5] Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, pp. 357-374, 389; Tarif Khalidi, *Arabic historical thought*, op. cit., p. 179; Riyāḍ Ḥammūda Ḥassen, *Al-Bīrūnī wa dawruhu fī al-kitāba al-tārīkhiyya*,

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

In Arabic historiography, periodization is neither an anachronistic term nor an arbitrary task. It requires some useful concepts to identify the period, such as the generic term «*zamān*» (time). This word dose not only mean the passing of the days, months, and years, but also a distinguished and an extended period of time.[1] «*Ṭabaḳa*», plu. «*ṭabaḳat*», which means category, is a significant concept related to the period. It was used by Muslim chroniclers to speak about a group of rulers classed according to criteria determined by chronological order and organized into generations or dynasties who had played political and military roles in the history of their nations. Moreover, it was not used only in the sense of category or class of society, but it also had, in some cases, a temporal meaning related to the division of time into phases, each one lasting for centuries.[2] «*Muddat al-mulk*» and «*Dawla*», to which usually are appended the names of kings or dynasties, are other Arabic words signifying the period of an individual's ruler or power. They acquired the meaning of «dynasty», and they are often employed in the meaning of a long-lasting period of governorship.[3]

For many Arabic sources, the term «*Rūm*» is a generic word. It involves the Romans who are sometimes called the Latins, the Greeks, and the Byzantines.[4] But by focusing on information and context related to this word, it will be easy to identify its specific meaning. In order to distinguish

a Thesis submitted to the University of Jordan for the degree of doctor of history, supervised by ᶜAbd al-ᶜAzīz al-Dūrī, University of Jordan, 2008, pp. 66-72.

[1] Al-Ṭabarī, *Tārīkh*, T. I, p. 10. For the terms related to the time, see also Fathi Triki, *L'esprit historien*, op. cit., pp. 136-138.

[2] Al-Iṣfahānī, *Tārīkh*, p. 56; Ibn al-Athīr, *Tārīkh*, T. I, pp. 248-260. I do not agree with Franz Rosenthal who said that the «*ṭabaḳa*» is equivalent to a period of ten or twenty years. Franz Rosenthal, *A History of Muslim Historiography*, 2nd revised ed., Brill-Leiden, 1968, pp. 93-95. For the meaning of «*ṭabaḳa*», see also Tarif Khalidi, «Reflections on Periodisation in Arabic Historiography», art. cit., p. 109.

[3] Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, p. 238; Ibn al-Athīr, *Tārīkh*, T. I, p. 251; Ibn Khaldūn, *Tārīkh*, T. II, pp. 218, 220, 232; Franz Rosenthal, *A History of Muslim Historiography*, op. cit., pp. 87-92; Franz Rosenthal, « Dawla », in *The Encyclopaedia of Islam*, new ed., Brill-Leiden, Vol. II, 1991, pp. 177-178.

[4] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, p. 115; see also his book, *Murūdj al-dhahab*, T. I, pp. 216, 232, 239, 247 ; Ibn Khaldūn, *Tārīkh*, T. II, p. 218; Ahmad M. H. Shboul, «Byzantium and the Arabs: The Image of the Byzantines as Mirrored in Arabic Literature», in Elizabeth Jeffreys, Michael Jeffreys, and Ann Moffat (eds.), *Byzantine Papers: Proceedings of the First Australian Byzantine Studies Conference*, Canberra, 17–19 May 1978, Brill, Leiden-Boston, 2017, p. 44.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

between these nations, some authors added that the «*Rūm*» speak the Latin language, but the Greeks speak the Greek language.[1] Some others sketched their geographical space to make a clear distinction between these two nations. It is argued that the Greeks lived in South-Eastern Europe and Asia Minor, but the Latins occupied Western Europe.[2] And Al-Bīrūnī used the expression «*Al-Rūm al-Yūnāniyūn*» (the Roman Greeks) to refer to the Byzantines.[3] All these «*Rūm*» or Roman peoples are generally related by descent from a common ancestor who was Isaac, the son of Abraham,[4] a lineage connecting them and Arab people to the same common ancestor, as well as finding to these two nations the same entrance in the course of world history.

II) The Greek History: Political Periodization and Cultural Periodization

Called by our sources «*al-Yūnāniyūn*», the Arabic form of «the Ionians»,[5] the Greek people were considered the earliest Roman people.[6] One of their legendary ancestors was named «*Yūnān*» and was believed to be the brother of «*Ḳaḥṭān*», the ancestor of the Arabs. This story is of particular significance since it attempts to establish a relationship between these two figures, and it suggests an awareness of a cultural affinity between their descendants, which will be examined below.[7] During the earliest period of their history, many Greek kings, about whom chroniclers were not well-informed, had reigned down to Philip II of Macedon (359-336 B. C.)[8]

[1] Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, pp. 33-34.
[2] Ibidem, pp. 20, 34; Ibn Khaldūn, *Tārīkh*, T. II, pp. 220, 232.
[3] Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, p. 408.
[4] Al-Ṭabarī, *Tārīkh*, T. I, p. 317; Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, p. 175; Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, p. 47. But Ibn Khaldūn did not agree that «*al-Rūm*» were the descendants of Abraham. See: Ibn Khaldūn, *Tārīkh*, T. II, pp. 47-48.
[5] Saber Mansouri, «Perses, Grecs et Romains dans les écrits arabes du Moyen-Âge: histoires proches et histoires lointaines», in *Dialogues d'histoire ancienne*, vol. 24, n°2, 1998, p. 152.
[6] Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, p. 20; Al-Masᶜūdī (Abū al-Ḥasan ᶜAlī B. al-Ḥusayn B. ᶜAlī), *Akhbār al-zamān*, ed. ᶜAbd Allah al-Ṣāwī, al-Maktaba al-Ḥaydariyya, Nadjaf, 1966, p. 93. Tarif Khalidi wrote that this purported edition of this book cannot be identified with Al-Masᶜūdī's work. See Tarif Khalidi, *Islamic Historiography*, op. cit., p. 154.
[7] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, p. 115; Tarif Khalidi, *Islamic Historiography*, op. cit., pp. 94-95, 98; Dimitri Gutas, *Greek Thought, Arabic Culture: The Graeco-Arabic Translation Movement in Baghdad and Early ᶜAbbāsid Society (2nd-4th/ 8th-10th centuries)*, Routledge, London-New York, 1998, p. 88.
[8] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, p. 112.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

Contrary to this former and unknown period, the reign of Philip II, or for some authors, the reign of his son Alexander III the Great (336-323 B. C.) inaugurated in Macedonia and in countries outside it another period called the era of the Macedonian kingdom, also known to scholars as the Hellenistic period.[1] The beginning of this era was not marked with a precise date, but it was mentioned by referring to the reign of these two rulers.[2] King Philip II restored restored internal peace to his country and gained domination over all of Greece by military and diplomatic means, thus laying the foundations for its expansion under his son Alexander the Great.[3] Without denoting specific years related to the important events cited in their books, Arab authors wrote that Alexander the Great overthrew the Persian empire and established a puissant power over many countries conquered in the East.[4]

It has been generally acknowledged that our narrative sources held Alexander in very high esteem. The model of his rule deserved attention and was seen as a turning point in history.[5] Then it it was used as a basis for making chronological calculations in order to find out the length of the following periods and to indicate when some important military, political, and religious events happened.[6] It is said that when Alexander left Greece and started conquering the East, he reached Palestine at the age of 27. There he ordered to establish a new chronology beginning in this same year, dated by scholars in 332 B. C.[7] Even the «*Hidjra*» of Prophet Muḥammad is dated by referring to the Alexandrian calendar, and it is situated at 16th «*tammūz*» (july) in the year 933.[8]

Muslim authors made a list of Macedonian kings who had

---

[1] Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, pp. 217-219; Al-Iṣfahānī, *Tārīkh*, p. 52; Ibn Khaldūn, *Tārīkh*, T. II, p. 220; Peter John Rhodes, *A History of the Classical Greek World: 478–323 B.C.*, Blackwell Publishing, Oxford, 2006, pp. 297-321.

[2] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, p. 112.

[3] Peter John Rhodes, *A History of the Classical Greek World*, op. cit., pp. 297-321.

[4] Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, p. 233; 233; Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, pp. 44, 104; Ibn Khaldūn, *Tārīkh*, T. II, p. 223. For the wars of Alexander, see Peter John Rhodes, *A History of the Classical Greek World*, op. cit., pp. 349-382.

[5] Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, pp. 218-221; Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, p. 26; Ibn Khaldūn, *Tārīkh*, T. II, pp. 220-223; Mazzaoui M., «Alexander the Great and the Arab historians», *Graeco-Arabica*, 4, 1991, pp. 34-43.

[6] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 129-131; Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. II, pp. 151, 154; Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, p. 34.

[7] Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, pp. 34-35.

[8] Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. IV, p. 307.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

reigned from Philip II to Cleopatra. They arranged it according to criteria determined by chronological order. It combined both political and intellectual events. And it contained some necessary and abbreviated information such as their names and the number of years of their reign. But Al-Masᶜūdī noticed that the sources from which he derived his information did not agree on the number of Greek kings, (about 16 kings) or on the length of this second phase. It is said that it lasted more or less than 303 years.[1] It is also known to our sources that the Greek period had not been brought to a close only when the rulers of Rome imposed their sovereignty over the Ptolemaic dynasty in Egypt in 30 B. C. Since this triumph, the history of Greek was incorporated into Roman history and the Greek people had been called Roman people.[2]

Indeed, Muslim authors focused on the Ptolemaic dynasty (323-30 B. C.) who had reigned in Egypt longer than any other dynasty established on the soil of the Alexandrian empire and only succumbed to the Romans in 30 B. C.[3] Although informed about the Seleucid dynasty who ruled in Asia Minor after the death of Alexander the Great from 312 to 64 B. C., these authors did not show interest in it, and the main work that drew attention to this dynasty is a lost book of Al-Masᶜūdī entitled *Kitāb funūn al-maᶜārif wa mā djarā fī al-duhūr al-sawālif*.[4] The disinterest towards the Seleucid dynasty may be explained by the lack of scientific and intellectual famous and influential centers in their country like the Academy and Library of Alexandria whose role was best known under the reign of the Ptolemaic dynasty. Thus, the esteem in which this dynasty was held by authors seems to have been inspired by its role in spreading Hellenistic culture.[5]

Although they subsumed the traditional lines of mostly dynastic divisions between different Greek rulers to approach early Greek history in its political and military dimensions, Muslim chroniclers thought that the intellectual

[1] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 111-112.
[2] Ibidem, pp. 112-115; Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, p. 20.
[3] Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, p. 105; Ibn Khaldūn, *Tārīkh*, T. II, pp. 224-225.
[4] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 115-116.
[5] Ibidem, pp. 115-122; Théophile Obenga, *L'Égypte, la Grèce et l'école d'Alexandrie. Histoire interculturelle dans l'antiquité: Aux sources égyptiennes de la philosophie grecque*, l'Harmattan, Paris, 2005, pp. 137-173.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

dimension played an important role in shaping a distinctive period that did not necessarily coincide with a political period. So, they were the precursors of writing a cultural history by privileging the outstanding intellectual and scientific nations' works. This particular perception of Greek history is often influenced by stories of the past, and certainly by personal analysis.

So, if political history is marked by its discontinued rhythm, which gives us the possibility to identify two periods, such a fragmentary vision is not possible for intellectual values. Indeed, according to our narrative sources, these values kept a linear evolution. They went back to the era of famous philosophers such as Socrates (470-399 B. C.), Plato (428-347 B. C.), and then Aristotle (384-322 B. C.) who preceded the breakup of Alexander's empire. [1] They followed a slow process of both accumulation and transmission from generation to generation and from nation to nation without unnoticed breaks, but only the intercultural interactions of these long periods would be underlined.[2]

The Arabic view of Greek thought is certainly based on such a conception of continuity. In this sense, it has been agreed that during a long period, several intellectual centers flourished successively in the East in different phases of political history. [3] The account of Al-Masᶜūdī is significant because it reveals that his theory of historical times is not, somewhat, restricted to political periodization. He notices that if Athens, the most important center of ancient Greek thought, lost its place mainly after Aristotle, Alexandria, the new Egyptian city, provided the necessary conditions to motivate the movement of scientific research, study, and thought. It received scholars, students, and books. There, the spirit of Greek intellectual and scientific life remained animated for many

[1] Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, pp. 19-33

[2] For the idea of intercultural interactions or cross-cultural interactions and their place in the periodization of world history, see Jerry H. Bentley, «Cross-Cultural Interaction and Periodization in World History», art. cit., pp.751-752, 761; Patrick Manning, «The Problem of Interactions in World History», in *The American Historical Review*, Vol. 101, N. 3, June 1996, pp. 771-782.

[3] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 121-122.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

centuries, even after the reign of the Ptolemaic dynasty.[1]

According to the same account, Alexandria maintained its distinctive role despite the emergence of the Roman Empire's capital as a serious rival in this field. The survival of Greek philosophy and sciences in Rome until the rule of the emperor Theodosius (379-395 A. D.) who decided to transplant the philosophical school again to Alexandria did not eclipse the Egyptian city.[2] Nevertheless, it also remained flourished for many centuries till the reign of ᶜUmar ibn ᶜAbd al-ᶜAzīz (717-720 A. D.) who integrated Hellenistic studies at Antioch.[3] And then, under the reign of the Abbasid Caliph al-Mutawakkil (847-861 A. D.), Ḥarrān substituted Antioch and became the center of Hellenistic studies.[4] It is interesting to note that the rise of these centers during a long period was not without interest for future generations. In other words, when Islam arose, it inherited some of them. And there is no doubt that their distinguished intellectual outputs had a lasting influence on Arabic thought and sciences.[5]

Showing how to fit past events and intellectual outputs into larger schemes, these remarks are extremely important for at least three reasons: firstly, they show that some Islamic authorities are well aware that such a reading presents the huge advantage of putting the history of Greek thought back on the map by acknowledging important signs of continuity which allow to elaborate a different periodization. Secondly, they invite us to understand how the Arabs made an effort to maintain the link with this thought which, mainly both in philosophy and in the sciences, was highly valued and was reported to have gone back to Prophets Luḳmān and Solomon

[1] Ibidem, p. 121. See also: Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, pp. 24, 39-41; Ibn Ḥawḳal (Abū al-Ḳāsim B. Ḥawḳal al-Naṣībī), *Ṣūrat al-arḍ*, Dār Maktabat al-Ḥayāt, Beyrouth, 1992, pp. 183-184; Théophile Obenga, *L'Égypte, la Grèce et l'école d'Alexandrie*, op. cit., pp. 137-173.

[2] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 121-122; Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, p. 40; Paul Lemerle, *Le premier humanisme byzantin: Notes et remarques sur enseignement et culture à Byzance des origines au X^e siècle*, (Bibliothèque Byzantine, Etudes – 6), PUF, Paris, 1971, pp. 9-11; Théophile Obenga, *L'Égypte, la Grèce et l'école d'Alexandrie*, op. cit., pp. 137-173.

[3] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 121-122; Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, p. 40.

[4] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 121-122; Paul Lemerle, *Le premier humanisme byzantin*, op. cit., pp. 22-28. For the attention paid by Al-Masᶜūdī to the cultures of foreign nations, see Tarif Khalidi, *Arabic historical thought*, op. cit., pp. 135-136.

[5] Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, pp. 21-33, 48.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

from whom Greek philosophers had indirectly been imparted « *al-Ḥikma* », that is Wisdom. [1] Thirdly, the same remarks lead us to be aware of the circumstances of some roots of Arabic thought, and this reveals that our sources were seeking, consciously or unconsciously, to put an end to a marginalized view of the pagan period that had been sidelined.

It is worth noting that the movement of translation and the deep cultural transformation that the 3rd and 4th centuries of Islamic rule/9th and 10th Christian centuries had witnessed commanded some Muslim authors to reflect upon the history of the Greek heritage and to grant it a new meaning regarding its influence on Arabic thought and sciences.[2] In other words, if Syriac and Arab translators focused on the translation of the ancient works into the Arabic language,[3] the fundamental role of some other Muslim scholars, like Al-Masᶜūdī and Ibn al-Nadīm (d. 384/994), was to rediscover the history of Greek thought, and to put it back on the map of world history.[4] Their works, which in some manner represent an admiration for the cultural achievements of other nations, are perfectly in line with the movement of Arab humanism that witnessed the 4th/10th century, and that placed central emphasis on the human realm.[5]

But if there was an interruption in the continuity of Greek thought, it should be caused, according to our sources, by the policy of the Byzantines

[1] Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, pp. 21-22; Ibn Khaldūn, *Tārīkh*, T. II, p. 222.

[2] Al-Yaᶜḳūbī (Aḥmad B. Isḥāḳ B. Djaᶜfar B. Wahb B. Wāḍiḥ al-Yaᶜḳūbī al-Baghdādī), *Mushākalat al-Nāss li-zamānihim*, ed. William Milward, Dār al-Kitāb al-Djadīd, Beyrouth, 1980, p. 23; Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 116-122; Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, pp. 27-33, 36-37, 48-56; Ibn Abī 'Uṣaybiᶜa (Muwaffaḳ al-Dīn Abū al-ᶜAbbās Aḥmad B. al-Ḳāsim B. Khalīfa), *ᶜUyūn al-anbā' fī ṭabaḳāt al-aṭibbā'*, ed. Nizār Riḍā', Dār Maktabat al-Ḥayāt, Beyrouth, (no date), pp. 289-295; Dimitri Gutas, *Greek Thought, Arabic Culture*, op. cit., pp. 107-120.

[3] Ibn al-Nadīm (Abū al-Faradj Muḥammad b. Abī Yaᶜḳūb), *Al-Fihrist*, ed. Riḍā Tadjaddud, Tehrān, 1971, pp. 304-305; Ibn Abī 'Uṣaybiᶜa, *ᶜUyūn al-anbā'*, pp. 279-284; Madkour I., «Les traducteurs chrétiens de la science arabe», in *Recherche d'Islamologie*, (recueil d'articles offert à George C. Anawati et Louis Gardet par leurs collègues et amis), Louvains, 1977, pp. 201-205.

[4] Ibn al-Nadim, *Al-Fihrist*, pp. 300-315, 326-329, 345-353.

[5] For the movement of Arab humanism during during the 4th/10th century, I refer the reader to the articles of Mohammed Arkoun, «L'humanisme arabe du IVᵉ/Xᵉ siècle d'après le Kitâb al-Hawâmil wal-Šhawâmil», in *Studia Islamica*, Vol. XIV, 1961, pp. 73-108, and Vol. XV, 1961, pp. 63-87. See also his work *Nazᶜat al-ansana fī al-fikr al-ᶜarabī: djīl Miskawayh wa al-Tawḥīdī*, trans. Hāshim Ṣālaḥ, Dār al-Sāḳī, Beyrouth, 1997.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

(*al-Rūm*) who, after adopting Christianity, they proceeded to wipe out all traces of that ancient Wisdom, especially Greek philosophy. [1] Whether this was really the case is a matter for discussion, and the effect of Justinian I's closing of the Schools of Athens in the year A. D. 529 remains controversial. [2] Unlike the Byzantines' policy towards Greek thought, both Muslims' policy and mentality gave the proper care to Greek heritage by developing it to its highest level in the Middle Ages.[3]

Speaking, for example, of the reign of the Abbasid Caliph Al-Ma'mūn (813-833 A. D.), Ṣāᶜid al-Andalusī (d. 462/1070) wrote that «*the State of Wisdom came into being in his day.*»[4] There can be no doubt that the assessment of Greek heritage is generally objective. It leaves, as a result, a decisive influence on Arab culture.[5]

It is important to notice that in periodization there is not for our sources any concordance between intellectual dimension and political events. Meanwhile constructing the past of culture, Al-Masᶜūdī and Ṣāᶜid al-Andalusī paid considerable attention, not unusual for them, to the idea of continuity by taking a long-term

[1] Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, pp. 241-242; Ibn al-Nadim, *Al-Fihrist*, pp. 302-303; Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, p. 62; Tarif Khalidi, *Islamic Historiography*, op. cit., pp. 112-113; Dimitri Gutas, *Greek Thought, Arabic Culture*, op. cit., pp. 89-90; Ahmad M. H. Shboul, «Byzantium and the Arabs: The Image of the Byzantines as Mirrored in Arabic Literature», art. cit., p. 58.

[2] Averil Cameron, *The Mediterranean world in late antiquity AD 395–600*, Routledge, London and New York, 1993, pp. 134-136; Alan Cameron, «The last days of the Academy at Athens», *Proceeding of the Cambridge Philological Society*, 195 (1), 1969, pp. 7–29.

[3] Al-Yaᶜḳūbī, *Mushākalat al-Nāss li-zamānihim*, p. 23; Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, pp. 241-242; Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, pp. 48-49; Tarif Khalidi, *Islamic Historiography*, op. cit., pp. 94-98; Béchir Labidi, «Regards croisés sur la place de la culture grecque entre les Arabes et les Byzantins (VII[e]-XI[e] siècle)», in *Les Cahiers de Tunisie, La Méditerranée connectée*: Hommage au professeur Mohamed Tahar Mansouri sous la direction de Hayet Amamou et Mohamed Ouerfelli, T. LXX, numéros 222/223, 1[er] et 2[ème] semestres 2016 (2019), pp. 85-91.

[4] Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, p. 48; Tarif Khalidi, *Arabic historical thought*, op. cit., p. 167.

[5] Ibn al-Ḳifṭī (Djamāl al-Dīn Abū al-Ḥasan ᶜAlī b. Yūsuf), *Tārīkh al-ḥukamā' wa-huwa mukhtaṣar al-Zawzanī al-musammā bī-al-muntakhabāt al-multaḳaṭāt min kitāb ikhbār al-ᶜUlamā' bi-akhbār al-ḥukamā'*, ed. Fu'ād Sizkīn, Maᶜhad tārīkh al-ᶜulūm al-ᶜarabiyya wa al-islāmiyya, University of Francfort, Germany, 1999, pp. 29-30; De Boer (T. J.), *Tārīkh al-falsafa fī al-Islām*, trans. from the German language to the Arabic language by Muḥammad ᶜAbd al-Hādī Abū Rīda, Tunis-Algiers, 4th ed., 1980, pp. 76-77, 81-82; Béchir Labidi, «Regards croisés sur la place de la culture grecque entre les Arabes et les Byzantins (VII[e]-XI[e] siècle)», art. cit., pp. 86-87.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

perspective from the Greek era to the 4th/10th. They showed that Greek thought had flourished and remained influential in the Mediterranean East during about thirteen centuries regardless of several dynasties who ruled over different States in Antiquity and the Early Middle Ages.

The most obvious observation to be made, is certainly that Muslim authors did not deny the usefulness of political periodization itself. Yet they demonstrated how the limits of one period change if the plurality of rhythms is taken into consideration, and if a field such as thought is taken seriously. Henceforth, they tended to write about this topic in a way that emphasized continuity rather than a break with the past. In consequence, they highlighted a long-lasting period marked by some distinctive intellectual and scientific qualities. Their view becomes intelligible at the mirror of the inheritance and assimilation by Islam of some fundamental values of Greek thought.[1]

III) The Periodization of Roman and Byzantine History

Al-Masᶜūdī, one of the greatest scholars of medieval Islam who focused on the subject of periodization, used the term «*ṭabaḳa*» only when he wrote about a sufficiently known period. In this sense, he divided the ancient history of the Roman nation into three long periods without applying this term to the first period.[2] Contrary to other Muslim chroniclers for whom the history of the Roman nation began with the reign of Augustus Caesar (31 B. C- 14 A. D), and who paid attention only to important events that occurred in the Eastern Mediterranean under the reign of this emperor and his successors,[3] Al-Masᶜūdī mentioned another earliest period of this history. As it was claimed, this period began when the twin brothers Romulus and Remus were suckled by a wolf, then, many years later, they founded the city of Rome,[4] an event dated by Ṣāᶜid al-Andalusī in 725 B. C, and situated by scholars around 753 B. C.[5]

[1] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 116-122; Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, pp. 19-33; Ibn Abī 'Uṣaybiᶜa, *ᶜUyūn al-anbā'*, pp. 289-295.

[2] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 123-137.

[3] Ibidem, p. 53; Al-Bīrūnī, *Al-'Āṯhār*, p. 106; Ibn al-Aṯhīr, *Tārīḵh*, T. I, pp. 249-252.

[4] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, p. 123. I do not agree with Tarif Khalidi, *Islamic Historiography*, p. 95 who considered that, according to Al-Masᶜūdī, Roman history began with Julius Caesar (d. 44 B. C.)

[5] Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, p. 34; Barry Cunliffe, *Rome et son empire*, trans. from the English language by Hélène Seyres, Turin, 1994, pp. 24, 28-29.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

Like other ancient authors, Al-Masᶜūdī seems to have relied on this ancient Roman myth. Furthermore, he was ignorant of both the regal (753-509 B. C.) and republic periods (509-27 B. C.) which are the most poorly documented periods of Roman history. Even if it is decided that his work contains some apocryphal accounts, it is impossible to deny his interest in writing ancient history and putting forward its turning point. Our sources show little attention to the civil war of the first-century B. C. that presaged the downfall of the republic of Rome and led to the establishment of the Empire in 27 B. C., so they had to be content only with citing the war that happened in Egypt between Octave Augustus and Antoine.[1]

As one reads through the Al-Masᶜūdī's text, the reign of «*Ṭabaḳat al-Rūm al-Ṣābi'īn*» coincided with the second period of Roman history. It began with the reign of Augustus. It involved 40 rulers who had reigned until the conversion of Constantine the Great (312-337 A. D.) to Christianity. Their reign lasted for 374 years and 3 months.[2] The name «*Ṣābi'a*» (Sabians) is used by Al-Masᶜūdī as the general term for star worship in the ancient world of whom the Sabians of Ḥarrān are only one sect. But the author added that these Romans «*Ṣābi'a*» were «*Ḥunafā'*», which is somewhat confusing.[3] Certainly, «*Ṣābi'a*» is a name applied in Islamic ear to at least three entirely different religious communities who are mentioned in the *Ḳur'ān*: the «*Ṣābi'ūn*», the Christians, and the Jews,[4] and therefore they were recognized as «*dhimmi*» subjects. It seems that the «*Ṣābi'a*» of Ḥarrān were of special interest. Their scientific and intellectual role played in the Abbasid State was sufficient to invite Muslim authors to shed light on the past of their supposed

[1] Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, pp. 229-231; Ibn Khaldūn, *Tārīkh*, T. II, pp. 225-226; Barry Cunliffe, *Rome et son empire*, op. cit., pp. 44, 92-95.

[2] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 123-124, 136; Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, p. 34; Al-Yaᶜḳūbī, *Tārīkh*, T. I, pp. 126-128, this author did not write any information about the history of *al-Rūm* before the 1st century B. C. For the conversion of Constantine the Great to the Christianity, see also Paulus Orosius, *History of the World*, pp. 457-460; Pierre Chuvin, *Chronique des derniers païens: La disparition du paganisme dans l'Empire romain du règne de Constantin à celui de Justinien*, Fayard, Paris, 1990, pp. 31-42.

[3] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 123-124, 136; Tarif Khalidi, *Islamic Historiography*, op. cit., pp. 64-65.

[4] The «*Ṣābi'ūn*» are mentioned in the *Ḳur'ān* three times: II 62, V 69, XXII 17.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

coreligionists, the Roman emperors.[1]

Although the chroniclers did not mention any date related to internal Roman events during this second period, and they had to be content with citing the length of every emperor's reign, it is not possible to deny that their lists of dynasties and emperors are, in themselves, the result of efforts at periodization.[2] Nevertheless, these lists pose a problem since they contain some confusion, and are unanimous neither about some emperors' names, their numbers, nor even about the length of this period.[3] Having been conscious of this problem, Al-Masᶜūdī and Ḥamza Al-Iṣfahānī put their fingers on the real cause by affirming that it was due to the difference between sources on which Arab accounts were based.[4]

In the course of reconstructing the past, the chroniclers sometimes attempted to present a critical approach to some religious events related to the chronology of Roman history. The episodes that reflect their efforts are rare and disconnected but significant. After revising the calendar of the emperor Augustus established by some astronomers and chroniclers, Al-Bīrūnī deduced that the date of the birth of Jesus Christ as it was determined was incorrect, and therefore he fixed another date which also was wrong but more precise than the former date. [5] Based on the *Ḳur'ān*, Ibn Al-Aṯīr (d. 630/1233), tried to explain that the date related to the story of «*Ahl al-Kahf* » (Cavemen) as cited in Christian sources is undoubtedly wrong.[6]

The focus on a political and military periodization related to Roman history did not exclude religious events such as the birth of Jesus Christ, his presumed crucifixion, the conflict between Jews and Roman emperors, as well as brief tales concerning

[1] Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, p. 37; Ibn Abī 'Uṣaybiᶜa, *ᶜUyūn al-anbā'*, pp. 295-311.

[2] Al-Ṭabarī, *Tārīḵh*, T. I, pp. 606-608; Al-Aṣfahānī, *Tārīḵh*, pp. 53-54; Al-Bīrūnī, *Al-'Āṯār*, pp. 106-108; Ibn al-Aṯīr, *Tārīḵh*, T. I, pp. 248-252.

[3] According to Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 123-124, 136, they were 40 kings who had reigned for 374 years and 3 months. But Al-Iṣfahānī, *Tārīḵh*, pp. 53-54, wrote that they were 28 kings who had reigned for 382 years and 6 months. And according to Al-Bīrūnī, *Al-'Āṯār*, pp. 106-108, they were 27 kings. But modern scholars said that they were 54 emperors.

[4] Al-Masᶜūdī, *Murūḏj al-ḏhahab*, T. I, p. 238; Al-Iṣfahānī, *Tārīḵh*, p. 63.

[5] Al-Bīrūnī, *Al-'Āṯār*, p. 35. According to this scholar, the chroniclers cited the birth of Jesus Christ in the year 43 of the reign of Octave Augustus, but he cited this event in the year 17 of the same reign.

[6] Ibn al-Aṯīr, *Tārīḵh*, T. I, pp. 251-252.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

some Christian martyrs.[1] During the second period of Roman history, monotheistic religion was not considered as the main agent of history, and the birth of Jesus Christ did not mark the beginning of a new epoch.

Although scholars have encountered difficulty to decide when it was that Byzantine history can be said to have begun,[2] the break with the past as seen by our sources coincides with the beginning of the third period of Roman history when emperor Constantine the Great was converted to Christianity in 313 A. D and inaugurated the reign of «*Ṭabaḳat Mulūk al-Rūm al-Mutanaṣṣira*» (the category of Roman Christian kings),[3] also called by Al-Bīrūnī «*Al-Rūm al-Yūnāniyūn*» (the Roman Greeks).[4] Greeks).[4]

Contrary to Al-Ṭabarī (224-310/838-922), who in his historical annals, was interested in the ancient history of prophets more than the secular history of nations,[5] who neglected the adoption of Christianity as the official religion of the Empire and who considered that the epoch beginning by Jesus Christ until the reign of Heraclius (610-641 A. D.) was one phase of Roman history, which I can call the pre-Islamic and non-Arabic period ;[6] other chroniclers like Al-Yaᶜḳūbī, Al-Masᶜūdī, Ḥamza Al-Iṣfahānī, and Al-Bīrūnī suggested another reading of this chronology. They held the conversion of Constantine to Christianity as the dividing line separating the previous pagan period from another new and different period.[7]

For this reason, it does not surprise us that our sources did not remark the continuity of pagan beliefs as well as the survival of some elements of paganism in the Eastern Roman Empire during

[1] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 124-128; Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, pp .234-238, Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, pp. 106-108.

[2] Timothy Venning, with an introduction by Jonathan Harris, *A Chronology of the Byzantine Empire*, Palgrave Macmillan, New York, 2006, p. xiv.

[3] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, p. 137; Ibn al-Athīr, *Tārīkh*, T. I, p. 252.

[4] Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, p. 408.

[5] Al-Ṭabarī, *Tārīkh*, T. I, pp. 89-495.

[6] Ibidem, T. I, pp. 606-608. It is worth noting that modern scholars did not consider the appearance of Christianity as a rupture in the course of the ancient history. See: Stéphane Gibert, « Les enjeux renouvelés d'un problème fondamental: la périodisation en histoire », in *ATALA Cultures et sciences humaines* n° 17, «Découper le temps - Actualité de la périodisation en histoire», 2014, p. 18.

[7] Al-Yaᶜḳūbī, *Tārīkh*, T. I, p. 132; Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 123, 137; Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, p. 239; Al-Aṣfahānī, *Tārīkh*, 55-56, 59-61; Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, p. 108; Ṣāᶜid al-Andalusī, *Ṭabaḳāt al-umam*, p. 35.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

both the 4th and 5th Christian centuries even after adopting Christianity as the official religion of the Empire.[1] Relying on the Christian sources who fixed this temporal limit,[2] Muslim authors seem to have privileged the break with the past rather than the continuity. Indeed, the 4th Christian century, more than any other time, is indicative of both the end of Christians' persecution because of their religious belief, and of Byzantium's dynamic character.[3]

Therefore, the Roman Empire seemed to have largely disappeared from the course of history in Islamic narrative sources, and it gave way to Byzantium, the Christian Roman Empire of the East, which was granted a particular place in the same sources. And even if the emperors of Constantinople were undoubtedly known as the heirs of the masters of Rome, Al-Yaᶜḳūbī, and Al-Masᶜūdī presented them as a different category of rulers and regarded Byzantium as emerging only in the 4th Christian century.[4] Their contribution to the reconstruction of the periodization of Byzantine history by presenting an uninterrupted chain of rulers starting with Constantine the Great became a binding framework for later generations of Muslim chroniclers.[5]

Focusing on this third period of the history of the Romans (in this case, the term *Rūm* means the Byzantines), Al-Masᶜūdī divided it into two phases. The first phase was previous to Islam. It lasted for about three centuries. It began from the reign of Constantine the Great until the time of the Prophet Muḥammad when Islam rose in the 7th Christian century and had got its place in the chronology of world history.[6] This phase was marked by the formation of the Eastern Roman Empire where Constantinople substituted Rome

[1] Ramsay MacMullen, *Paganism in the Roman Empire*, Yale University Press, New Haven and London, 1981, pp. 131-137 ; Pierre Chuvin, *Chronique des derniers païens*, op. cit., pp. 31-42.

[2] Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, p. 238. This author affirmed that he used some Christian sources to get information about this period of Roman history.

[3] Timothy Venning, *A Chronology of the Byzantine Empire*, op. cit., pp. 5-38.

[4] Al-Yaᶜḳūbī, *Tārīkh*, T. I, pp. 132-137; Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 137, 145-156; Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, pp. 239-246; André Miquel, *La géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du 11e siècle. Géographie arabe et représentation du monde: La terre et l'étranger*, nouvelle édition [en ligne], éd. de l'École des hautes études en sciences sociales, Paris, 2001, Tome II, vol. II, chap. VIII, § 89-91, available online:<https://books.openedition.org/editionsehess/629>.

[5] Ibn al-Athīr, *Tārīkh*, T. I, pp. 252-257; Ibn Khaldūn, *Tārīkh*, T. II, pp. 250-265.

[6] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, p. 156.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

and became the capital of political decision as well as a main center of religious life.[1]

It is worth noting that a fact that our sources did not fail to notice was the idea of deeper change that went hand in hand with that of cities. In other words, Islamic authorities were aware of the existence of regional differences. In developing their approach to periodization, they linked time and space by including territory in a given period, but they excluded it in another period. It is almost the opinion of modern scholars who have deduced that periodization and spatialization are often intimately related.[2] And this fact means that the process of the historical development of a given country does not necessarily and simultaneously encompass the other neighboring countries. For a long-lasting period, Athens, Alexandria, Rome, and then Constantinople were, successively, the seats of power and the main examples of cities where political, religious, cultural, social, and economic mutations had occurred. In this sense, the main but underlying idea that should be understood from this historical process as presented by Muslim authors of the 3rd/9th and 4th/10th centuries is to highlight the role of Bagdad. This biggest Islamic city was considered the cradle of science and the source of Wisdom.[3] It became, in several fields, able to rule a large part of the medieval world and substitute the former centers of power, sciences, and civilization.[4]

During the third period of Roman history, it is noticeable that Christianity, as politics, became one of the most important agents of history. Indeed, some Arab chroniclers had been conscious of this fact, and they did not restrict Byzantium, which was at the periphery of the Islamic Empire, to its political and military past. Inasmuch as they were mostly tolerant towards other religions, Al-Masʿūdī and Al-Bīrūnī focused on writing detailed accounts not only about series of

[1] Ibidem, pp. 138, 146; Al-Yaʿḳūbī, *Tārīkh*, T. I, pp. 132-135; Al-Masʿūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, p. 239; Paul Lemerle, *Histoire de Byzance*, coll. «Que sais-je ?», PUF, Paris, 1948, pp. 21-24; Barry Cunliffe, *Rome et son empire*, op. cit., pp. 286-287, 302.

[2] For the connection between periodization and spatialization, see Fred M. Donner, «Periodization as a Tool of the Historian with Special Reference to Islamic History», in *Der Islam*, 91 (1), 2014, pp. 20-21.

[3] Ibn al-Faḳīh (Abū ʿAbd Allah Aḥmad B. Muḥammad B. Isḥāḳ al-Hamadhānī), *Kitāb al-buldān*, ʿĀlim al-kitāb, Beyrouth, 1996, p. 311.

[4] Ibidem, pp. 283, 310-311, 326; Ibn al-Nadim, *Al-Fihrist*, pp. 303-304; Al-Yaʿḳūbī, *Mushākalat al-Nāss li-zamānihim*, pp. 22-35.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

synods discussing religious issues but also about many sectarian groups. Moreover, they attempted to date these councils considered as most interesting events, and they highlighted the role of great religious men.[1] Their detailed and particular perception of Byzantium, seen as the main Christian power contemporary to Islam, may lead us to think that they combined both ecclesiastical and secular history, but they devoted to religious history a specefic care in order to command attention to a crucial period in the past of the Byzantines and Eastern Christian communities.[2]

In their respective works, Al-Masᶜūdī and Al-Bīrūnī focused on Christianity as a monotheistic religion devoted by a considerable number of Muslim State's subjects, and by the Byzantines.[3] Having contained neither arrogance nor anti-byzantine sentiments, the writer's various passages certainly mirrored the Islamic understanding of Byzantium and represented an interesting chapter in the formation of a thoughtful attitude towards both its history and religion. Through this profound and sincere perception, these two scholars attempted to rationalize the long history of the Byzantines with its various phases and its distinctive aspects of culture, which led to understanding the present time of the serious rivals of Islam.

The various passages related to the history of the Byzantines should be interpreted as a product of changes in the Islamic view of Byzantium based on the circumstances of that period. After realizing that this well institutionalized and organized Empire could not surrender to Islam,[4] and recognizing its role in safeguarding a large part of the survival of Greek sciences that had been transmitted to the Islamic world, translated and valorized by Arab and Syriac scholars,[5] Muslim authors became

[1] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 137-138, 142-156; Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, pp. 239-246; Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, pp. 357-405. See also, Al-Yaᶜḳūbī, *Tārīkh*, T. I, pp. 132-136. For these councils, see Alain Ducellier, *Les Byzantins: Histoire et culture*, éditions du Seuil, Paris, 1988, pp. 57-59; Mohammad Tahar Mansouri, *Al-Ḥayāt al-dīniyya fī Bīzanṭa mina al-inbiᶜāth ilā al-ḳaṭīᶜa maᶜa Rūmā*, Dār Amal li-alnashir wa al-tawzīᶜ, Sfax, 2003, pp. 25-40.

[2] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, p. 142-155.

[3] Ibidem, pp. 142-175; Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, pp. 239-246; Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, pp. 357-405.

[4] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, p. 7. He wrote: "لأنّ مملكة الرّوم إلى وقتنا هذا ثابتة الرّسوم متّسقة التّدبير."

[5] Ibn al-Nadim, *Al-Fihrist*, pp. 304-305; Ibn Abī 'Uṣaibiᶜa, *ᶜUyūn al-anbā'*, pp. 260, 284, 329; Béchir Labidi, «Regards croisés sur la place de la culture grecque entre les Arabes et

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

persuaded to understand the Empire's ancient past, to illuminate the processes that made Greek thought flourished, and then to grant it a new meaning.

Al-Masᶜūdī thought that the rise of Islam marked the end of the first phase among the third period of Roman history, and at the same time the beginning of its second phase.[1] It is interesting to note that the beginning of this second stage was not marked by an internal change that happened in the Byzantine Empire, and the dynastic change, in this case, was not seen in itself as a turning point or an important event, but the end of the first phase was simply linked to the rise of Islam, and the conquest of the eastern provinces of Byzantium, so it was due to external events. Having reconstructed the chronology of this period, Al-Bīrūnī opted for a different view. He did not consider the appearance of Islam, the most important event in the early Middle Ages, as the beginning of a new phase in Byzantine history. He thought that the past of the Empire was a unique and uninterrupted period. It began when Roman emperors adopted Christianity and established their reign in Constantinople, and it lasted until the reign of Constantine VII (913-959 A. D.)[2]

Although Muslims saw the history of Byzantium within the much wider context of the history of all Empires, gradually, they came to consider this Empire as an obstacle to their own progress. As a consequence, they have written Byzantine history at the mirror of Islamic history. And this view led them to integrate Islam and Byzantium into a unified chronological rhythm by presenting the history in the form of annals in which events have eventually been cited dependently to Islamic history and have not been seen as events that could change the course of history.[3] As a result of this view, the history of the Byzantines lost its «own» periodization in Islamic sources since the 7th Christian century.

les Byzantins (VIIᵉ-XIᵉ siècle)», art. cit., pp. 85-88.

[1] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, p. 156.

[2] The account of Al-Bīrūnī is based on a source that furnished a list of the Byzantine emperors until the reign of Constantine VII. See Al-Bīrūnī, *Al-'Āthār*, pp. 108-113.

[3] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 152-171; Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. I, pp. 247-254; Al-Iṣfahānī, *Tārīkh*, pp. 62-63; Ibn al-Athīr, *Tārīkh*, T. I, pp. 257-260. Even if the period of Byzantine history that began with the appearance of Islam was considered by Ibn al-Athīr as «*the third ṭabaḳa of Mulūk al-Rūm*» (the third category of Roman emperors), he also integrated Islam and Byzantium into a unified chronological rhythm.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

And then, Byzantium became for Muslims the country that should have been conqured, or at least it needed to be discovered in their present days. For this reason, ambassadors, travelers, and prisoners of war attempted to describe the Empire. They wrote reports about its relief, its wealth, its administrative and military institutions, and especially about its capital, Constantinople.[1]

Conclusion

The attempt by early Muslim authors to elaborate the periodization of Greek, Roman, and Byzantine history is based on Greek, Roman, and Christian sources, and also in some manner perpetuated by Islamic works written during the Middle Ages. Thus, the total of new historical facts that Muslim chroniclers could bring to light about this topic should not be expected to be considerable. But this does not exclude that, by presenting their vision of a universal history, both secular and sacred, these authors elaborated three different periodizations. The first is common; it is related to the history of all these nations. It is based on the political and military dimensions. The second is based mainly on the intellectual dimension. It concerns the Greek thought linked in a long-lasting period to Arabic thought. The third is based on the religious dimension. It involves Byzantium and the Eastern Christian communities with whom Muslims were in real rivalry.[2]

Undoubtedly, the view that they provided had significance for Islamic historiography. Having come to power and world history, Muslim peoples not only affirmed their new status as masters of time,[3] but they also attempted to reconstruct the history of other peoples in order to integrate Islamic history and civilization into the chronology of world history, which provided a framework to incorporate non-

[1] Al-Masᶜūdī, *Tanbīh*, pp. 138-141, 176-180; Ibn Khurdādhbih (Abū al-Ḳāsim ᶜUbayd Allah), *Al-Masālik wa al-mamālik*, ed. De Goeje M. J., Brill-Leiden, 1889, pp. 104-113; Ibn Rustah (Abū ᶜAlī Aḥmad B. ᶜUmar), *Kitāb al-Aᶜlāḳ al-Nafīsa*, ed. De Goeje M. J., Brill-Leiden, 1892, pp. 119-127; André Miquel, *La géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du 11e siècle*, Tome II, vol. II, op. cit., chap. VIII; Saber Mansouri, «Perses, Grecs et Romains dans les écrits arabes du Moyen-Âge: histoires proches et histoires lointaines», art. cit., p. 156.

[2] Al-Djaḥiẓ (Abū ᶜAmrū ᶜUthmān B. Baḥr), *Rasāil*, ed. ᶜAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Djīl, Beyrouth, 1991, T. III, pp. 303-351; Dimitri Gutas, *Greek Thought, Arabic Culture*, op. cit., pp. 83-95.

[3] Al-Masᶜūdī, *Murūdj al-dhahab*, T. IV, pp. 307-315; Antoine Borrut, «Vanishing Syria: Periodization and Power In Early Islam», art. cit., p. 56.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

Muslim thoughts and sciences, and to lead the world to the model of Islam that deserves at least to be respected.

Bibliography

Primary Sources

Al-Ḳur'ān

Al-Bīrūnī (Abū al-Rayḥān Muḥammad B. Aḥmad), *Al-'Āthār al-bāḳiya ᶜan al-ḳūrun al-khāliya*, ed. Parwizadh Kā'ī, Tihran, 2001.

Al-Djaḥiẓ (Abū ᶜAmrū ᶜUthmān B. Baḥr), *Rasāil*, ed. ᶜAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Djīl, Beyrouth, 1991.

Ibn Abī 'Uṣaybiᶜa (Muwaffaḳ al-Dīn Abū al-ᶜAbbās Aḥmad B. al-Ḳāsim B. Khalīfa), *ᶜUyūn al-anbā' fī ṭabaḳāt al-aṭibbā'*, ed. Nizār Riḍā', Dār Maktabat al-Ḥayāt, Beyrouth, (no date.)

Ibn al-Athīr (ᶜIzz al-Dīn Abū al-Ḥasan ᶜAlī B. Abī al-Karam al-Shaybānī), *al-Kāmil fī al-tārīkh*, ed. Abū al-Fidā' ᶜAbd Allah al-Ḳāḍī, Dār al-Kutub al-ᶜIlmiyya, Beyrouth, 1987.

Ibn al-Faḳīh (Abū ᶜAbd Allah Aḥmad B. Muḥammad B. Isḥāḳ al-Hamadhānī), *Kitāb al-buldān*, ᶜĀlim al-kitāb, Beyrouth, 1996.

Ibn Ḥawḳal (Abū al-Ḳāsim B. Ḥawḳal al-Naṣībī), *Ṣūrat al-arḍ*, Dār Maktabat al-Ḥayāt, Beyrouth, 1992.

Ibn Khaldūn (ᶜAbd al-Raḥmān B. Muḥammad B. Muḥammad), *Tārīkh*, eds. Khalīl Shaḥāda and Suheil Zakkar, Dār al-Fikr, Beyrouth, 2000.

Ibn Khurdādhbih (Abū al-Ḳāsim ᶜUbayd Allah), *Al-Masālik wa al-mamālik*, ed. De Goeje M. J., Brill-Leiden, 1889.

Ibn al-Ḳifṭī (Djamāl al-Dīn Abū al-Ḥasan ᶜAlī b. Yūsuf), *Tārīkh al-ḥukamā' wa-huwa mukhtaṣar al-Zawzanī al-musammā bī-al-muntakhabāt al-multaḳaṭāt min kitāb ikhbār al-ᶜUlamā' bi-akhbār al-ḥukamā'*, ed. Fu'ād Sizkīn, Maᶜhad tārīkh al-ᶜulūm al-ᶜarabiyya wa al-islāmiyya, University of Francfort, Germany, 1999.

Ibn al-Nadīm (Abū al-Faradj Muḥammad b. Abī Yaᶜḳūb), *Al-Fihrist*, ed. Riḍā Tadjaddud, Tehrān, 1971.

Ibn Rustah (Abū ᶜAlī Aḥmad B. ᶜUmar), *Kitāb al-Aᶜlāḳ al-Nafīsa*, ed. De Goeje M. J., Brill-Leiden, 1892.

Al-Iṣfahānī (Ḥamza B. Al-Ḥasan), *Tārīkh sinī mulūk al-arḍ wa al-anbiyā'*, (no place, no date).

Maḥbūb B. Ḳusṭanṭīn al-Manbidjī, *Kitāb al-ᶜUnwān*, ed. and trans. in French language by Alexandre A. Vasiliev, Paris, 1909.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

Al-Masᶜūdī (Abū al-Ḥasan ᶜAlī B. al-Ḥusayn B. ᶜAlī), *Kitāb al-tanbīh wa al-ishrāf,* Bibliotheca Geographorum Arabicorum, ed. M. J. De Goeje, Brill-Leiden, 1894.

Al-Masᶜūdī (Abū al-Ḥasan ᶜAlī B. al-Ḥusayn B. ᶜAlī), *Akhbār al-zamān*, ed. ᶜAbd Allah al-Ṣāwī, al-Maktaba al-Ḥaydariyya, Nadjaf, 1966.

Al-Masᶜūdī (Abū al-Ḥasan ᶜAlī B. al-Ḥusayn B. ᶜAlī), *Murūdj al-dhahab wa maᶜādin al-djawhar*, ed. Kamāl Ḥasan Marᶜī, al-Maktaba al-ᶜaṣriyya, Beyrouth, 2005.

Paulus Orosius, *History of the World*, the ancient arab traduction ed. by ᶜAbd al-Raḥmān Badawī, al-Mu'assasa al-ᶜArabiyya li-al-Dirāsāt wa al-Nashir, Beyrouth, 1990.

Ṣāᶜid al-Andalusī (Abū al-Ḳāsim Ṣāᶜid B. Aḥmad B. ᶜAbd al-Raḥmān B. Muḥammad B. Ṣāᶜid), *Ṭabaḳāt al-umam*, ed. Louis Shīkhū, al-Maṭbaᶜa al-Kāthūlīkiyya, Beyrouth, 1912.

Saᶜīd B. Baṭrīḳ, *Tārīkh*, T. I-II, London, MDCXLII.

Al-Ṭabarī (Abū Djaᶜfar Muḥammad B. Djarīr B. Yazīd), *Tārīkh al-'umam wa al-mulūk*, ed. Muḥammad Abū Al-Faḍl Ibrāhīm, Dār al-Maᶜārif, Egypt, 1967.

Al-Yaᶜḳūbī (Aḥmad B. Isḥāḳ B. Djaᶜfar B. Wahb B. Wāḍiḥ al-Yaᶜḳūbī al-Baghdādī), *Tārīkh*, al-Maktaba al-Ḥaydariyya, Nadjaf, 1964.

Al-Yaᶜḳūbī (Aḥmad B. Isḥāḳ B. Djaᶜfar B. Wahb B. Wāḍiḥ al-Yaᶜḳūbī al-Baghdādī), *Mushākalat al-Nāss li-zamānihim*, ed. William Milward, Dār al-Kitāb al-Djadīd, Beyrouth, 1980.

Secondary Sources

Ahmad M. H. Shboul, « Byzantium and the Arabs: The Image of the Byzantines as Mirrored in Arabic Literature », in Elizabeth Jeffreys, Michael Jeffreys, and Ann Moffat (eds.), *Byzantine Papers: Proceedings of the First Australian Byzantine Studies Conference*, Canberra, 17–19 May 1978, Brill, Leiden-Boston, 2017, pp. 43-68.

Alain Ducellier, *Les Byzantins: Histoire et culture*, éditions du Seuil, Paris, 1988.

Alan Cameron, «The last days of the Academy at Athens», *Proceeding of the Cambridge Philological Society*, 195 (1), 1969, pp. 7–29.

Alexander Kazhdan, Alice-Mary Talbot, Anthony Cutler, Timothy E. Gregory and Nancy P. Ševčenko, (edi.), *The Oxford Dictionary of Byzantium*, New York - Oxford, Oxford University Press, 1991.

André Miquel, *La géographie humaine du monde musulman*

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

jusqu'au milieu du 11e siècle. Géographie arabe et représentation du monde: La terre et l'étranger, nouvelle édition [en ligne], éd. de l'École des hautes études en sciences sociales, Paris, 2001, Tome II, vol. II, available online:<https://books.openedition.org/editionsehess/629>.

Antoine Borrut, «Vanishing Syria: Periodization and Power In Early Islam», in *Der Islam*, 91 (1), 2014, pp. 37–68.

Averil Cameron, *The Mediterranean world in late antiquity AD 395–600*, Routledge, London and New York, 1993.

Barry Cunliffe, *Rome et son empire*, trans. from the English language by Hélène Seyres, Turin, 1994.

Béchir Labidi, «Regards croisés sur la place de la culture grecque entre les Arabes et les Byzantins (VIIe-XIe siècle)», in *Les Cahiers de Tunisie, La Méditerranée connectée*: Hommage au professeur Mohamed Tahar Mansouri sous la direction de Hayet Amamou et Mohamed Ouerfelli, T. LXX, numéros 222/223, 1er et 2ème semestres 2016 (2019), pp. 79-98.

De Boer (T. J.), *Tārīkh al-falsafa fī al-Islām*, trans. from the German language to the Arabic language by Muḥammad ᶜAbd al-Hādī Abū Rīda, Tunis-Algiers, 4th ed., 1980.

Dietrich Gerhard, «Periodization in European History», in *The American Historical Review*, Vol. 61, N. 4, July 1956, pp. 900-913.

Dietrich Gerhard, *Old Europe: A Study of Continuity, 1000-1800*, New York, 1981.

Dimitri Gutas, *Greek Thought, Arabic Culture : The Graeco-Arabic Translation Movement in Baghdad and Early ᶜAbbāsid Society (2nd-4th/ 8th-10th centuries)*, Routledge, London-New York, 1998.

Fathi Triki, *L'esprit historien dans la civilisation arabe et islamique*, Maison tunisienne de l'édition et Faculté des sciences humaines et sociales de Tunis, Tunis, 1991.

Fischel W. J., «Ibn Khaldūn's use of historical sources», in *Studia Islamica*, Vol. XIV, 1961, pp. 109-119.

Franz Rosenthal, *A History of Muslim Historiography*, 2nd revised ed., Brill-Leiden, 1968.

Franz Rosenthal, « Dawla », in *The Encyclopaedia of Islam*, new ed., Brill-Leiden, Vol. II, 1991, pp. 177-178.

Fred M. Donner, «Periodization as a Tool of the Historian with Special Reference to Islamic History», in *Der Islam*, 91 (1), 2014, pp. 20-36.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

Jacques Le Goff, *Faut-il vraiment découper l'histoire en tranches ?* Seuil, coll. «La Librairie du XXIe siècle», Paris, 2014.

Jerry H. Bentley, «Cross-Cultural Interaction and Periodization in World History», in *The American Historical Review*, Vol. 101, N. 3, June 1996, pp.749-770.

Konrad Hirschler / Sarah Bowen Savant, « Introduction - What is in Period ? Arabic Historiography and Periodization », in *Der Islam*, 91 (1), 2014, pp. 6–19.

Madkour I., «Les traducteurs chrétiens de la science arabe», in *Recherche d'Islamologie*, (recueil d'articles offert à George C. Anawati et Louis Gardet par leurs collègues et amis), Louvains, 1977, pp. 201-205.

Mazzaoui M., «Alexander the Great and the Arab historians », *Graeco-Arabica*, 4, 1991, pp. 34-43.

Millás J. M., «Abū Maʿshar al-Balkhī», in *The Encyclopaedia of Islam*, New Edition, Brill-Leiden, 1986, Vol. I, pp. 139-140.

Mohammed Arkoun, «L'humanisme arabe du IVe/Xe siècle d'après le Kitâb al-Hawâmil wal-Šhawâmil », in *Studia Islamica*, Vol. XIV, 1961, pp. 73-108, and Vol. XV, 1961, pp. 63-87.

Mohammed Arkoun, *Nazʿat al-ansana fī al-fikr al-ʿarabī: djīl Miskawayh wa al-Tawḥīdī*, trans. Hāshim Ṣālaḥ, Dār al-Sāḳī, Beyrouth, 1997.

Mohammad Tahar Mansouri, *Al-Ḥayāt al-dīniyya fī Bīzanṭa mina al-inbiʿāth ilā al-ḳaṭīʿa maʿa Rūmā*, Dār Amal li-alnashir wa al-tawzīʿ, Sfax, 2003.

Ramsay MacMullen, *Paganism in the Roman Empire*, Yale University Press, New Haven and London, 1981.

Riyāḍ Ḥammūda Ḥassen, *Al-Bīrūnī wa dawruhu fī al-kitāba al-tārīkhiyya*, a Thesis submitted to the University of Jordan for the degree of doctor of history, supervised by ʿAbd al-ʿAzīz al-Dūrī, University of Jordan, 2008.

Patrick Manning, «The Problem of Interactions in World History», in *The American Historical Review*, Vol. 101, N. 3, June 1996, pp. 771-782.

Paul Lemerle, *Histoire de Byzance*, coll. «Que sais-je ?», PUF, Paris, 1948.

Paul Lemerle, *Le premier humanisme byzantin : Notes et remarques sur enseignement et culture à Byzance des origines au Xe siècle*, (Bibliothèque Byzantine, Etudes – 6), PUF, Paris, 1971.

Peter John Rhodes, *A History of the Classical Greek World: 478–323 B.C.*, Blackwell Publishing, Oxford, 2006.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)
Pierre Chuvin, *Chronique des derniers païens : La disparition du paganisme dans l'Empire romain du règne de Constantin à celui de Justinien*, Fayard, Paris, 1990.
Saber Mansouri, «Perses, Grecs et Romains dans les écrits arabes du Moyen-Âge: histoires proches et histoires lointaines», in *Dialogues d'histoire ancienne*, vol. 24, n°2, 1998, pp. 137-158.
Stéphane Gibert, « Les enjeux renouvelés d'un problème fondamental: la périodisation en histoire », in *ATALA Cultures et sciences humaines* n° 17, «Découper le temps - Actualité de la périodisation en histoire», 2014, pp. 7-31.
Tarif Khalidi, *Islamic Historiography: The Histories of Masʿūdī*, State University of New York Press, New York, 1975.
Tarif Khalidi, «Reflections on Periodisation in Arabic Historiography», in *The Medieval History Journal*, 1, 1, 1998, pp. 107-124.
Théophile Obenga, *L'Égypte, la Grèce et l'école d'Alexandrie. Histoire interculturelle dans l'antiquité : Aux sources égyptiennes de la philosophie grecque*, l'Harmattan, Paris, 2005.
Timothy Venning, with an introduction by Jonathan Harris, *A Chronology of the Byzantine Empire*, Palgrave Macmillan, New York, 2006.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

العلاقات القطرية – السعودية (1974-2017) دراسة في التطورات السياسية

ا.م.د.علي جودة صبيح المالكي
جامعة البصرة/مركز دراسات البصرة والخليج

(الملخص)

شهد تاريخ العلاقات الدولية في القرن العشرين ومابعده صراعات وخلافات متعددة الاسباب والدوافع بين دول الشرق الاوسط بصورة عامة ودول الخليج العربي بخاصة ، وقد القت تلك الخلافات بظلالها على طبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية بين دول المنطقة الامر الذي استلزم الكثير من الجهد والوقت للتدخل من قبل الدول الاخرى والمنظمات الدولية ومنها الامم المتحدة لغرض القيام بمساع حثيثة لحل تلك النزاعات او على الاقل تحجيمهاالى الحد الادنى الذي يقلل تأثيرها على الدول ذات العلاقة ويمنع تمدد اثار الصراعات الى الدول المجاورة بما يهدد السلم والامن الدوليين، ومن تلك الصراعات والخلافات الخلاف بين المملكة العربية السعودية وقطر حول منطقة الخفوس الحدودية بين المملكة والامارات العربية المتحدة وقطر والذي تعود بداياته الى العام 1974.

أن الخلاف بين السعودية وقطر ليس الاول من نوعه وقد شهد التاريخ الحديث نزاعات متكررة بين الفينة والأخرى فكل دولة في العالم تمتلك رغبة في السيطرة والهيمنة على الدول الاخرى واستغلال ثرواتها بما يخدم مصالحها وخصوصاً ان قطر تمتلك ثروات طبيعية من الغاز والنفط مما يجعلها اغنى الدول على الأرض مما جعلها محل اطماع دول الجوار في مقدمتها المملكة العربية السعودية.

كما ان الخلاف القطري السعودي لا يقف عند حدود هيمنة دولة على أخرى أنما يمتد الخلاف الى وقوف السعودية بوجه الاستثمار الاقتصادي لدولة قطر حيث تشكل السعودية عائقاً عميقاً بوجه التصدير القطري. لذلك عملت دولة قطر على ضرورة التخلص من التبعية السعودية وتأسيس سياسة خارجية مستقلة عن الركب الخليجي وعملت على توسيع علاقاتها الدولية بشكل عام، كما ان قيام أربع دول من ضمنها السعودية بقطع علاقاتها مع دولة قطر ومن جميع الطرق سواء الطرق البرية أو البحرية او الجوية وما تبع هذه المقاطعة من موجة قوية من حملات إعلامية تستهدف الى قطع العلاقات القطرية - الخليجية.

الكلمات المفتاحية: السعودية –قطر- النفط- الخلاف- السياسة- الاسلامية

Summary)
(

Center for Basra /Albasrah university and Gulf
A /Qatari-Saudi relations (1974-2017) study of political developments
Research submitted by. Dr. Ali Gouda Subeih Al-Maliki
To the Third International Conference on the Humanities and Social Sciences of the Ninth Union of the International Union of Historians, held under the title (Readings in History, Culture, Society, and the

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

The dispute between Saudi Arabia and Qatar is not the first of its kind. Modern history has witnessed repeated disputes from time to time. Every country in the world has a desire to control and dominate other countries and exploit their wealth in a way that serves its interests, especially since Qatar possesses natural resources of gas and oil, which makes it the richest country on Earth. Which made it the subject of the ambitions of neighboring countries, led by the Kingdom of Saudi Arabia. Also, the Qatari-Saudi dispute does not stop at the limits of one country's hegemony over another, but rather extends to Saudi Arabia's standing in the way of economic investment in the State of Qatar, as Saudi Arabia represents a profound obstacle to Qatari exports. Therefore, the State of Qatar worked on the necessity of getting rid of Saudi dependency and establishing a foreign policy independent of the Gulf ranks, and it worked to expand its international relations in general.

Human Sciences) in Sharjah / February 2024

The history of international relations in the twentieth century and beyond witnessed conflicts and disagreements with multiple causes and motives between the countries of the Middle East in general and the Arab Gulf countries in particular. These disagreements cast a shadow on the nature of political and economic relations between the countries of the region, which required a lot of effort and time for intervention by other countries and organizations. International organizations, including the United Nations, for the purpose of making diligent efforts to resolve these conflicts, or at least reduce them to the minimum that reduces their impact on the countries concerned and prevents the spread of the effects of conflicts to neighboring countries, which threatens international peace and security. Among these conflicts and disputes is the dispute between the Kingdom of Saudi Arabia and Qatar over the Al-Khufus border area between the Kingdom, the United Arab Emirates and Qatar, which dates back to the year 1974.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

المقدمة

شهد تاريخ العلاقات الدولية في القرن العشرين ومابعده صراعات وخلافات متعددة الاسباب والدوافع بين دول الشرق الاوسط بصورة عامة ودول الخليج العربي بخاصة ، وقد القت تلك الخلافات بظلالها على طبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية بين دول المنطقة الامر الذي استلزم الكثير من الجهد والوقت للتدخل من قبل الدول الاخرى والمنظمات الدولية ومنها الامم المتحدة لغرض القيام بمساع حثيثة لحل تلك النزاعات او على الاقل تحجيمهاالى الحد الادنى الذي يقلل تأثيرها على الدول ذات العلاقة ويمنع تمدد اثار الصراعات الى الدول المجاورة بما يهدد السلم والامن الدوليين، ومن تلك الصراعات والخلافات ،الخلاف بين المملكة العربية السعودية وقطر حول منطقة الخفوس الحدودية بين المملكة والامارات العربية المتحدة وقطر والذي تعود بداياته الى العام 1974.

أن الخلاف بين السعودية وقطر ليس الاول من نوعه وقد شهد التاريخ الحديث نزاعات متكررة بين الفينة والأخرى فكل دولة في العالم تمتلك رغبة في السيطرة والهيمنة على الدول الاخرى واستغلال ثرواتها بما يخدم مصالحها وخصوصاً ان قطر تمتلك ثروات طبيعية من الغاز والنفط مما يجعلها اغنى الدول على الأرض مما جعلها محل اطماع دول الجوار في مقدمتها المملكة العربية السعودية.

كما ان الخلاف القطري السعودي لا يقف عند حدود هيمنة دولة على أخرى أنما يمتد الخلاف الى وقوف السعودية بوجه الاستثمار الاقتصادي لدولة قطر حيث تشكل السعودية عائقاً عميقاً بوجه التصدير القطري. لذلك عملت دولة قطر على ضرورة التخلص من التبعية السعودية وتأسيس سياسة خارجية مستقلة عن الركب الخليجي وعملت على توسيع علاقاتها الدولية بشكل عام، كما ان قيام أربع دول من ضمنها السعودية بقطع علاقاتها مع دولة قطر ومن جميع الطرق سواء الطرق البرية أو البحرية او الجوية وما تبع هذه المقاطعة من موجة قوية من حملات إعلامية تستهدف الى قطع العلاقات القطرية - الخليجية.

أهمية البحث

ان ما تبديه السعودية من انها بذلت جهوداً كبيرة للتواصل مع دولة قطر على كافة المستويات بهدف الاتفاق على مسار نهج يكفل السير ضمن اطار سياسة موحدة لدول مجلس التعاون الخليجي تقوم على الأسس الواردة في النظام الأساسي لمجلس التعاون وفي ضل الاتفاقيات الموقعة بينهما والتي تكفل عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأية من دول المجلس سواء بشكل مباشر أو غير مباشر الا من قبيل ذر الرماد في العيون لتختفي نواياها بفرض الوصايا السعودية على دول الخليج في جميع المجالات.

مشكلة البحث

أن القادة في كل من قطر والسعودية يحاولون السيطرة على الخليج وقيادته من خلال مجلس التعاون الخليجي التي لم تخف قطر شعورها بالظلم لعدم تولي أحد مواطنيها قيادة المجلس في ضل معارضة حقيقية من قبل السعودية لأي دور محوري رئيسي- لقطر ليس في مجلس التعاون الخليجي فقط أنما في العالم تجد من خلال ما أوردناه من رغبة حقيقية للقطرين في السيطرة على مجلس التعاون الخليجي والانطلاق من خلاله الى الانفتاح على السياسة العالمية وبالتالي تحقيق الحلم القطري في أن تصبح قطر دولة ذات دور محوري ورئيسي في العالم.

هيكلية البحث

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

تم تقسيم البحث الى مقدمة والمبحث الأول والذي تحدثت فيه عن طبيعة الصراع القطري السعودي خلال الفترة الممتدة ١٩٧٤-٢٠١٤.

والمبحث الثاني العوامل المؤثرة في العلاقات القطرية السعودية وفيه المطلب الأول: العوامل الداخلية والمطلب الثاني: العوامل الخارجية.

اما المبحث الثالث فهو يتحدث عن ازمة قطع العلاقات مع قطر خلال السنة الأخيرة ٢٠١٧.

المبحث الأول

طبيعة الصراع في العلاقات القطرية - السعودية (١٩٧٤ – ٢٠١٤)

تعود التوترات بين دولة قطر - المملكة العربية السعودية الى عقود ولكن هذه بعض النقاط البارزة:

١. تثور خلافات بين قطر والسعودية بشأن قطعة من الأرض التي منحتها دولة الأمارات للسعودية في أطار الاتفاقية التي تم التوصل اليها عام ١٩٧٤ والذي حرم قطر من الوصول الى الامارات الخليجية براً. لقد تسببت منطقة الخفوس التي تعتبر منطقة مشبعة بمرابض النفط بأثارة المشاكل بين قطر والسعودية ولوقوع حوادث حدودية في تشرين الثاني ١٩٩٢. وخلال الفترة الواقعة بين اذار وتشرين الأول 1994 مما اسفر عن مقتل عدد من القطرين، طرح الجانبان روايتين مختلفتين فيما يتعلق بالحادث فقد اتهمت قطر السعودية بمهاجمة موقعها الحدودية، في حين أن السعودية زعمت أن الأمر يتعلق باقتتال قبيلتين بدويتين داخل الأراضي السعودية وفي ردت فعلها انسحبت قطر من الاتفاقية التي تم توقيعها ١٩٦٥ والتي تنظم الحدود بينها وبين السعودية. كما أعادة الى اراضيها جنودها المائتين الذين يعملون ضمن القوات المشتركة في الكويت كما سادت شائعات تفيد أنها تعتزم الانسحاب من المجلس كله على ارضية تلك الخلافات[1].

ثمة حدثين هامين غيرا تفكير القيادة القطرية الى تغير سياستها المتبعة بانطواء على الذات وخاصة ولي العهد آنذاك حمد بن خليفة:

اولهما:- الاجتياح العراقي للكويت عام ١٩٩٠ وفشل المنظومة الخليجية بقيادة السعودية في حماية الكويت وصد الاجتياح مما دفعها لطلب الحماية الغربية وهذا اظهر بشكل لا لبس فيه ان السعودية لا يمكنها حماية نفسها. اذن ما هي فرص قدرتها على حماية قطر وغيرها من دول الخليج.

ثانياً : - يتمثل باهتزاز العلاقة بين قطر والسعودية بين تحرشات حدودية عامي ١٩٩٢- ١٩٩٤ على اثرها اجتاحت القوات السعودية مخفر الخفوس الحدودي.

٢. وقد ادت تلك الأحداث المذكورة الى دفع قطر للأعراب عن ضيقها الشديد من الهيمنة السعودية على المجلس اما السعودية فقد استغلت تلك الأحداث كي تثبت لقطر عزمها عن القيام بمناورات سياسية او أبداء الاستقلال عن المجلس، لقد كان هذا الخلاف بين قطر والسعودية بمثابة احد الخلافات الكثيرة بين الدولتين حيث ان الدولتين مختلفتان ايضا فيما يتعلق بالتواجد الأمريكي في قطر وحل تحسين علاقاتها مع ايران وخطوات التطبيع التي اتخذتها قطر حينه تجاه اسرائيل[2].

3. وقعت جميع الدول الأعضاء في المجلس خلال مؤتمر المجلس ١٩٩٢ على بيان ابو ظبي والذي كان في حقيقة

---

[1] دول الخليج بعيون اسرائيلية وملفات ساخنة -4- إصدار دار الجليل للنشر والابحاث الفلسطينية ص١٤٣، ٢٠٠٣-٢٠١٢م.

[2] منذر احمد زكي شراب السياسة الخارجية القطرية في ضل التحولات السياسية العربية، قدمت هذه الدراسة لاستكمال دراسة الماجستير في دراسات الشرق الأوسط، جامعة الأزهر ، ١٤٣٥ هـ ٢٠١٤٠ م ص ١٧.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الأمر بمثابة اعلان نوايا تؤكد ضرورة حل النزاع الإقليمي بالطرق السلمية وعدم شرعية السيطرة على الأراضي. ورغم ذلك لم يؤدي ذلك الى تحسين العلاقات بين المملكة العربية السعودية وقطر بل ان الأوضاع قد تفاقمت في أعقاب التقارب الذي طرأ مؤخراً على علاقاتها مع ايران والعراق الأمر الذي وضع الكثير من الصعوبات على طريق المجلس ولم توافق السعودية وقطر لفترة طويلة على تعيين ممثل من قبلها لمنصب سكرتير عام للمجلس وهاجمت كل دولة منهما الأخرى عبر وسائل الاعلام كما قامت قطر بتعليق نشاطاتها في المجلس المرحلة ما[1].

4. كما ان لطبيعة الصراع القطري - السعودي تأتي من منطلقات السعي للهيمنة، فالسعودية كانت ولا زالت غير مستعدة أن تتقاسم الريادة والدور الرئيس في مجلس التعاون الخليجي، وكوكيل الهامش في جميع القرارات الاقليمية والعربية بحيث لم يكن لها أي دور حقيقي في ديناميكية معتمد للمنطقة اقليمياً وعربياً في ساحة التوازنات السياسية والاقتصادية العالمية وهو مالم ترتضيه الدوحة خصوصاً وانها لعقود حكم ما قبل ١٩٩٥ كانت الى حد كبير لاعباً على السياسة والاقتصاد الاقليمي والعربي[2].

الحالة الهامشية هذه كانت محركا اساسياً لعقلية التغير القطرية والتي رأت في نفسها انها قادرة على التأثير ولعب دور المنافس للقوى الاقليمية وذلك يتحرك كما يقال عنه الشيخ حمد بن جاسم رئيس الوزراء ووزير الخارجية السابق والذي يعتبره الكثيرون مهندس التوتر السعودي - القطري والذي انتهز القوة الاقتصادية لدولته خصوصا بعد البدء بتصديره الغاز بشكل تجاري اقول انها وجدت في ذاتها انها قادرة على لعب دور البديل المناسب لدور الوكيل الجديد للمصالح الغربية في المنطقة خصوصاً مع تحررها من الكثير من المعوقات الفكرية والسياسية التي تعيق التحرك السعودي والتي كانت لعقود هاجساً غربياً ومانعاً حقيقياً لقيام السعودية بلعب دور الوسيط الحقيقي للقضايا العربية الشائكة وعلى رأسها القضية الفلسطينية حيث كان أول دولة خليجية تتبادل التمثيل التجاري مع الكيان الإسرائيلي[3].

ان المنافسة بين الدولتين كانت لها مسارح عديدة تتالت ضمن فتح قطر اراضيها للقوات الأمريكية كقاعدة عسكرية لحرب اسقاط النظام البعثي في العراق الى قيامها بدور الوسيط العربي والاسلامي عبر احتضان معاهدة الصلح بين حركتي حماس وفتح الفلسطينية بعد ان فشلت اتفاقية مكة قبلها ببعض أشهر وهو الدور الذي اظهر السعودية باعتبارها عاجزة عن لعب دورها التاريخي كوسيط قادر على الإنجاز في القضايا العربية والاسلامية المحلة الى صرع الطرفين في الهيمنة على دول الربيع[4].

وبعد تنازل الأب الشيخ حمد بن خليفة للحكم مؤخراً لأبنه تميم تخلص صراع الهيمنة الحقيقي في مسألة من سيسيطر على مصر باعتبارها الامتداد العربي والاسلامي للخليج فتسيدت الدوحة المجهودات الفكرية والسياسية والاقتصادية لمرحلة ما بعد سقوط الرئيس مبارك عبر دعمها المعلن الجماعة الاخوان المسلمين واحتضانها لأبرز رموزها وحمل لواء التسيس الاسلامي للدولة العربية في توجه يعزوه البعض لتفلفل اتباع هذه الجماعة في الداخل القطري وهو احد الاسباب الاساسية التي اوصلت

---

[1] دول الخليج بعيون اسرائيلية وملفات ساخنة، مصدر سبق ذكره.

[2] د. مُحَمَّد مصطفى شحاته، الحدود السعودية مع دول الخليج، مجلة السياسة الاستقرار مجلة ابواب الفصلية، دار الساقي، بيروت، عنده ١٠ ، ٢٠١٣ ص ٧٩.

[3] مشاري عبد الرحمن النعيمي، الحدود السياسية السعودية، البحث عن الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بأهرام، القاهرة ٢٠١٢، ص٥١.

[4] مشاري عبد الرحمن النعيمي، المصدر السابق، ص٥٢.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الخلاف السعودي الاخير لباب شبه مسدود وان السعودية منذ الاطاحة بنظام مبارك كانت تسعى لحكم اكثر اعتدالاً وانفتاحاً باتجاه العالم في مصر- وهو ما دعاها لدعم ثورة السيسي- الاخيرة والتي شهدت عودة الدور السعودي الفاعل في الداخل المصري الامر الذي اثار حفيظة وضب الدوحة كما يراه المراقبون[1]، وبعد احباط الانقلاب العسكري في قطر ١٩٩٥ كشفت الحكومة القطرية عن تفاصيل تتعلق بتورط السعودية في الانقلاب بالتعاون مع بعض افراد قبيلة مرة وتهجيرهم، وادى الى اسقاط جنسية المئات من قبيلة آل مرة وتهجيرهم فترات متقطعة من الهدوء بين الدوحة والرياض[2].

وفي عام ١٩٩٦ اطلقت قطر قناة الجزيرة الفضائية وقد اثارت الجزيرة قلق القادة العرب من خلال تقاريرها باللغة العربية حول الخلافات الداخلية والاقليمية التي تم الكشف عنها سابقاً وقد صدمت بعض المشاهدين من خلال استضافة متحدثين إسرائيليين على الهواء عندما غطت الصراع الاسرائيلي الفلسطيني وقد استفزت قطر السعوديين مرة اخرى لأنها اقامت علاقات مع ايران والتي تتقاسم معها ضخامة الموارد من الغاز الطبيعي حيث يمتد حقل الغاز الى المياه الايرانية والذي يعرف باسم حقل «بارس» الجنوبي وتعتبر قطر هي أكبر مصدر للغاز الطبيعي المسال في العالم حتى الان[3]، وكانت قطر تسعى ايضاً في أوائل التسعينات من القرن الماضي الى تصدير امتدادات امتدادات غازها عن طريق أنبوب الى البحرين والى الكويت والى الامارات العربية المتحدة لكن السعودية كانت تشكل عائقاً عميقاً فكانت هذه ضربة لصناعة الغاز القطرية حديثة العهد اجبرت قطر على التطلع الى ما هو ابعد والخوض في الغاز الطبيعي المسال LNG» ادت الى علاقات اكثر انقساما، وفي الوقت التي لم تعترض فيه الولايات المتحدة على انقلاب الشيخ حمد على والده لقي معارضة قوية من السعودية ومصر وبعد عام واحد كشف عن انقلاب عسكري ضد القيادة الجديدة واتهمت القاهرة والرياض بتنسيقه ودفع الأمير الجديد الى تبني سياسات حذرة وعدوانية ضد السعوديين والمصرين فبدا جلياً للشيخ حمد ضرورة العمل على التخلص من التبعية السعودية وتأسيس سياسة خارجية مستقلة عن الركب الخليجي وتوسيع علاقاتها الدولية بشكل عام[4].

ورغم أن دولة قطر اهتمت باتفاقيات الدفاعية الغربية ولكنها سعت لبناء قوة دفاعية ذاتية ورأت ان أمن الخليج لن يتحقق الا من خلال ثلاث ابعاد الاول "البعد الخليجي" في ازالة الخلافات بين الدول الخليجية وانشاء قوة دفاعية عن طريق مجلس التعاون لدول الخليج العربية اما البعد الثاني اتفاقية التعاون العربي المشترك وميثاق دمشق ، والبعد الثالث "البعد الاقليمي" عدم استبعاد ايران التي أكدت دولة قطر انها قوة لابد من الاعتراف بها في المنطقة مثل بقية الدول وان يكون لها مشروعات الأمن الخليج[5].

في البداية اتجهت قطر نحو تصغير مشكلاتها مع جيرانها الخليجين معتمد في هذا على النموذج التركي الذي ارتكز عليه حزب العدالة والتنمية كما نضر- لها وزير الخارجية التركي احمد داود اوغلو في سياستها الخارجية الجديدة في المنطقة خلال العقد الماضي تقريبا حيث سعت قطر لحل

---

(1) المصدر نفسه، ص52.

(2) فؤاد ابراهيم:http://www.al.akhbar./com/hode/20204

(3) https://arabic.sputniknews.com/arab-world/201706171024647867

(4) فؤاد ابراهيم ، مصدر سابق، ص١٧.

(5) د.مفيد الزيدي، تاريخ قطر المعاصر : ١٩١٣، ٢٠٠٨ دار المناهج للنشر- والتوزيع عمان، الأردن، شارع الملك حسين، ١٤٣١ هـ ٢٠١٠م، ص ٨٨.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

نزاعاتها الحدودية طويلة الأمد مع كل من البحرين والسعودية حيث تم حل الخلاف مع البحرين من خلال التحكيم الدولي امام محكمة العدل الدولية والتي صدر حكمها ٢٠٠١ ملزماً الطرفين الذي قبلاه. كما حل الخلاف الحدودي مع السعودية بعد توقيع الطرفين اتفاقية الحدود بينهما ٢٠٠١ بوساطة مصرية شملت حل المشكلات الحدودية البرية والبحرية بين الطرفين[1].

وفي عام ٢٠٠٢ بثت قناة الجزيرة برنامجا تلفزيونيا عن تاريخ السعودية باستضافة شخصيات سعودية وخليجية وجهت انتقادات صريحة للملك عبد العزيز فأدى الى سحب السفير السعودي في الدوحة حمد صالح الطعيمي مدة ست سنوات[2]، وفي ضل الخلاف العربي - العربي كانت البيئة العربية على نحو خاص تعاني مخاضاً صعباً ومتعثراً للتحول من القبيلة الى الدولة تحت وطأة نزاعات لا تقل ضراوة حول الدور والقيادة والهيمنة بحيث تحاول الدول الصغيرة أن تلعب دوراً نهاراً للمنافسات الجارية من حولها وقد عبرت عنه مساجلات ومباحثات الاتحاد التساعي الذي ورثه اتحاد دولة الامارات العربية المتحدة بعد خروج كل من قطر والبحرين للخلاف حول العاصمة ودولة المقر ونزاع القيادة بين مثلث نزاع علاقات السيطرة ايران والعراق والسعودية عندما رفعت السعودية شعار الجزروية والعراق الخليجية للدفاع عن الحدود الشرقية للوطن العربي وقد تشبثت ايران "فارسية الخليج" تاريخياً ونزاع الهيمنة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في حين برزت العربية السعودية من هذا الصراع المحموم بالتفوق المحدود من خلال وضيفة الوسيط الالزامي في منطقة هي عربية وإسلامية والربط مع الدور الأمريكي المطلوب بموجب عملية مقايضة سياسية تقضي الى دعم الانظمة الوراثية المحافظة ضد محاولات الراديكالية كافة في الداخل والخارج مقابل الحفاظ على تدفق النفط بأسعار مقبولة لأمريكا والدول الأوربية[3].

وبعد ثلاثة ايام من ظهور رسالة صالح العوفي التي اذيعت يوم الخميس المصادف السابع عشر من اذار ٢٠٠5 جرت عملية انتحارية في قطر يوم السبت المصادف التاسع عشر من نفس الشهر والسنة استهدفت مسرحاً بالدوحة واسفر عن مقتل بريطاني ويأتي ذلك فيما اعلنت الداخلية القطرية في بيان ان منفذ الهجوم مصري يدعى احمد عبد الله، وهو ايضا مالك السيارة التي استخدمت في الهجوم واوضحت مصادر أن منفذ الاعتداء مهندس كمبيوتر يبلغ من العمر ٢٩ سنة ويعمل في مؤسسة قطر للبترول وانه استقر في الدوحة في بداية التسعينات من القرن المنصرم ووصفته المصادر انه كان متديناً لكن ليس متطرفاً واكد قياديون في التيارات الاسلامية ان انتحاري الدوحة لم يتصرف بمفرده على الارجح وانما بمساعدة قطريين ساعده على الاقل في الحصول على المتفجرات وربط هؤلاء بين التسجيل الصوتي الأخير لصالح العوفي احد القياديين المتشددين في السعودية والخليج والعملية الانتحارية في قطر وقال قيادي من تلك التيارات أن الفترة الزمنية من رسالة العوفي والتفجير تدل على جاهزية افراد التنظيم ان قطر حقل خصب لعمليات مقبلة، هناك ترابط بين ما يجري في السعودية والدول الأخرى بمعنى أن عند التضييق على التنظيم في السعودية لابد ان يتحرك في المناطق الأخرى[4].

---

[1] المصدر نفسه.

[2] المصدر نفسه.

[3] باسيل يوسف بمك ومجموعة مؤلفين الدستور في الوطن العربي عوامل الثبات واسس التغير، مركز دراسات الوحدة العربية، (سلسلة كتب المستقبل، ١٤٧، ص 92 ط1، بيروت كانون الثاني / يناير، ٢٠٠٦.

[4] مُحَمَّد الشافعي، صحيفة الشرق الأوسط "لندن"، العدد ١٦١٠، عام٢٠٠٥/3/21، ص٢.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

وقد أعلنت قطر والسعودية في كانون الأول ٢٠٠٨ انهما توصلتا الى سلسلة من الاتفاقيات في قضايا مختلفة وعلى رأسها النزاع حول ترسيم الحدود البرية والبحرية وقام ممثلو الدولتين بالتوقيع عليها في آذار ٢٠٠٩ في مبنى هيئة الأمم المتحدة في نيويورك ما منح الاتفاقية صيغة دولية أخرى وقد أدى هذا الاتفاق الى اثارة مشكلة مع اتحاد الامارات الي قالت ان حقوقها في المنطقة الواقعة بين قطر والسعودية انتهكت في الاتفاقية المذكورة[1]، ومن هنا كانت الدعوة القطرية لانعقاد مؤتمر قمة طارئه عربية في الدوحة للخروج بموقف عربي موحد لوقف العدوان الاسرائيلي ورفع الحصار وسياسات التجويع عن سكان غزة الا ان هذه المعارضة واجهت معارضة عدة الانظمة العربية التي رفضت حضورها واعطت المسوغات الكافية لإسرائيل في تنفيذ اهدافها العسكرية والسياسية بالتحديد ومن بينها القضاء على البنية العسكرية والسياسية لحركة حماس في القطاع وتدمير بنيتها التحتية وهو في الواقع الهدف المعلن لكل من عارض انعقاد القمة التي عقدت في الدوحة يوم الجمعة الموافق ١٦ كانون الثاني / يناير ٢٠٠٩ بدون ان يكتمل نصابها القانوني وسط اعتراض قوي من السعودية ومصر فقد أصرت القاهرة فيما بعد على استبعاد قطر من القمة الرباعية التي انعقدت في الرياض في الحادي عشر من آذار - مارس (٢٠٠٩)[2].

وكان التنسيق الخليجي - الخليجي ضد بعض الثورات الأكثر وضوحاً حيث بدأت بعض العلاقات المصرية التونسية مع دول الخليج تشهد بعض التأزم وفي المقابل اخذت الادوار السعودية والقطرية في التنسيق بشأن مساعدة ثورة ليبيا ومساندة التدخل العسكري ومؤتمرات اصدقاء ليبيا قبل وبعد التدخل العسكري وتبلورت المساندة القطرية والسعودية ايضا للثورة في سوريا وخاصة من حيث الموافقة في بغداد العربية على تسليح الثوار وعلى المبادرة العربية من قبل وثم المبادرة العربية الدولية ويرجع الأمر بالطبع لوقوف التحالف بين ايران - حزب الله - نظام بشار ضد المصالح السعودية بصفة عامة[3].

وكانت الحركات العربية التي انطلق عقالها ٢٠١٠ من تونس بداية مرحلة جديدة من استراتيجية النفوذ الاقليمي التي انتهجها الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني منذ تسلمه الحكم واذ سارعت قطر الى مساندة المنتفضين عن انظمتهم فأنها استغلت الفرصة التي سنحت لها جراء ضعف البلدان العربية الكبرى "السعودية، مصر، الجزائر ، العراق، سوريا"، واستغلالها لأدواتها الدبلوماسية والاعلامية والاقتصادية افضل استغلال كمدافعة عن حق الشعوب العربية في تقرير مصيرها[4].

هناك معطيات هما الأخطر في ملف العلاقة القطرية السعودية:

الأول: قطري عبارة عن تسريب مكالمة هاتفية بين وزير الخارجية القطري السابق حمد بن جاسم مع الرئيس الليبي السابق معمر القذافي في كانون الثاني ٢٠١١ حول فكرة تقيم السعودية حيث تحدث الوزير السابق حمد عن خطة انهاء السعودية على يده وان قطر موجودة وستدخل يوماً الى القطيف والشرقية وان الملك عبد الله مسكين مجرد واجهة وان الحاكم الفعلي هو سعود الفيصل وانه منته وستقسم السعودية الى مناطق ووصف جاسم النظام

---

[1] سامي ريفيل، قطر واسرائيل وملف العلاقات السرية، مكتبة جزيرة الورد، ترجمة مُحَمَّد البحيري، ط1، ٢٠١١، القاهرة ، ص ٢٧٨.

[2] دور السياسة الخارجية القطرية في ضل الازمات العربية والاقليمية، والاشكاليات والالمامات ، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر- سلسلة المدرس المساعدة اثير ناظم عبد الواحد، العدد الثالث والأربعون، ص ١٢٦ ، الوعي الحضاري، ١٤٣٥-٢٠١٤، ص29. دراسات دولية.

[3] د.نادية محمود مصطفى، الثورات العربية في النظام الدولي وخريطة الملامح

[4] المصدر نفسه..

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الفعلي في السعودية بأنه نظام هرم وكشف عن ان امريكا وبريطانيا طلبتا منه تقريراً عن الوضع في السعودية واعربت عن نيتها في اطاحت النظام الملكي هناك الا انهم يتخوفون عن البديل الذي سيكون اسلامياً غير مرغوب فيه الثاني : المعطى الثاني هو التصريح الاستفزازي الذي اطلقه رئيس الاستخبارات العامة في السعودية بندر بن سلطان حيث وصف قطر بأنها ٣٠٠ شخص وقناة الجزيرة وهذا لا يشكل بلداً وجاء ذلك في وقت قررت فيه السعودية انتزاع الملف السوري من القطرين والاتراك معاً ثم جاء تخطيط وتحويل الانقلاب العسكري في مصر- بغطاء شعبي في ٣٠ حزيران / يونيو ٢٠١٣ ليسدد ضربة قوية لحليف قطر اي الاخوان ودنو الحكم الجديد في مصر- في خلافات مع قطر على خلفية وقوفها مع الرئيس المخلوع مُحَمَّد مرسي وحكم الاخوان عموماً[1].

وفي عام ٢٠١٤ علقت دول الخليج بقيادة المملكة العربية السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع قطر لعدة اشهر وهددت بالأسوء ولان بعد زيارة قام بها الرئيس ترامب الى الرياض في الشهر الماضي فأنهم فعلوا الاسوء فهم يطالبون بتنازلات اكبر بكثير من قطر اكثر ما فعلو في الماضي مثل اغلاق قناة الجزيرة وطرد قادة حماس مقابل استعادة الخلافات[2].

المبحث الثاني / العوامل المؤثرة في العلاقات القطرية - السعودية

المطلب الأول: العوامل الداخلية

مما لا شك فيه ان هناك عوامل أساسية على الصعيد الداخلي تؤثر على عملية صنع القرار السياسي الخارجي لأية دولة وتنعكس بالتالية تلك القرارات على طبيعة العلاقات الخارجية مع بيئتها الاقليمية الدولية ولا يمكن استثناء كل من قطر والسعودية من ذلك فلقت لعبت عوامل داخلية عديدة في رسم وتحديد شكل العلاقة التي ربطت بين البلدين لفترة طويلة وطبقاً لما تقتضيه المصلحة القومية لكل منها وابرز هذه العوامل:

1- العامل الجغرافي: تقوم العلاقات القطرية - السعودية على مرتكزات عدة لعل منها « الموقع الجغرافي» لكلا البلدين ضمن منطقة اقليمية واحدة في منطقة الخليج العربي التي عدت ساحة التنافس الاقليمي بينهما وعلى مستويات عدة[3].

أ-عامل المساحة: تشكل أرض قطر شبة جزيرة على شكل ابهام اليد يمتد شمالاً داخل الخليج العربي على الساحل الغربي وعاصمتها الدوحة من اشهر مدنها الزيارة ودخان والريان والوكرة ويبلغ طول شبة الجزيرة القطرية ١٨٥ ميل مربع وبعرض ٨٥ كليو متر وتمتد لتغطي مساحة قدرها ٢٢٠٠٠ ميل مربع وتعتبر ذات موقع ممتاز على الخليج العربي وتحدها من الجهة الجنوب المملكة العربية السعودية من أكبر دول الخليج مساحة وتحتل المرتبة الثانية عشر في ترتيب دول العالم من حيث أكبر المساحة[4].

تتمتع المملكة العربية السعودية بموقع جغرافي متميز اذ تقع في قلب الجزيرة العربية وتطل على كل الخليج العربي من الشرق، والبحر الاحمر من الغرب كما انها الدولة الوحيدة في النظام الاقليمي الخليجي التي لها علاقات حدودية مع كل دول المنطقة فلها حدود برية مع العراق والكويت والامارات وقطر وعمان ومع البحرين[5] عبر جسر- السعودية - البحرين وبسبب محاولات السعودية استغلالها

---

[1] د.نادية محمود مصطفى ، المصدر السابق.

[2] المصدر نفسه،.

[3] عبد المعطي احمد عمران، الأهمية السياسية للموقف الجغرافي مع التطبيق على المملكة العربية السعودية ، مجلة الدبلوماسي ، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، العدد (٢)، ١٩٨٢، ص١٠٣.

[4] منذر أحمد زكي شراب ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦.

[5] منصور بن عبد الله المنصورة جسر السعودية والبحرين، مجلة الدبلوماسي ، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، العدد٢، ١٩٨٢٠ ص ١٠٦.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

لهذه الميزة ومن اجل تأمين الهدف الاستراتيجي القديم في لعب دور القوى الاقليمية المهيمنة في منطقة الخليج العربي[1]. كما دخلت المملكة في نزاعات حدودية مع اغلب دول المنطقة فهناك النزاع السعودي - الكويتي والنزاع السعودي - الاماراتي والنزاع السعودي البحريني[2] الا ان اخطر هذه النزاعات الحدودية هو النزاع السعودي - القطري حول منطقة خفوس الذي وصل مستوى المواجهة العسكرية بين البلدين عام ١٩٩٢.

ب- العامل الديني: يعتبر العامل الديني واحداً من ابرز العوامل التي اثرت على مسار العلاقات القطرية - السعودية اذ ان التماثل الديني على الصعيد الداخلي بين القطر والسعودية اذ ان كلا النظامين يطرحان نموذجاً معين للدولة الاسلامية ويشتركان في تمسكها بالقيم الاسلامية العامة وفي كون الشريعة الاسلامية القانون الاساس للدولة ولعلماء الدين في كليهما دور بارز في عملية صنع القرار السياسي[3].

ج - العامل العسكري: يعد العامل من ابرز العوامل المؤثرة في العلاقات الدولية بشكل عام وعلى مجمل السياسة الخارجية لأية دولة ومع علاقاتها مع ما يحيط بها من دول ضمن بيئتها الاقليمية بشكل خاص اذ تسعى الى تعزيز تأثيرها في السياسات الدولية بإظهار مكانتها العسكرية[4].

ضمن شبه المؤكد أن السياسة العسكرية لأية دولة لا يمكن لها أن تنبع من فراغ وانما هي نتاج المحيط الذي يؤثر في اهدافها ومصالحها بشكل مباشر وبذلك وجدت كل من الدولتين في الاتفاق العسكري وسيلة مثلى للتنافس واثبات المكانة في المنطقة واداة من أدوات عملية التوازن عوضاً عن مصادر القوى الأخرى وخاصة على الجانب السعودي الذي حرص على امتلاك نظم تسليح وبنية عسكرية تحتية قوية لموازنة التفوق العسكري القطري في القوة البشرية العاملة في القوات المسلحة.

د -العامل الاقتصادي: لقد اعتبر العامل الاقتصادي واحداً من أبرز المتغيرات على الصعيد الداخلي التي أثرت على طبيعة العلاقات القطرية - السعودية عبر فترات مختلفة ولأسباب عدة :-

السبب الاول : صفة الاحادية الاقتصادية لكلا الطرفين اذ ان كلاً منهما يعتمد بشكل رئيس على عوائد الصادرات النفطية خصوصاً وانهما يقعان ضمن منطقة الخليج العربي المنطقة الاغنى في العالم بالنفط التي تضم دولاً ذات احتياطات نفطية هائلة السعودية ، قطر ، العراق[5].

فقد قدر حجم الاحتياط النفطي حسب اخر الاحصائيات ٢٠٠٣ في المملكة العربية السعودية ما يقارب ٢٦٢ مليار برميل كما اشارت تقارير أخرى الى ان كل من قطر وإيران والامارات والعراق والكويت ستوفر بمجموعها حوالي ٤٢% من الطلب العالمي على النفط عام ٢٠٢٠[6].وبالتالي فأن هذه الاقطار ذات الطاقات الاحتياطية الهائلة كانت وما تزال الاكثر اهتماماً بتوفير

---

[1] ريتشارد سكوفيلد، دول الخليج ، النزاعات حول الحدود، في مجموعة مؤلفين من الخليج في القرن الحادي عشر- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي ١٩٩٨، ص١٩٧.

[2] ناجي ابي عاد، مشيل بريتون، النزاع وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط الأهلية للطباعة والنشر، عمان ١٩٩٩ ، ص ١٥٦-١٦١.

[3] صالح المانع، البعد الايدلوجي في العلاقات السعودية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابوظبي ١٩٩٨، ص ٢٢٧.

[4] كاظم حاتم نعمة ، مبادئ العلاقات الدولية ، شركة اياد للطباعة ، بغداد ١٩٨٧ ، ص ١١٨.

[5] عادل محمود مقهور، النفط والحرب أمريكا والمستطيل النفطي والعراق، مجلة متابعات الدولية، مركز الدراسات الدولية بغداد العدد١٠٣، 2003، ص4.

[6] عبد الخالق عبد الله، الولايات المتحدة ومعضلة الأمن في الخليج ، مجلة المستقبل العربي ، مركز الدراسات ، الوحدة العربية ، بيروت العدد ٢٩٩، ٢٠٠٤، ص ١٩.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

اسعار نفطية معتدلة للمحافظة على أسواقها العاملة وعلى المدى الطويل وعلى هذا الاساس وفي محاولة منها لوضع سياسة نفطية قوية ومن اجل التنسيق مع الدول المنتجة الأخرى على شكل أتحاد دولي لمنتجي النفط قامت بأنشاء منظمة الدول المصدر للنفط « الأوبك» في بغداد[1].

وكانت تلك الدول تهدف إلى حماية الأسعار النفطية بعد قيام شركات النفط العالمية بإعلان تخفيضها. ومن جانب واحد دونما تنسيق مسبق مع الدول المنتجة آنذاك (ايران - الكويت - السعودية) بتخفيض سعر النفط الفنزويلي بواقه ٥ سنتاً للبرميل الواحد انخفض على اثر ذلك سعر برميل النفط في الدول المنتجة الأخرى بواقع ١٨ سنتاً في الوقت الذي لم يتجاوز فيه سعر البرميل الدولارين فقط[2].وفي الواقع وعلى الرغم من ان منظمة «الأوبك » كانت احدى المجلات التعاون والتناسق الرئيسية كل من قطر والسعودية إلا أنها وفي الوقت نفسه كانت ساحة للتنافس بين الدولتين بشأن طبيعة الدور الذي تمارسه كل دولة داخل المنظمة اذ حاولت كلتا الدولتين لعب دور "الدولة القائدة للمنظمة" التي ترسم الرؤى البعيدة للمنظمة وتتولى زمام سياسة تعين الأسعار والسيطرة على الصدمات النفطية غير المتوقعة والمحافظة على المصالح العامة للدول المنتجة من وجهة نظرها[3].

العوامل الخارجية :-

1- العامل الاقليمي ويتفرع الى كل من :-

اولاً :- مجلس التعاون الخليجي العربي : تعود أولى خطوات أنشاء مجلس التعاون الخليجي لدول الخليج العربي الى عام (١٩٧٥) إثر دعوة وجهها الشيخ رئيس مجلس الوزراء الكويتي « سعد العبد الله سالم الصباح» آنذاك الى كل من السعودية والبحرين وقطر وعمان والامارات وحث الى تحرك سريع تتظافر من خلال جهود دول المنطقة للوصول الى وحدة دولهم العربية مستندين في ذلك الى جملة الروابط الدينية والتاريخية واللغوية المشتركة[4]. عقد ملوك وأمراء دول الخليج العربي اجتماع لهم في ٢٣ /ايار / مايو / ١٩٨١ واتخذوا قراراً تاريخياً وقعه الرؤساء في ابو ظبي وهي وثيقة قيام مجلس التعاون واقروا ورقة عمل تحدد العمل الخليجي المشترك وانشاؤا سبع لجان وزراية وصدر البيان الختامي ٢٦ ايار / مايو ١٩٨١ يحدد الوجه الخارجي للمجلس وجاء الهدف الاساس للمجلس:

1- تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بين الدول الاعضاء في جميع الميادين وصولاً للوحدة.

2- تعميق وتوثيق الروابط والصلات وأوجه التعاون القائمة بين شعوبها في مختلف المجالات.

3- وضع انظمة متماثلة في مختلف الميادين المالية والاقتصادية والتجارية والتعليمية والثقافية والصحية والاجتماعية والاعلامية والتشريعية والإدارية.

وقد حاول المجلس أن يتدخل لحل الخلافات العربية - العربية من رسالته وعدم اقتصار الأمر على الخلافات الخليجية - الخليجية فحسب ومنها ارسال وفد المجلس في البيان الختامي للقمة الرابعة في الدوحة في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٣ حيث مثل قطر الشيخ احمد بن سيف آل ثاني وزير الدولة للشؤون الخارجية بدولة قطر ووصل الى سوريا في مسعى للتعاون تونس والجزائر والجامعة العربية لوقف الاقتتال الجاري في الساحة الفلسطينية والوقوف

---

[1] وليم سي رامبي ، النفط في التسعينات ، سيطرة الخليج في فيبي مار ووليم لويس، امتطاء النمر وتحدي الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابوظبي ، ١٩٩٦، ص٦١.

سعد فتحي ، منظمة الأوبك الدور والافاق ، مجلة الحكمة بيت الحكمة، بغداد، العدد ١٨، ٢٠٠١، ص ١١.[2]

[3] عبد الخالق عبد الله،**المصدر السابق،ص20.**

[4] يحي حلمي رجب ، مجلس التعاون لدول الخليج العربي، رؤية مستقبلية دار العروبة للتوزيع والنشر، الكويت ١٩٣٨٠ ، ص٩٣.

صفاً واحداً خلف منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني وتم التوصل الى تسوية لإعادة الوفاق حول قشت الديبل وأعلنت التسوية في الرياض ١٩٨٦ وتم تشكيل لجنة من السعودية وعمان والامارات المراقبة التزام الطرفين في التسوية وشروطها. في حين اعلنت دولة قطر سحب قواتها العاملة ضمن قوات درع الجزيرة التابعة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية والتي يصل حجمها «٢٠٠» جندي يرابطون في حفر الباطن على الحدود الكويتية - السعودية في اعقاب ازمة الخليج (١٩٩٠-١٩٩١) واقامت دولة قطر ايضاً بإعلان مبادرة لتطبيع العلاقات بينها وبين العراق. وتوثيق علاقاتها مع ايران وكانت على وشك الانسحاب من مجلس التعاون لدول الخليج العربية[1].

ومن الطبيعي وكما هو الحال في كل التجمعات الاقليمية لعبت عدة عوامل بعضها داخلي والبعض الآخر خارجي دوراً رئيسياً في تشكيل المجلس فعلى الصعيد الداخلي كانت الحالة التماثل النسبي في انظمة الحكم أسرية وراثية والتجانس في اللغة والعادات والتقاليد والاهم من كل ذلك الموقع الاستراتيجي في منطقة تضم ثلثي احتياطي العالم من النفط بل وحتى التصور المشترك لطبيعة التهديدات الداخلية والخارجية وسبل مواجهتها أكبر الأثر في تشكيل المجلس[2].

تعتبر المملكة من أهم الاطراف المعنية بالأوضاع في الخليج العربي حيث تحكم سياستها تجاه المنطقة مجموعة من الاعتبارات :-

1- اهتمام المملكة بأن تحيط حدودها بمجموعة من النظم الصديقة والمتعاونة معها التي تجمعهم مصالح مشتركة.

2- تعتبر منطقة الخليج مجالاً حيوياً للسعودية باعتبارها الدولة الأم في الجزيرة العربية فضلاً عما يربطها بالمنطقة من صلات قبلية فأن عليها التزاماً أدبياً للدفاع عن المنطقة.

3- رغبة السعودية في قيادة النشاط الاقتصادي المشترك بينها وبين دول المنطقة متمثلاً في الثروة البترولية وذلك وفقاً لمعتقدات السعودية الخاصة بأبعادها البترول عن مجالات وعوامل التوتر إقليميا وعالمياً وقد نجحت المملكة في توطيد علاقاتها ومكانتها لدى باقي دول مجلس التعاون الخليجي وتتمثل ابعاد تلك العلاقات في الاتي :-

أ- إظهار الوجود السعودي في مختلف المجالات التعاون سياسي - اقتصادي - ثقافي وذلك من خلال المساهمة وبقدر أكبر من مشروعات التطوير التي تقوم بتنفيذها باشتراك مع باقي الدول الخليجية.

ب- أنشاء مجلس التعاون الخليجي لزيادة الرابطة بين دول الخليج وتقوم فيه المملكة بالدور الرئيس الأكبر وقد تمكن المجلس مرتين من احتواء مشكلة قطر والبحرين حول فشت الديبل بجهود من المملكة ولكن هناك بعض السلبيات التي تحيط المجلس :-

قيام المملكة بتحمل العبء الأكبر عسكرياً واقتصادياً وسياسياً في حرب الخليج الاخيرة والتي أدت الى تحرير الكويت واعادتها كدولة مستقلة ذات سيادة على الخريطة العربية[3].

اما على الصعيد الخارجي: فقد تضافرت عدة عوامل اقليمية ودولية الى التعجيل بقيام المجلس لعل ابرزها من الغزو السوفيتي السابق لأفغانستان عام ١٩٧٩ وما احدثه هذا الغزو من ردود فعل قوية لدى معظم الدول التي وجدت

---

[1] مفيد الزيدي ، تاريخ قطر المعاصر ١٩١٩-٢٠٠٨، دار المناهج والتوزيع، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ، كلية الآداب جامعة بغداد ، ص ٨٥.

[2] خالد ابراهيم الهيدان، الإطار النظري للتعاون الخليجي، مجلة بحوث دبلوماسية، معهد الدراسات الدبلوماسية ، الرياض العدد (٢)، ١٩٨٥، ص٧٢.

[3] صالح بن بكر الطيار، السعودية وتحديات القرن ٢١، مارس / آذار / ٢٠٠٣ / ص ١٠٣-١٠٤.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

في دخول القوات السوفيتية اراضي دولة اخرى انتهاكا فادحاً لحقوق الدول الصغيرة في تحقيق مصيرها واختيار النظام السياسي المناسب لها وعدتها ظاهرة خطيرة في العلاقات الدولية[1].

ولعل ابرز الردود الافعال هذه ردود فعل الدول الخليجية العربية التي وجدت في الغزو السوفيتي السابق لأفغانستان وما هو الا بداية الزحف الروسي نحو المياه الدافئة في الخليج العربي الغنية بالنفط لذلك ساعدت المملكة العربية السعودية الى دعوة الدول الاسلامية لعقد مؤتمر اسلامي في مدينة مكة المكرمة لأتخاذ موقف حازم وموحد تجاه هذا العدوان على الدول الاسلامية[2].

ثانياً / النظام الاقليمي العربي :-برزت قطر في أكثر من مناسبة خلال تصاعد ازمة اقليمية او دولية كأنها نجم دبلوماسي ساطع يدور في سماء الشرق الأوسط وتحولت الدوحة الى طاولة لفض المنازعات وملتقى لكل الاطراف المتنازعة المتصارعة على السلطة في الدول المجاورة من السودان ولبنان واليمن الى افغانستان والعراق وفلسطين بشقيها الداخلي « الانقسام الفلسطيني والخارجي بصراعها مع الاحتلال الاسرائيلي فضلاً عن استضافتها لمؤتمرات القمم العربية والاسلامية او المنتديات السياسية والثقافية والاقتصادية ، مما جعلها تتبوأ موقعا متميزاً للتأثير الدبلوماسي والسياسي في كل ارجاء المنطقة وبذلك لعبت دوراً متقدماً عن قوى اقليمية لها وزنها وتاريخها بالقيادة في المنطقة كالسعودية ومصر- وايران التي تمتلك امكانيات ديموغرافية وجغرافية اكثر بكثير من تلك التي تملكها قطر تؤهلها لتبوء بلعب الدور الذي لعبته قطر الا انه حدث تراجع خلال العقدين الأخيرين وخاصة بعد حرب الخليج الثالثة واحتلال العراق عام ٢٠٠٣ لدور كل من السعودية ومصر وذلك لأسباب ذاتية لكل منها ، سواء بالأنكفاء على الذات بالنسبة للسعودية او سبب ترهل وضعف الحكم بالنسبة لمصر- وكذلك تحول في فكر السياسة الأمريكية في المنطقة من خلال طرح فكر جديد حمل شعار الخوض والخلافة التي روجت لها وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزارايس في عهد الرئيس الأمريكي جورج بوش الأبن عبر التبشير للديمقراطية وحقوق الأنسان وحقوق الأقليات وغيرها من القضايا[3].

العامل الدولي : وضمن هذا الاطار تعد الولايات المتحدة الأمريكية من ابرز واهم العوامل الخارجية على الصعيد الدولي التي اثرت على شكل العلاقات القطرية - السعودية منذ ان اصبحت منطقة الخليج العربي تتمتع بأهمية خاصة في التخطيط الأمريكي نظراً لما تتصف به المنطقة من خصائص تكاد تكون منفردة من حيث الاعتبارات الاقتصادية والجغرافية ذات صلة وثيقة بالمصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية[4].

المبحث الثالث

أزمة قطع العلاقات مع دولة قطر ٢٠١٧

صحا القطريون فجر الرابع والعشرون من آيار / مايو ٢٠١٧ على وقع حملة اعلامية شديدة قادتها وسائل إعلام أمارتية وسعودية نسبت تصريحات الى أمير قطر الشيخ

---

[1] طارق البياني، مجلس التعاون الخليجي والاستراتيجي لأمن الخليج العربي ، مجلة ام المعارك ، مركز ابحاث ام المعارك، بغداد ، العدد ١٤ ، ١٩٩٨، ص72.

[2] المصدر ، ص ٧٣.

[3] منذر أحمد زكي ، السياسة الخارجية القطرية في ضل التحولات السياسية العربية (٢٠٠٣-٢٠١٢) قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في دراسات الشرق الأوسط بكلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة الأزهر ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م ، ص ٤٥.

[4] منعم صاحي العمار، الموقف المصري من التحرك الإيراني في المنطقة، مجلة دراسات دولية، مركز بحوث جريدة الجمهورية، بغداد، العدد ١٩٩٢١، ص27.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

تميم بن حمد آل ثاني تبين أنها مفبركة بصورة كاملة . فقد جرى اختراق وكالة الانباء القطرية بعد منتصف ليل الثلاثاء الاربعاء ٢٣/٢٤ أيار مايو ونشر تصريحات زعم ان أمير دولة قطر اولى بها في حفل تخريج الدفعة الثامنة من منتسبي الخدمة الوطنية الذي جرى صباح اليوم السابق وعلى مدى اسبوعين تقريباً تناولت وسائل الأعلام الأماراتية والسعودية قطر وسياستها ووصل الهجوم حداً خرج فيه حتى عن الأعراف والتقاليد العربية الخليجية من خلال تناول العائلة الحاكمة القطرية بالنقد والتجريح وبأسلوب الصدمة ايضاً وفيما يشبه اعلان حرب اعلنت كل من مصر والسعودية والبحرين والأمارات صباح الخامس من حزيران / يونيو قطع العلاقات الدبلوماسية والقنصلية مع قطر واغلاق المنافذ البرية والبحرية والجوية معها ومنع العبور في اراضيها وأجوائها ومياهها الأقليمية ومنع مواطنيها من السفر الى قطر وامهال المقيمين والزائرين من مواطنيها فترة محدودة لمغادرتها ومنع المواطنين القطريين من دخول اراضيها واعطاء المقيمين والزائرين منهم مهلة اسبوعيين للخروج[1].

في 5 حزيران / يونيو اتخذت اربع دول عربية السعودية ، الأمارات البحرين مصر) قرارات ضد الدوحة تشمل قطع العلاقات الدبلوماسية معها وفرض حصار جوي وبري وبحري على قطر في خطوة تصعيدية ربما تكون غير مسبوقة في تاريخ العلاقات الخليجية - الخليجية .

هذا التطور الخطير سبقته موجة قوية من حملات الأمارات الأعلامية ضد الدوحة وخصوصاً عبر جهود سفير واشنطن يوسف العتيبة باستمالة مراكز ابحاث ودفع باحثين وصحفيين الى كتابة مقالات مناهضة لقطر، بيد ان ذروة تلك الحملات تمثلت في الاختراق الذي تعرضت له وكالة الأنباء القطرية - الخليجية عبر تلفيق تصريحات لأمير قطر تميم بن حمد آل ثاني.

ثمت متغيران مهمان في تفسير أزمة قطع العلاقات مع قطر :-

احدهما : - يتعلق بتوقيت اندلاعها الذي يأتي بعد أقل من اسبوعين من انتهاء زيارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب للشرق الأوسط ، ويبدو ان قيادات سعودية واماراتية فهمت من تلك الزيارة ان واشنطن عادت لنمط تحالفاتها القديمة في منطقة الشرق الأوسط ، اي التحالف الأمريكي مع الكيان الإسرائيلي والسعودية اساساً والأمارات والبحرين والأردن بدرجة أقل ، بما يعني تنشيط التحالفات الأمريكية الأمنية والعسكرية والاقتصادية بغض النظر عن اية انتهاكات حقوقية يقوم بها حلفاء واشنطن في المنطقة او مأزق وازمات سياسية داخلية يعانون منها وهذا يعني نشوء محور اعتدال اقليمي معدل في منطقة الشرق الأوسط ويحاول هذا المحور الأن استثمار تداعيات زيارة ترامب للضغط على الخصوم السياسيين في الاقليم وعلى رأسهم تركيا وقطر وايران وجماعة الاخوان المسلمين وحركة حماس وحزب الله بغية تجريدهم جميعاً من أوراق القوة والتأثير[2].

ويبدو ان ما يقوم به محور الاعتدال الاقليمي المعدل يعكس عملية تدشين لموجة ثانية من الثورات المضادة في منطقة الشرق الأوسط، بعد أن عصفت الموجة الأولى

---

[1] أزمة العلاقات الخليجية القطرية : في اسباب الحملة ودوافعها ، مقالات واراء ، عرب48. http://www.arab48.com.

[2] تقرير موقف أزمة قطع العلاقات مع قطر ... إلى اين ؟؟ http://idraksy.net/the.crisis-of-serering-relation-with-qatar/?print-pdf.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

منذ صيف ٢٠١٣ بثورات الربيع العربي دون استثناء تقريباً.

أما المتغير الآخر: فهو وجود ارتباك في عملية صنع القرارات في الرياض وأبوظبي فما يفرز قدراً من الحسابات السياسية الخاطئة وقلقاً وتوجساً من أية اصوات نقدية وهذا يفسر حملة حجب عدد من المواقع الالكترونية وسحب تراخيص العمل من مكاتب قناة الجزيرة.وكان هذا القلق السعودي - الاماراتي يترجم في شكل اندفاعة هجومية تحالف مُحَمَّد بن سلمان ومُحَمَّد بن زايد تريد ضبط مواقف دول الخليج وتحالفاتها الخارجية تحت قيادة الرياض وأبوظبي بأسرع ما يمكن وهو ما يستهدف قطر اولاً. وربما مواقف دولة الكويت وسلطنة عمان في مرحلة تالية في حال نجاح جهود عزل الدوحة وتحجيم نفوذها في الاقليم وارغامها على تغير سياستها الخارجية.وفي اطار هذه الموجة الثانية من الثورات المضادة في المنطقة جاءت أزمة قطع العلاقات مع قطر وفرضت نمطاً معقداً من التفاعلات الاقليمية والدولية[1].

ان الازمة الخليجية هي في جوهرها تعبير عن محاولة سياسية بائسة لأخضاع دولة ذات سيادة ولم يكن من أتخذ قرار الحصار يتصور ان قطر قادرة على تخطي المقاطعة وإن لديها أوراقاً كافية لإعادة ترتيب المشهد في المنطقة لصالحها وهنا تكمن ازمة ثلاثي الحصار ومن شايعهم ذلك ان الدولة القطرية كشفت عن بنية مؤسسية قوية ووجود خطط بديلة جاهزة للتعامل مع الأزمات الطارئة مكنتها من استيعاب مخلفات الأزمة بسرعة قياسية والمتابع لتصريحات سعادة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن آل ثاني وزير الخارجية القطري يدرك مدى الثقة والتماسك الذي يتعامل به مع الازمة بعيداً عن الأسفاف أو الارتباك بأضافة الى قدرة واضحة لتفكيك ملفات الازمة المفتعلة وهو امر نلاحظه بسهولة في طريقة تعامل قطر مع الوسيط الكويتي وفي ردها الحكيم على قائمة المطالب الثلاثة عشر التي قدمها ثلاثي الحصار ومن تابعهم. ولان العمل الدبلوماسي الحكيم ليس مجرد تصريحات واتهامات دون سند او دليل فقد تمكنت قطر من افراغ الحصار المفترض من مضامينه ولينقلب المشهد بشكل واضح فلم تعد قطر مطالبة بتبرير مواقفها او تقديم كشف حساب عن سياستها بقدر ما اصبح الحصار فعلاً عبثيا فاقداً للمغزى السياسي وللغاية التي كان يهدف اليها فدولة قطر أعظم من ان تحاصر[2].

ومع انفجار الازمة مع السعودية ومصر ـ والامارات والبحرين في ٢٤ ايار / مايو ٢٠١٧ اتسمت الدبلوماسية القطرية بالهدوء والثقة والأتزان ولا يمكن للمراقب ان يفهم النهج الدبلوماسي لقطر في التعامل مع كل مراحل الازمة من الانفجار الى الحصار مروراً بالحملات الاعلامية المبرمجة من دون الوقوف على حقائق ما خلف المشهد وان كانت دول الحصار قد خططت لتفجير الازمة تحت جنح الظلام فجر ٢٤ ايار / مايو ٢٠١٧ بأسلوب الترويع والصدمة الأمريكية لترويع قطر وارباك دوائر الحكم في الدوحة فأن قطر تمكنت من امتصاص الضربة الأولى بلا مفاجئة ولكن مع صدمة مردها توقيت الهجمة واسلوبها والذرائع التي تجاوزت حدود الخلاف الساسي الرسمي وحرق كل الخطوط الحمراء حتى وصلت قطر الى قعر غير مسبوق وبالمتابعة الدقيقة لمجريات الازمة الاخيرة وملاحظة اداء الدبلوماسية القطرية وردت فعلها ازاء التطورات والمنعطفات التي مرت بها الازمة منذ ٢٤ ايار

---

[1] تقرير موقف أزمة قطع العلاقات مع قطر ... إلى اين ؟؟، المصدر السابق.

[2] سمير حمدي :http://www.all-watan.com/writer/id/6663

/ مايو ٢٠١٧ وحتى منتصف تموز / يوليو من العام ذاته يمكن الوقوف على خمسة عوامل تفسر الهدوء والثقة وهي سقوط عنصر المفاجئة، وبناء السمة الوطنية، وبناء ترسانة القوة الناعمة وبناء تحالفات دولية ، وارباك الخصم[1].

وفيما يتعلق بالإخوان المسلمين فقد أعلنت قطر انها لم توعدهم ولا تدعمهم وتختلف معهم ولكنها لا ترى فيهم تنظيما ارهابياً وثانيها ان هذا التوسع في استخدام الإرهاب ووسم الخصوم السياسيين به يضر- بالمعركة ضد التنظيمات الارهابية فعلاً، أما فيما يتصل بنشر الشائعات حول تمويل قطر للإرهاب فهي مزاعم تفسرها مشاركة قطر القوية في الحرب على الارهاب ومكافحة تمويله علماً انه لم يبق من زعم الدول الثلاث في هذا الشأن ألا المطلب المتعلق بحركة حماس فضلاً عن ذلك كانت السعودية وما زالت محل أتهام من طرف دوائر في واشنطن وعي نفسها الدوائر التي تحرض على قطر اليوم فيما يتصل بمزاعم تمويل الارهاب ودعمه والتي تمكنت في السنة الماضية من تمرير قانون جاستا» الذي استهدف مقاضاة السعودية بزعم مسؤوليتها عن هجمات سبتمبر ٢٠٠١[2].

بيانان ناعمان رغم سخونة المعركة بيان ثلاثي سعودي اماراتي بحريني يطلق أول شرارة حرب كان وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل قد توعد بشنها على الجارة الصغيرة قطر في حال قررت عدم الالتزام بالتعهد الخطي الذي وقعه اميرها الشيخ تميم آل ثاني في الرياض في ٢٣ تشرين الثاني الماضي وساطة أمير الكويت صباح الاحمد وتضمن التعهد الخطي التوقف عن دعم ايواء قياداتهم المصرية والسعودية والتوقف عن دعم الحوثيين في اليمن وعدم القيام بأي عمل يسيء الى استقرار السعودية والبحرين والامارات من خلال دعم افراد محسوبين على تيار الاخوان او جماعات معارضة تسعى للتغير في هذه الدول. كلمات البيان الثلاثي جاءت ناعمة بمقدمة طويلة حول مبدأ التعاون المفردة التي تكررت كثيراً قبل أن يختم بقرار سحب السفراء من الدوحة، البيان لفت الى عنصر- كان مفقوداً في تحليل العلاقات الخليجية وهي الخلفية التي تأسست عليها الاتفاقية الامنية الخليجية والتي اريد منها الاتفاق على مسار نهج يكفل السير ضمن أطار سياسة موحدة أي بمعنى آخر أعادة انتاج الوصاية السعودية داخل أطار مجلس التعاون الخليجي وهو بالدقة المحور الذي يدور حوله الخلاف بين قطر والسعودية على وجه الخصوص، توقف البيان الثلاثي عند اللقاء المنعقد في الكويت في ١٧ شباط (فبراير) الماضي برعاية أميرها الشيخ صباح الاحمد والذي حضره أمير قطر الشيخ تميم فيما حضر- وزراء دول مجلس التعاون الخليجي[3].

أما بالنسبة للدائرة العربية فقد كشفت الازمة ضعفاً شديداً في الأداء الدبلوماسي العربي ربما باستثناء دولة الكويت أو سلطنة عمان وتونس بدرجة أقل ولعل هذه الأزمة تقدم دليلاً إضافياً على حال جامعة الدول العربية المتهالك رغم أن الأزمة خليجية - عربية خالصة ووقعت في احد انجح التنظيمات الاقليمية الفرعية في المنطقة وقد يبدو موقف الجامعة الغائب مفهوماً ضمنياً لأن من الدول التي قاطعت قطر كلاً من السعودية ومصر- بوزنها العربي المعروف ومن المؤكد ان الرياض ضغطت على دول عربية اصغر مثل جيبوتي وجزر القمر وموريتانيا لكي تتخذ موقفاً ضد الدوحة وتدخل ضمن هذه اللعبة المقيتة من صراع المحاور العربية. اما الدول المغاربية (الجزائر والمغرب

---

(1) http://www.dohainstitute.org/ar/lists/ACRPS-PDFDocumentlibrary/siyassat27-2017-Altamimi.pdf

(2) المصدر نفسه،.

(3) الرياض والدوحة، معركة ساخنة بلغة ناعمة. https://www.al-akhbar.com/node/20204

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

وتونس) فقد اكتفت وزارات الخارجية فيها بإصدار بيانات تعرب عن القلق البالغ وتدعوا للحوار بين الدول الخليجية فالأزمة العربية ليست في حاجة الى مزيد من الأنقسام والتفرقة والخلافات وان الصعوبة الحالية ظرفية وان الحكمة والتعقل سيغلبان في الأخير بالنظر الى التحديات الكبيرة التي تواجه الشعوب العربية وعلى رأسها الإرهاب.

في تقويم المواقف الاقليمية من الازمة ظهر واضحاً الثقل الذي مثلته تركيا بخاصة، فرغم دبلوماسيتها الهادئة في بداية الأزمة وتصريحات وزير الخارجية مولود جاويش اوغلو الداعية للحوار والتهدئة فأنها ربما نجحت في التأثير على الموقف الأمريكي ومواقف دولية أخرى بعد مصادقة مجلس النواب التركي7/ حزيران / يونيو على اتفاقيتين تسمحان بنشر قوات عسكرية في قاعدة تركية في قطر تطبيقاً لأتفاقية الدفاع المشترك التي وقعها البلدان عام ٢٠١٤ بالإضافة الى تدريب قوات الدرك[1].

وبعد أن بدأت الأمور تتوازن بالتصريحات الصادرة من بعض المشرعين الأمريكيين وبيانات وزارتي الدفاع والخارجية والتأكيد على انه لا يوجد خطط لدى واشنطن لأي تتغير في اوضاع قاعدة العديد في قطر ثم جاء أتصال الرئيس ترامب بأمير قطر ودعوته لقمة في البيت الأبيض وتصريح وزير الخارجية الأمريكية ريكس تيلرسون 9 حزيران / يونيو الذي دعا فيه الى تخفيف الحصار على قطر لكونه يخلق مشاكل أنسانية في شهر رمضان. ورغم الخسائر الاقتصادية والمجتمعية المترتبة على حصار قطر فأن الدوحة ربما تخرج من هذه الأزمة في المدى المتوسط بقد أقل من الخسائر السياسية مقارنة بالرياض وأبوظبي فمن جهة سمحت الأزمة لقطر باختبار قوة علاقاتها بتركيا وكشفت الأزمة من جهة ثانية ان بالإمكان الأستقواء بمواقف أوربية لتخفيف الضغط على الامريكي الذي تحركه السعودية والأمارات واسرائيل وذلك بفعل الصفقات التي وقعها الرئيس ترامب في زيارته للمنطقة ومن جهة ثانية نجحت الدبلوماسية القطرية في توضيح وجهة نظرها بشأن البيان الرباعي للسعودية ومصر والأمارات والبحرين حول قوائم الإرهاب اذ قال وزير الخارجية القطري ان قائمة الإرهاب مرسلة وتحتوي على بعض الأسماء التي ليس لها علاقة بقطر ولا تفهم فيها بالأصل كما أن من ضمن القوائم صحافيين وجمعيات خيرية مرموقة في المجتمع الدولي لها صفات استشارية في الأمم المتحدة مثل قطر الخيرية ونحن لا نعرف المعايير التي قامت عليها القائمة التي تم نشرها ولكن واضح انها تكامل للسلسلة المرسلة من الاتهامات التي لا تستند الى أمور واضحة ولا أساس لها[2].

الخاتمة

النتائج

1- ترجع الأصول التاريخية للعلاقات السياسية بين المملكة العربية السعودية وقطر الى البدايات الأولى لتكوين الدولتين فنجد فأنها تعود الى منتصف القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر ميلادي.

---

[1] الرياض والدوحة، معركة ساخنة بلغة ناعمة.، مصدر سبق ذكره، ص6.

[2] الرياض والدوحة، معركة ساخنة بلغة ناعمة، مصدر سبق ذكره، ص5.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

2- أن الموقع الجغرافي يعد أحد المداخل الأساسية عند دراسة العلاقات السياسية للمملكة العربية السعودية ودولة قطر فهو معطى ثابت تستمد منه السياسة الخارجية للبلدين قدراً غير قليل من الدوافع والمسببات.

3- أن صلات الود بين شعب المملكة العربية السعودية والشعب القطري هي نابعة من تعدد الروابط الأخوية بين الشعبين فالدولتان يستمتعان بأنسجام خاص يتمثل في السمات الموحدة المستقاة من عقيدتها المشتركة وتشابه أنظمتها وتماثل تكوينها.

4- تقوم العلاقات القطرية - السعودية على مرتكزات عدة لعل منها (الموقع الجغرافي) لكلاً البلدين ضمن منطقة أقليمية واحدة هي منطقة الخليج العربي التي عدة ساحة للتنافس الأقليمي.

5- يعتبر العامل الديني واحداً من أبرز العوامل التي أثرت على مسار العلاقات القطرية -السعودية اذ أن التماثل الديني على الصعيد الداخلي بين قطر والمملكة العربية السعودية أذ أن كلا النظامين يطرحان نموذجاً معيناً للدولة الاسلامية ويشتركان في تمسكها بالقيم الاسلامية العامة.

التوصيات

1- يلاحظ الخبراء أنه لابد أن يبدي أي من الطرفين استعداده على التقديم تنازلات وعلى تدوير زوايا الخلاف بينهما.

2- لذلك قامت الدوحة وعلى مدى السنوات الأخيرة في دعم حركات الإخوان المسلمين أيواء قياداتهم السورية والمصرية والسعودية والخليجية أيضاً وقدمت المساعدات المادية والمعنوية للحوثيين في اليمن مما أثار حفيضة الرياض ونقمتها وبالتالي لابد من التخلي عن مسببات هذا التوتر في العلاقات.

3- أن تداعيات هذا الخلاف بين الدوحة والرياض لابد وأن يصيب السعودية قبل غيرها بأذى موجع لذي فعليها البحث عن حلفاء إقليميين اقوياء يسهمون معهم في شل أمكانيات وعزيمة الدولة الصغيرة في منطقة الخليج ولا نستبعد أن تطرق الرياض أبواب طهران التواقة لأقامة تفاهم واسع معها من أجل قيامها كدولتين كبيرتين في المنطقة بفرض الأمن والاستقرار في محيطها الإقليمي خصوصاً وأن تقارباً يلاحظ في العلاقات بين الولايات المتحدة وايران بعد مجيء الإصلاحي حسن روحاني الى سدة السلطة في طهران.

المصادر

الآيات القرآنية

١- سورة الحجرات ، آية ١٣.

الكتب :-

1- باسل يوسف بحك ومجموعة مؤلفين / الدستور في الوطن العربي عوامل الثبات وأسس التغير / مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة كتب المستقبل العربي ٤٧ / ص ٩٢ / ط ١ بيروت / كانون الثاني / يناير ٢٠٠٦.

2-ريتشارد سكوفيلد / دول الخليج / نزاعات حول الحدود في مجموعة مؤلفين من الخليج في القرن الحادي والعشرين / مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ابوظبي ١٩٩٨ ص ١٩٧.

3- سامي ريفيل قطر وأسرائيل ملف العلاقات السرية / مكتبة جزيرة الورد / ترجمة مُحَمَّد البحيري / ط1/ ٢٠١١ / القاهرة.

4- صالح بن بكر الطيار / السعودية وتحديات القرن ٢١ / ١ / مـــارس - آذار / ٢٠٠٣ / ص ١٠٣- ١٠٤ / مركز الدراسات العربي - الأوربي للنشر .

5- مفيد الزيدي تاريخ قطر المعاصر ١٩١٣ - ٢٠٠٨ / ١١ / آذار المناهج للنشر والتوزيع / عمال الاردن / شارع الملك حسين / ١٤٣١ / ٢٠١٠ / ص ٨٨.
6- نادية محمود مصطفى الثورات العربية في النظام الدولي وخريطة والملامح والإشكاليات والألمامات / ط1/ دار البشير للثقافة.
7- ناجي أبي عاد ميشيل برينون النزاع وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط الأهلية للطباعة والنشر / عمان ١٩٩٩ ص ١٥٦-١٦١.
8- وليم سي دمبي / النفط في التسعينات / سيطرة الخليج في قير مار ووليم لويس / امتطاء النمر وتحدي الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة / مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية / ابوظبي / ١٩٩٦ / ص ٦١.

رسالة :-

د. منذر أحمد زكي شراب / السياسة الخارجية في ضل التحولات السياسية العربية قدمت هذه الرسالة لاستكمال دراسة الماجستير في دراسات الشرق الأوسط ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.

الأنترنيت :-

١- دول الخليج بعيون إسرائيلية « ملفات ساخنة (٤» أصدار دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ص ١٤٣ ، ٢٠٠٣ - ٢٠١٢م .
٢- فؤاد ابراهيم
http://www.al.akhbar./com/hode/20204
3-https://arabic.sputniknews.com/arab-world/201706171024647867
4- دور السياسة الخارجية القطرية في ضل الأزمات العربية الأقليمية، أثير ناظم عبد الواحد، العدد الثالث والاربعون دراسات دولية ، ص ١٢٦
edf,filename=4Tf-8
5- أزمة العلاقات الخليجية القطرية في أسباب الحملة ودوافعها / مقالات واراء / عرب ٤٨.
http://www.arab48.com
6- أزمة قطع العلاقات مع قطر ... الى اين ؟؟
http://idraksy.net/the.crisis-of-serering-relation-with-qatar/?print=pdf
7- سمير حمدي
http://www.all-watan.com/writer/id/6663
8-
http://www.dohainstitute.org/ar/lists/ACRPS-PDFDocumentlibrary/siyassat-27-2017-Altamimi.pdf
:
9- الرياض والدوحة معركة ساخنة بلغة ناعمة:
http://www.al-akhbar.com/node/20204

الصحف والمجلات

1- خالد ابراهيم الهيدان، الاطار النظري للتعاون الخليجي، مجلة بحوث دبلوماسية، معهد الدراسات الدبلوماسية ، الرياض العدد (٢) ، 1985 ، ص ٧٢.
٢ - صحيفة الدستور، الاردن ، العدد ١٩٠٣٢ ١٠,40 ١٩٩٢٠.
3- طارق البياتي ، مجلس التعاون الخليجي والاستراتيجي لأمن الخليج العربي ، مجلة ام المعارك، مركز ابحاث ام المعارك، بغداد ، العدد ١٤ ، ١٩٩٨ ، ص ٧٢.
4- عبد الخالق عبد الله ، الولايات المتحدة ومعضلة الأمن في الخليج ، مجلة المستقبل العربي ، مركز الدراسات ، الوحدة العربية ، بيروت العدد ٢٩٩ ، ٢٠٠٤ ، ص ١٩.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

5- عادل محمود مقهور ، النفط والحرب أمريكا والمستطيل النفطي والعراق ، مجلة متابعات الدولية ، مركز الدراسات الدولية بغداد العدد ١٠٣ ، ٢٠٠٣، ص ٤.

٦- عبد المعطي احمد عمران الأهمية السياسية للموقف الجغرافي مع التطبيق على المملكة العربية السعودية ، مجلة الدبلوماسي ، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، العدد (٢)، ١٩٨٢، ص ١٠٣.

7- كاظم هاشم نعمة ، مبادئ العلاقات الدولية ، شركة اياد للطباعة ، بغداد ١٩٨٧ ، ص ١٤٨.

8- د. مُحَمَّد مصطفى شحاته، الحدود السعودية مع دول الخليج، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بأهرام، القاهرة ٢٠١٢، ص ٧٩.

9- مُحَمَّد الشافعي، صحيفة الشرق الأوسط «لندن» العدد ٩٦١٠ ، عام ٢١/٣/٢٠٠٥، ص2.

١٠ - منصور بن عبد الله المنصور، جسر السعودية والبحرين، مجلة الدبلوماسي ، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، العدد «٢ ، ١٩٨٢ ، ص ١٠٦.

١١ - منعم صاحي العمار ، الموقف المصري من التحرك الأيراني في المنطقة ، مجلة دراسات دولية ، مركز بحوث جريدة الجمهورية بغداد العدد ١٩٩٢١ ، ص ٢٧.

١٢ - يحيى حلمي رجب ، مجلس التعاون لدول الخليج العربي ، رؤية مستقبلية دار العروبة للتوزيع والنشر، الكويت ، ١٩٣٨ ، ص ٦٣.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

آثار زلزال 1169هـ/ 1755م على المجتمع المغربي من خلال تقييد تاريخي غير منشور

الدكتور عزيز اليحياوي الادريسي
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين طنجة تطوان الحسيمة

مقدمة:

يعتبر موضوع الكوارث الطبيعية من المواضيع البحثية المتجددة، التي أصبحت تحظى باهتمام الدارسين والباحثين بالمغرب، ومن خلال تتبع الأبحاث المنجزة في هذا الصدد، نلحظ أن معظمها ركز على الأوبئة والمجاعات، في حين تم تهميش الحديث عن باقي الكوارث، في مقدمتها الزلازل، رغم تعرض المغرب لسلسلة من الهزات الأرضية، عبر فترات زمنية مطردة[1]، تسببت في دمار كبير، وإلحاق خسائر فادحة في الأرواح والمرافق. ولعل ذلك يعود –في تقديرنا- إلى قلة الإشارات الواردة في ثنايا المصادر التاريخية المغربية،

من هنا تأتي أهمية مقالنا، الذي يسعى إلى تسليط الضوء على أخطر الزلازل التي عرفها المغرب عبر تاريخه الطويل، وهو الذي حصل سنة 1169هـ/ 1755م، من خلال تقييد تاريخي مغربي قيم، حرص صاحبه، وهو شاهد عيان، على تسجيل مشاهداته وتدوين معايناته وتوثيق ما تناقلته الألسن. فعلى الرغم من صغر حجم التقييد، إلا أن قيمته العلمية كبيرة، تتمثل في كونه يؤرخ لحدث همشته المصادر المغربية، فلا نكاد نعثر فيها سوى على شذرات قليلة جدا، إضافة إلى أنه يؤسس لمرجعيات عامة ضمن مجال أدبيات الكوارث، فصاحبه نقل وصفا دقيقا لزلزال 1169هـ/ 1755م، مستعرضا آثاره ومخلفاته على البلاد والعباد، مشيرا إلى ردود أفعال الساكنة اتجاهه.

وعليه، تتمحور الإشكالية موضوع المعالجة في محاولة إبراز إسهامات التقييد في تسليط الضوء على أخطر كارثة طبيعية حلت بالمغرب خلال القرن 12هـ/ 18م. ويمكن تفكيك هذه الإشكالية إلى تساؤلات من قبيل: كيف كان وقع كارثة الزلزال على السكان؟ وكيف كانت ردود أفعالهم؟ وما هي أبرز القضايا التي أثارها التقييد؟

وقبل بسط موضوعنا، يجدر بنا تقديم نبذة تعريفية لمؤلف التقييد.

أولا: التعريف بالمؤلف والتقييد:

صاحب التقييد هو عمر بن المهدي بن أحمد دعلان، من فقهاء مدينة فاس وكبار مدرسيها، تتلمذ على يد ثلة من المشايخ الأعلام، في مقدمتهم الفقيه العلامة الإمام المسناوي[2]، إلى جانب العالم الرياني

[1] - انظر الملحق 1.

[2] - هو أبو عبد الله، مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر الدلائي البكري، الشهير بالمسناوي، الفاسي الدار، ولد بالزاوية البكرية سنة 1072هـ/ 1662م، توفي سنة 1136هـ/ 1724م. حلاه القادري بقوله: **«الإمام الكبير، العلامة الشهير، الحافظ المتقن، الدراكة المشارك المتفنن، كوكب السحر الوقاد، العالم الحجة النقاد... شيخ الجماعة وخاتمة المحققين».** من أشهر مؤلفاته: "جهد المقل القاصر في نصرة غوث الورى الأكابر"، و"نتيجة التحقيق في بعض أهل النسب (أو الشرف) الوثيق"، و"القول الكاشف في صحة الاستنابة في الوظائف". فضلا عن أجوبة كثيرة. مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق مُحَمَّد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1407هـ/ 1986م، ج 3، ص 265. العباس بن ابراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

عبد القادر بوخريص[3]، ومُحَمَّد بناني[4]. من أشهر مؤلفات الفقيه عمر: "لقط اللئال وبسط تفنيدات ابن دعلان"، جاء في مجلدين[5].

أما التقييد، فيحمل عنوان **"تقييد حول الزلازال التي أصابت مدينة فاس ونواحيها"**. وهو جزء من كناش متنوع المواضيع، يقع في 128 صفحة، مكتوب بخط مغربي، يبدأ الكناش بقوله: بداية المخطوط: فائدة ومن هذا القبيل ما رأيت، فنقله من خط العارف بالله أبي حفص سيدي عمرو بن عبد الوهاب، حفيد قطب الأقطاب، الإمام الكامل الهمام، الواصل منار جبل. وينتهي بقصيدة شعرية:

فنكب عنها الطرف حطا لقدرها***لأن كانت الدنيا غنيمة أحمـــــــــق

تريد فنونا من بديع جمالهـــــــــــــــــا***فيصبح ممن في محبتها شـــــــــتقي

فمن ترك الدنيا الخؤنة إنـــــــــــــــــــه***إلى منصب التوفيق بالترك مرتقي

عسى رحمة المولى تعم جميـــــــــــعا***ويعفو عن الأوزار قبل التفـــــــــــرق

وفيما يتعلق بالتقييد موضوع دراستنا، فيبدأ من الصفحة 12 وينتهي بالصفحة 17.

ثانيا: مضامين التقييد:

1- أسباب حدوث الزلازل:

استهل الفقيه عمر بن المهدي حديثه عن أسباب حدوث الزلازل، ويظهر من الوهلة الأولى أن الفقيه الفاسي يربط حدوث الكوارث الطبيعية عموما، والزلازل على وجه الخصوص، بكثرة المعاصي والذنوب، وشيوع المنكرات والموبقات، وانتشار الظلم والجور، وارتكاب الكبائر والفواحش، وفي اعتقاده أن الانحراف عن الطريق المستقيم يجلب العقاب[6]، مستدلا على كلامه بآيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾[7]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾[8]، وأيضا

عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية ،الرباط، الطبعة الثانية، 1413ه/ 1993م، ج 6، ص 27- 28.

[3]- هو عبد القادر بن العربي بن عبد العزيز بوخريص الفيلالي، ولد سنة 1118ه/ 1706م، وتوفي سنة 1188ه/ 1774م. تتلمذ على يد كبار المشايخ أمثال: مُحَمَّد العراقي الحسيني، ومُحَمَّد المسناوي الدلائي، حتى صار من أبرز علماء مدينة فاس، تصدر خطة التدريس، انخرط في سلك القضاء مدة ثلاثين سنة، إلى أن أعفاه السلطان سيدي مُحَمَّد بن عبد الله لكبر سنه. عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، تنسيق وتحقيق مُحَمَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1417ه/ 1997، ج 1، ص 37. أحمد الوارث، مادة بوخريص، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف الترجمة والنشر، مطابع سلا ،2120ه/ 2991م ،ج 6، ص 1659.

[4]- ولد بفاس سنة 1133ه/ 1720م، وتوفي سنة 1194ه/ 1780م. فقيه علامة، محقق مدرس، مشارك نحوي، تعاطى للتدريس بجامع القرويين، له مؤلفات كثيرة منها: "حاشية على شرح الزرقاني على مختصر الخليل"، و"حاشية على مختصر السنوسي في المنطق" وغيرها. ابن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، ج 1، ص24. سالم يفوت، مادة بناني، معلمة المغرب ،ج 6، ص 1483.

[5]- ابن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، ج 1، ص 62.

[6]- عمر بن المهدي بن أحمد دعلان، تقييد حول الزلازل التي أصابت مدينة فاس ونواحيها، ص 12.

[7]- سورة الزمر، الآية 16.

[8]- سورة الإسراء، الآية : 59.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[9].

واستنادا على ما ذكر؛ صنف الفقيه عمر أحوال الناس في المصائب والفتن إلى ثلاثة أصناف: ظالم ومقتصد وسابق، فالعارفون حسبهم التسليم والتفويض، والرضا وعدم الاعتراض، لأنهم على يقين أنه اختبار وامتحان لهم، فيزدادون إيمانا وتسليما. والمقتصدون هم الواقفون بين الخوف والرجاء، ويعلمون أنه لا منجي إلا الله، فيغلب خوفهم على رجائهم، ويطلبون العفو والعافية في دينهم ودنياهم. أما الظالمون لأنفسهم وهم الغافلون عن الله مغترون بحلمه وعفوه، جهلا منهم بقوته، وتغافلا على عقوبته، نسو ذلك وما اتعظوا ولا اعتبروا[10].

واختتم صاحب التقييد كلامه في هذا الباب بالدعاء، راجيا من **«الله تعالى أن يحيي قلوبنا، ويجعلنا ممن تنفعه الذكرى، ويجعلنا من الآمنين يوم الرجف والزلزال، بتأمين الله تعالى، لا بتأمين أنفسنا الأمارة الفجارة والغرارة، إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، نعوذ بوجه الله الكريم من تأمين مكر الله:**

فَآمِنْ مَكْرِ اللهِ بِاللهِ جَاهِلٌ* وَخَائِفُ مَكْرِ اللهِ بِاللهِ عَارِفُ**

فَلَا جَاهِلٌ إلا مِنَ اللهِ آمِنٌ* وَلَا عَارِفٌ إلا مِنَ اللهِ خَائِفُ»**[11].

2- وصف زلزال 1169هـ/ 1755م:

تعرضت بلاد المغرب عموما ومدينتي فاس ومكناس على وجه الخصوص، لزلزلة قوية في ضحى يوم 26 محرم الحرام 1166هـ الموافق لـ 1 نوفمبر 1755م،كان الفقيه عمر بن المهدي شاهد عيان عليها، حيث ارتجت مدينة فاس، والفقيه يومئذ جالس بصحن جامع القرويين، حيث بدأت جدرانه بالتصدع وأركانه بالتشقق، وصار يتمايل يمينا وشمالا، والناس من أهل القيسارية وأهل العطارين يفرون عن حوانيتهم ودكاكينهم، تاركين بضائعهم وأمتعتهم للضياع. ولم تكد الأرض تسكن، حتى عاودت الرجة من جديد حتى **«كدنا ننكبوا على الوجوه»**[12].

وبعد مرور 17 يوما ضرب زلزال آخر كان شديد القوة، شبهه صاحب التقييد مثل النفخ في الصور[13]. وهذه المرة ألحق الضرر بمدينة مكناسة الزيتون، فخرج سكانها المنتشرين ما بين جامع الخضرة[14] وسيدي عمر أبو عوادة[15]، مفزوعين

---

[9]- سورة الشورى، الآية: 30

[10]- دعلان، تقييد حول الزلازال التي أصابت مدينة فاس ونواحيها، ص 13. 14.

[11]- نفسه، ص 14.

[12]- دعلان، تقييد حول الزلازال التي أصابت مدينة فاس ونواحيها، ص 13.

[13]- نفسه، ص 16.

[14]- يطلق عليه جامع للا خضراء، يوجد بحي قصبة هدراش، ويعد من أبرز المعالم الدينية بمدينة مكناس، أمين العلوي الديبي، «وصف مكناس في شعر الملحون»، ضمن أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية، جامعة سيدي مُحَمَّد بن عبد الله، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1988م، ص 388.

[15]- المقصود به الحي المنسوب للولي الصالح عمرو بن مُحَمَّد بن عوادة العثماني وبه ضريحه. توفي في بداية القرن 11هـ/ 17م. نشأ في بيت علم وصلاح، ويعتبر من أشهر الأولياء المتصوفة بمدينة مكناس. عبد الواحد الهاروني علوي، الأضرحة والمزارات في مكناس، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي اسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2003- 2004م، (مرقونة)، ص 66.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

خائفين، وصار بعضهم ينادي على بعض[16]. ثم توالت الهزات الارتدادية، حتى وصل عددها إلى أربعة، في أوقات مختلفة وشدة متفاوتة، كان وقعها على الناس كبيرا؛ **«فمنهم من سمعها على صوت صرصار في الهوى، ومنهم من سمع الذوي تحت الأرض»**[17]، هذا التشبيه يرمز إلى هول الزلزلة وشدة قوتها.

لقد خلف هذا الزلزال نتائج وخيمة وعواقب خطيرة على البلاد والعباد، فعلى مستوى المنشآت العمرانية والمرافق الحياتية، تهدمت الدور والمنازل بمدينة فاس، وأجزاء من جامع القرويين. ونفس الدمار حل بمكناسة الزيتون، حيث خربت العديد من الحوانيت والدكاكين، والأهرية، وهجرت الأسواق، وأتلفت الأموال، وضاع المتاع، كما تصدعت الصوامع وانهارت الجدران العتيقة، فـ**«لم يبق بها صومعة سوى التي في قصبة هدراش»**[18]. ونتيجة لذلك، حصل ركود تجاري كبير، إذ قلت السلع، وارتفع ثمنها بشكل فاحش، وتوقفت عمليات البيع والشراء، كما عرف النشاط الحرفي تراجعا لتوقف الصنائع، وتفاحش الأمر وطال لفترة، مما جعل عجلة الاقتصاد تصاب بالشلل والكساد.

أما على المستوى البشري فقد عاين عمر بن المهدي الخسائر التي حصلت في الأرواح، حرص على الإشارة إليها في تقييده، فشدة الزلزال وقوته، أدت إلى مصرع أعداد هائلة من الناس، اعتبرها الفقيه من فواجع الخطوب، خاصة في مدينة مكناس، حيث **«مات بها ألوف من الخلق، حتى سمعنا أنهم دفنوا صبيحتها خمسة آلاف»**[19]، ناهيك عمن بقي عالقا تحت الردم، وصار الأهالي يبحثون عن المفقودين، **«والأمهات تدور على الأولاد، والأولاد يدورون على الأمهات، والزوجات على الأزواج والعكس طوال الليل»**[20].

وتجدر الإشارة إلى أن المصادر المغربية والأجنبية تحدثت عن أعداد أكبر مما أورده صاحب التقييد، فعلى سبيل المثال صرح القادري بأنه **«مات بالهدم خلائق كثيرة بمكناسة، أحصي منها نحو عشرة آلاف، ومن لم يحص لا يعلمه إلا الله»**[21]. أما الأسير السويدي ماركوس بيرك Marcus Berg فقدم رقما مبالغا، إذ يقول: **«أنها انهارت جميعها على أصحابها بما تحتويه من مباني، وأن أكثر من مليون من المغاربة، منهم المسلمون واليهود، فقدوا أرواحهم أثناء هذا الزلزال المدمر»**[22]. وكيفما كان الحال، وبغض النظر عن هذا الاختلاف في تقدير أعداد القتلى، فالأكيد أن ما

[16]- دعلان، تقييد حول الزلازل التي أصابت مدينة فاس ونواحيها، ص 16.

[17]- نفسه، ص 13.

[18]- دعلان، تقييد حول الزلازل التي أصابت مدينة فاس ونواحيها، ص 13. قصبة هدراش هي قصبة شيدها السلطان مولاي إسماعيل بمحاذاة قصبته الملوكية، كانت مقرا لسكنى الأوداية أحد فرق الجيش المغربي، والذي كان يلقب بالجيش الأبيض أو الكيش. للمزيد انظر: رقية بلمقدم،مادة هدراش، معلمة المغرب، ج 22، ص 7497. عبد الحق المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1997، ص 95.

[19]- دعلان، تقييد حول الزلازل التي أصابت مدينة فاس ونواحيها، ص 13.

[20]- نفسه، ص 16.

[21]- مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج 4، ص 114.

[22]- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطابع فضالة، المحمدية، 1406هـ/ 1986م، المجلد الثاني، ص 128- 129.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

خلفه الزلزال من ضحايا تسبب في حدوث تناقص في عدد الساكنة.

ومن أغرب الصور التي نقلها الفقيه عمر أن أحد الأشخاص **«كان ينقر أبواب الديار، ويقول: يا لالا المكناسية أوجدي الفتيلة والوقيد، كي تميز أولادك من أولاد العبيد»**[23]، والمقصود بالعبيد عناصر الجيش الملقب بجيش عبيد البخاري[24]، الذين تم نقلهم من مشرع الرملة[25] إلى مكناس سنة 1163هـ/ 1749م، أي قبل حدوث الزلزال بست سنوات، وخالطوا أهلها وامتزجوا بهم.

وجدير بالذكر أن هذا الزلزال ساهم في حدوث مآسي نفسية واجتماعية عميقة لا حصر لها، بسبب ما قاساه الناس من الشدائد والفواجع، لم يغفل الفقيه عمر الإشارة إليها، فانتشار الموت وانهيار المنازل والدور، وما لحقه من فقدان للأحياء، ومشاهدة الجرحى والمكلومين، أدى إلى حدوث اضطرابات نفسية، إذ **«لحق الرعب لأهل فاس، وضج الناس خوفا أن يصيبهم مثل ما أصاب من ذكر»**[26]، وما ارتبط بذلك من صدمة نفسية ليس من السهل تجاوزها، وما استتبعها من تشريد للأسر نتيجة فقدانها لمعيلها.

3- ردود فعل الناس على الزلزال:

نستشف من المعلومات التي دونها الفقيه عمر بن المهدي، أن سكان مدينتي فاس ومكناس سارعوا لحظة حدوث الزلزال إلى الهتاف بالصلاة على النبي ﷺ، وحينئذ قام القاضي عبد القادر أبو خريص والعلامة مُحَمَّد بناني بتلاوة سورة يس والواقعة[27]، وصار الناس يقرأون سورا من القرآن الكريم، وبادروا بالاجتهاد في الدعاء، **«وأخذت الصبيان الكتب فوق رؤوسهم، وجعلوا يطوفون على الأولياء والمقابر»**[28]، والإكثار من التحميد والتسبيح والتهليل والتكبير[29].

وفي الوقت نفسه، باشر الأحياء عملية إخراج الأموات لدفنها، وإسعاف الجرحى، ومواساة الثكلى، كما قاموا بعمليات إزالة الأنقاض، وترميم المنازل المتصدعة، وفتح الطرقات، فضلا عن تشييد الخيام والقياطين لإيواء الأسر[30]. وهكذا شكلت

---

[23]- دعلان، تقييد حول الزلازل التي أصابت مدينة فاس ونواحيها، ص 16.

[24]- هو الإسم الذي أطلق على الجيش الذي أسسه السلطان مولاي إسماعيل (1672- 1727م)، ولقب بذلك اللقب لأن المنخرطين في سلكه أقسموا على كتاب صحيح البخاري بالإخلاص والولاء لقائدهم. خضعت عناصره لتربية صارمة، مكنتهم من لعب أدور رئيسية ومحورية في تدعيم الدولة المركزية. للمزيد انظر: ثريا برادة، مادة البخاري، معلمة المغرب، ج 4، صص 1091- 1094.

[25]- يقع هذا المعسكر في قبيلة بني حسن شمالي مدينة سلا، اتخذه السلطان مولاي إسماعيل معسكرا خاصا، جمع فيه جمع عناصر جيش عبيد البخاري، ومن ثم اكتسى المعسكر أهمية كبيرة. وقد قام العبيد بإخلاء مدينتهم بمشرع الرملة، ولحقوا بإخوانهم بمكناس. كان معسكر مشرع الرملة في مستوى مدينة عسكرية تحوي عدة مرافق اجتماعية ودينية. للمزيد انظر: المصطفى البوعناني، «مشرع الرملة»، ضمن متنوعات مُحَمَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1998م، صص 226- 237.

[26]- دعلان، تقييد حول الزلازل التي أصابت مدينة فاس ونواحيها، ص 13.

[27]- دعلان، تقييد حول الزلازل التي أصابت مدينة فاس ونواحيها، ص 13.

[28]- نفسه، ص 13.

[29]- نفسه، ص 15.

[30]- نفسه، ص 16.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الكارثة فرصة لإظهار قيم التضامن والتآزر والتكافل بين المغاربة.

ولم يغفل صاحب التقييد استعراض الظروف المصاحبة لزلزال 1169هـ/ 1755م، والمتمثلة في الأحداث السياسية التي سبقت أو تزامنت مع الزلزال، زادت من هول المصائب التي حلت بالمجتمع المغربي عموما، والفاسي-المكناسي خصوصا، تلك الأحداث التي بدأت بوفاة السلطان مولاي إسماعيل سنة 1139هـ/ 1727م، ودخول البلاد في أزمة سياسية في الفترة ما بين 1139- 1171هـ/ 1727-1757م.

كان من أبرز تمظهراتها صراع أبنائه على السلطة، بسبب ما اصطلح عليه بـ**"أزمة ولاية العهد"**، ذلك أن شغور منصب الحاكم ساهم أدى إلى حدوث اضطرابات سياسية خطيرة، فضلا عن **"أزمة عبيد البخاري"**[31]، حيث صار قواد جيش عبيد البخاري يتدخلون في تنصيب عدد من الأمراء على العرش والإطاحة بهم، وما رافق ذلك من محاولات بعض الباشوات والقواد مد نفوذهم وتقوية سلطتهم، مستغلين حالة الفوضى والاضطراب[32]. كما رفع عدد من زعماء القبائل راية العصيان والتمرد، ونتيجة لذلك سئم الناس **«الفتن وإتلاف الأنفس والأموال، وضيق المعيشة وقطع السابلة، وكلوا وملوا»**[33].

ومن أبرز المناطق التي تضررت بشكل كبير نتيجة تلك الأحداث، مدينة فاس، وقد وصف صاحب التقييد الحالة التي أصبحت عليها المدينة، فقد قتل العديد من سكانها، وقطعت عنهم المياه، وأتلفت الكثير من الأشجار المثمرة، وانتشرت أعمال النهب والسرقة، وبلغ بهم الأمر إلى **«المبيت على الأسوار في العسة صيفا وشتاء، حرا وبردا»**[34]، وختم الفقيه حديثة بالقول **«فلا أعاد الله ذلك»**[35].

ثالثا: مناقشة مضامين التقييد:

تكمن الأهمية التاريخية للتقييد زيادة على اشتماله على معلومات قيمة عن آثار زلزال 1169هـ/ 1755م والتي أغفلتها المصادر المغربية، تلك المعلومات المستندة على شهادات حية من معاينة مباشرة أو ما تناقلته الألسن، في كونه يثير عدة قضايا مهمة، يقتضي التفاعل معها ومناقشتها نجملها فيما يلي:

1- تفسير حدوث الزلزال:

أول ملاحظة نسجلها أن الفقيه عمر بن المهدي تبنى تفسيرا واحدا لظاهرة حدوث الزلازل، والمرتبطة بالجانب الديني، إذ عده من جملة الآيات التي يخوف الله بها عباده. وهذا الفهم ليس جديدا، بل سبقه إليه بعض العلماء في مقدمتهم الحافظ جلال الدين السيوطي، الذي ألف كتابا وسمه بـ **"كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة"**[36]، حاول فيه التأكيد على علاقة حدوث الزلزال بانتشار المنكرات وشيوع

---

[31]- مُحَمَّد العمراني، المغرب زمن العلويين الأوائل، مطابع الرباط نت، الرباط، 2013، ص61.

[32]- عبد الرحمان ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ج 4، ص 476.

[33]- ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج 4، ص 473.

[34]- دعلان، تقييد حول الزلازل التي أصابت مدينة فاس ونواحيها، ص 15.

[35]- نفسه، ص 15.

[36]- جلال الدين السيوطي، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، دراسة وتحقيق مُحَمَّد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، 1987.

الفواحش، معززا حكمه بآيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة[37].

لقد أغفل الفقيه عمر ذكر تفسيرات أخرى تنطلق من دوافع علمية، مثلما قدمه إخوان الصفا في رسائلهم أن **«الكهوف والمغارات والأهوية التي في جوف الأرض والجبال، إذا لم يكن لها منافذ تخرج منها المياه، بقيت تلك المياه هناك محبوسة زمانا، وإذا حمي باطن الأرض وجوف تلك الجبال، سخنت تلك المياه ولطفت وتحلّلت وصارت بخارا، وارتفعت، وطلبت مكانا أوسع، فإن كانت الأرض كثيرة التخلخل تحلّلت، وخرجت تلك البخارات من تلك المنافذ، وإن كان ظاهر الأرض شديد التكاثف حصيفا منعها من الخروج، وبقيت محتبسة، تتموج في تلك الأهوية لطلب الخروج، وربما انشقت الأرض في موضع منها، وخرجت تلك الرياح مفاجأة، وانخسف مكانها، ويسمع لها دوي وهدة وزلزلة»**[38].

هذا التفسير تبناه أيضا بعض الجغرافيين العرب مثل زكرياء بن مُحَمَّد القزويني، الذي خصص فصلا من كتابه: **"عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات"**، عنونه بـ"فصل فيما يعرض للأرض من الزلزلة والخسف"[39].

وهناك اتجاه ثالث حاول التوفيق بين التفسيرين الديني والعلمي، من أبرز رواده ابن القيم الجوزية الذي يقول: **«ولما كانت الرياح تجول فيها [أي في الأرض]، وتدخل في تجاويفها، وتُحْدِثُ فيها الأبخرة، فتختنقُ الرياح، ويتعذر عليها المنفذ: أَذِن الله سبحانه لها في الأحيان بالتنفس، فتُحْدِثُ فيها الزلازل العظام، فيحدث من ذلك لعباده الخوف والخشية، والإنابة والإقلاع عن معاصيه، والتضرع إليه والندم»**[40].

2- أضرار الزلزال وفوائده:

ركز الفقيه عمر بن المهدي في حديثه عن الأضرار التي خلفها زلزال 1169هـ/ 1755م على مدينتي فاس ومكناس، في حين لم يشر إلى ما حصل في المدن المغربية، وهذه مسألة يمكن أن نجد لها تفسيرا بحكم استقراره بفاس يوم وقوع الزلزال، وتواجد مكناس غير بعيدة عنها.

ومن خلال استقراء مصادر الفترة، نستشف بأن الزلزال ترك دمارا كبيرا وخرابا شديدا في المدن الساحلية، متسببا في حدوث أمواج المد البحري، فهذا القادري يقول: **«ثم جاء الخبر من مدينة سلا،**

---

[37]- منها على سبيل المثال لا الحصر: يقول السيوطي: **«وأخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ))** ، وأخرج أحمد والحاكم في المستدرك عن عبادة بن الصامت قال: بينما نحن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوف إذ أقبل رجل، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ما مدة رخاء أمتك، فَسَكَتَ عَنْهُ حتى سأله ثلاثا، ثم وَلَّى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((علي بالرجل))، فنودي فأقبل، فقال له: ((مدة رخاء أمتي مائة سنة))، قال: فهل لتلك من أمارة أو آية؟ قال: ((نعم، القذف والخسف والرجف، وإرسال الشياطين الملجمة عن الناس)) ». السيوطي، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، صص 139- 140.

[38]- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، مركز النشر -مكتب الإعلام الإسلامي-، قم، 1405هـ/ 1985م، المجلد الثاني، ص 97.

[39]- زكرياء بن مُحَمَّد القزويني، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 1، 1421هـ/ 2000م، ص 137- 138.

[40]- ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، تحقيق علي حسن عبد الحميد الحلبي، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر، 1416هـ/ 1996م، ج 2، ص 91.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

أن البحر مال لأقصاه، فخرج الناس ينظرونه، فولى لناحية البر، وخرج عن الأرض نحو مسافة، وغرق فيه جميع من وجد خارج المدينة، فمات فيه خلائق»[41].

كما نقل الناصري عن مصدر عاصر صاحبه حدث الزلزال، أن **«الأرض تشققت منها، واضطرب البحر وفاض، حتى ارتفع ماؤه... وفاض على مسارحهم ومزارعهم، فنسف ذلك كله نسفا، واضطربت المراكب والفلك بالمرسى، فتكسرت كلها»**[42].

3- الامتداد المجالي لزلزال 1169هـ/ 1755م:

ذكر الفقيه عمر بن المهدي إشارة خفيفة إلى أن الزلزال الذي تعرض له المغرب يوم 26 محرم 1169هـ/ 1 نونبر 1755م، ضرب كذلك بلاد النصارى -يقصد البرتغال-، حيث **«هلكت من بر النصارى مدائن ستة، مابين خسف وغرق، ومدينة عظمى** [يقصد لشبونة] **غرق نصفها، واحترق نصفها»**[43].

وهذا الزلزال هو المعروف تاريخيا بزلزال لشبونة، الذي أشار إليه فولتير في رواية كانديد بقوله: **«وما إن وضعا رجلها في المدينة** [يقصد لشبونة]**، حتى شعرا بالأرض تهتز تحت أقدامهما، والبحر يرتفع ويثور في المرفأ، ويحطم السفن الراسية. وملأت أعاصير من اللهب والرماد الشوارع والأماكن العامة، وانهارت المنازل، وتهدمت السقوف على الأساسات، وانتشرت الأحجار في كل مكان، وسحق ثلاثون ألف مواطن من الأعمار والأجناس تحت الأنقاض»**[44].

وهنا نلاحظ أن زلزال 1169هـ/ 1755م، امتدا على مساحة جغرافية مهمة، إلا أن آثاره كانت متفاوتة الخطورة من حيث قوته التدميرية. ويبدو من خلال مقارنة الإحصاءات التي أوردتها المصادر المغربية والأجنبية، أن عدد ضحايا الزلزال المغربي كان أقل فداحة من لشبونة.

خاتمة:

من خلال تحليلنا للتقييد وما حواه من معلومات، يمكننا إبداء بعض الاستنتاجات:

- أن التقييد يعبر عن الواقع المعاش آنذاك، وهو الأمر الذي أغفلت تفاصيله المصادر المغربية.
- أن التقييد يقدم لنا وصفا دقيقا لزلزال 1169هـ/ 1755م، مما سمح لنا برصد النتائج المترتبة عن الزلزال.
- أثار صاحب التقييد قضية مهمة تمثلت في تفسير حدوث الزلزال، وهو ما يطرح مسألة تداخل العلم والدين.
- أثار مسألة تزامن كارثة الزلزال مع الأوضاع السياسية المضطربة، مما زاد من تعميق الأزمة.
- سلط الضوء على نظرة المغاربة للزلزال خصوصا والفواجع عموما، ورصد أشكال تفاعلهم معها.

[41]- القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج 4،، ص 113.

[42]- أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/ 1997م، ج 8، ص 84.

[43]- دعلان، تقييد حول الزلازل التي أصابت مدينة فاس ونواحيها، ص 14.

[44]- فولتير، كانديد أو التفاؤل، ترجمة آنا ماريا شقير، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص 62.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

الملاحق:

الملحق 1: أهم الظواهر الزلزالية بالمغرب:

التاريخ	المناطق المتضررة	شدة الزلزال MSK
26 ماي 881	الأندلس وشمال المغرب من طنجة إلى تلمسان	X
30 ماي 1079م	العديد من المدن المغربية	IX
1276	تدمير مدينة العرائش	VIII
22 شتنبر 1522	ضرب زلزال عنيف المغرب	IX
26 يناير 1531	جميع مناطق المغرب	XI
1 مارس 1579	مدينة مليلية	VII
11 ماي 1624	دمر مدن تازة وفاس ومكناس	IX- X
5 غشت 1660	مدينة مليلية	VII
يوليوز 1719	المدن الساحلية، إضافة إلى فاس ومراكش	-
27 دجنبر 1722	المدن الساحلية المغربية	IX
1731	مدينة أكادير	VIII
نونبر 1755	فاس ومكناس	IX
15 أبريل 1757	مدينة سلا	-
12أبريل 1773	سلا وفاس وطنجة	VIII
31غشت 1792	مدينة مليلية	VIII
11فبراير 1848	مدينة مليلية	VIII
21 يناير 1909	كل مناطق المغرب	VIII
4 يناير 1929	مدينة فاس وضواحيها	VI
29 فبراير 1960	مدينة أكادير	X
28 فبراير 1969	جميع مناطق المغرب	X- XI
24 فبراير 2004	مدينة الحسيمة	X
8 شتنبر 2023	منطقة الحوز	VII) سلم ريشتر)

المصدر:

La Grande Encyclopédie du Maroc (Flore), Sous la direction de M. Fennane, éd. GEL, 1987.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

لائحة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص.
- La Grande Encyclopédie du Maroc (Flore), Sous la direction de M. Fennane, éd. GEL, 1987.
- ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ج 4.
- ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، تنسيق وتحقيق مُحَمَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1417هـ/ 1997، ج 1.
- برادة ثريا، مادة البخاري، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف الترجمة والنشر، مطابع سلا، 1410هـ/ 1889م ، ج 4، صص 1091-1094.
- بلمقدم رقية، مادة هدراش، معلمة المغرب، ج 22، ص 7497.
- البوعناني المصطفى، «مشرع الرملة»، ضمن متنوعات مُحَمَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1998م، من الصفحة 226 إلى الصفحة 237.
- التازي عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطابع فضالة، المحمدية، 1406هـ/ 1986م، المجلد الثاني.
- الجوزية ابن قيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، تحقيق علي حسن عبد الحميد الحلبي، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر، 1416هـ/ 1996م، ج 2.
- دعلان عمر بن المهدي بن أحمد، تقييد حول الزلازال التي أصابت مدينة فاس ونواحيها.
- الديبي أمين العلوي، «وصف مكناس في شعر الملحون»، ضمن أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية، جامعة سيدي مُحَمَّد بن عبد الله، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1988م، من الصفحة 387 إلى الصفحة 400.
- السملالي العباس بن ابراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية ،الرباط، الطبعة الثانية، 1413هـ/ 1993م، ج 6.
- السيوطي جلال الدين، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، دراسة وتحقيق مُحَمَّد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، 1987.
- الصفا إخوان، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، مركز النشر -مكتب الإعلام الإسلامي، قم، 1405هـ/ 1985م، المجلد الثاني.
- العمراني مُحَمَّد، المغرب زمن العلويين الأوائل، مطابع الرباط نت، الرباط، 2013.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

❖فولتير، كانديد أو التفاؤل، ترجمة آنا ماريا شقير، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، 2005.

❖القادري مُحَمَّد بن الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق مُحَمَّد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1407ه/ 1986م، ج 3.

❖القزويني زكرياء بن مُحَمَّد، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 1، 1421ه/ 2000م.

❖المريني عبد الحق، الجيش المغربي عبر التاريخ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1997.

❖الناصري أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومُحَمَّد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418ه/ 1997م، ج 8.

❖الهاروني عبد الواحد علوي، الأضرحة والمزارات في مكناس، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي اسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2003-2004م، (مرقونة).

❖الوارث أحمد، مادة بوخريص، معلمة المغرب، ج 6، ص 1659.

❖يفوت سالم، مادة بناني، معلمة المغرب ،ج 6، ص 1483.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

An Assessment of the Iraqi EFL Student Teachers' English Language speaking Proficiency at Colleges of Basic Education According to The ACTFL Guidelines

Asst.prof. Hayfaa Kadhim Al Dihamat
University of Missan
College of basic education

الخلاصة

هدفت هذه الدراسة إلى قياس كفاءة التحدث باللغة الإنجليزية لدى الطلاب العراقيين المعلمين الدارسين اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية وفقا ارشادات ACTFL وكذلك تقييم كفاءة الطلاب العراقيين في تدريس اللغة الإنجليزية في كليات التربية وفق هذه الإرشادات . واستخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي. حيث قام الباحث بتصميم قائمة ملاحظة تهدف إلى جمع البيانات ذات الصلة بعملية الدراسة.

يتكون مجتمع الدراسة من طلاب السنة الرابعة في أقسام اللغة الإنجليزية بكليات التربية الأساسية للعام الدراسي 2022-2023. توجد هذه الكليات في جامعة ميسان، الجامعة المستنصرية، جامعة بابل، جامعة ديالى، جامعة تكريت، وجامعة الموصل، ويبلغ عدد سكانها 1127 نسمة. وقد تم اختيار عينة مكونة من (63) طالباً مدرساً تم اختيارهم عشوائيا من أقسام اللغة الانجليزية في كليات التربية الأساسية في الجامعة المستنصرية، جامعة بابل، وجامعة ميسان.

اظهرت نتائج هذه الدراسة أن الطلاب المعلمين العراقيين في اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية لا يطورون كفاءتهم اللغوية من خلال التطوير الذاتي، وهناك ضعف واضح في كفاية التكلم للطلاب المعلمين العراقيين في اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية.

الكلمات المفتاحية: التقييم، الطلاب المعلمين، الكفاءة، التحدث، إرشادات ACTFL

Abstract

This study aimed at Measuring English language speaking proficiency of Iraqi EFL student- teachers according to the ACTFL guidelines. Besides, assessing this proficiency of Iraqi EFL Student- Teachers at the Colleges of Education According to The ACTFL guidelines. The research used a descriptive analytical method. The researcher designs a checklist that sought to collect data relevant to process the study.

The population of the study consists of the fourth-year students at the Departments of English, Colleges of Basic Education, for the academic year 2022-2023. These colleges are at University of Misan, Al-Mustansiriya University, University of Babylon, University of Diayla, Tikrit University, and university of Musol, the total number of the population is 1127. a sample of (63) student-teachers has been selected randomly from the English departments at the colleges of basic education at Al- Mustansiriya university, University of Babylon, and University of Misan.

The findings of this study show that Iraqi EFL student-teachers do not develop their linguistic proficiency through self-development and there is a clear weakness in the Iraqi EFL student-teachers' linguistic proficiency.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

Keywords: Assessment, Student Teachers, Proficiency, speaking, ACTFL Guidelines

1.Problem of the Study and its Significance:

The necessity for English as a foreign language has induced notable transformations in the requirements of many educational systems globally. Consequently, critical aspects of English teaching, such as curriculum, methodology, and evaluation, have garnered substantial importance worldwide.

Nunan (1992:44) asserts that the nature of language and language learning encompasses a broad range of diverse and sometimes conflicting views. Curriculum developers must consider and respond to data from various sources, including learners, teachers, and specialists in the field.

Annually, hundreds of students enter classrooms, commencing one of their final experiences before assuming the role of classroom teachers. A well-executed student teaching experience has the potential to refine a prospective teacher and foster a mutually beneficial and cooperative dynamic among the student, student-teacher, cooperating teacher, and the cooperating school.

In today's globalized context, achieving high levels of language proficiency is imperative for effective communication (ACTFL, 2012:15; Swender, 2003:32). Language programs aiming to equip students with language skills for real-world settings must establish a framework to define and measure the abstract concept of language proficiency. The researcher, drawing on past experiences supervising student-teachers, noted deficiencies in their speaking proficiency.

1.2 Aims of the Study:

This study aims at:

1. Measuring English language speaking proficiency of Iraqi EFL student- teachers according the ACTFL guidelines.
2. Evaluating the English language speaking proficiency of Iraqi EFL Student- Teachers at the Colleges of Basic Education According to The ACTFL guidelines

1.3 Limits of the Study:

This study is limited to:

1. EFL student-teachers at the academic year 2022-2023.
2. English language speaking proficiency for the EFL student-teachers according to the ACTFL guidelines.
3. EFL student-teachers at the English Departments at the Colleges of Education at the Universities of Misan , Babylon and Al-Mustansiriya.

1.4. Procedures

The following steps will be conducted to achieve the aims of the present study:

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

1. A sample of EFL student teachers will be selected for the study.
2. A checklist will be constructed as the instrument of the study.
3. Validity and reliability of the instruments will be specified statistically.
4. Appropriate statistical means will be used for deriving and discussing the results obtained.

1.5. Value of the Study:

This study is hoped to be beneficial for:

1. Policy makers in framing important policies to enhance standard of English language in the country.
2. Iraqi EFL Student-teachers teaching practicing may develop their teaching performance through making use of the current study as a core text for skill – oriented course with practical Proficiency focus. The skills dealt with in this study may be thought of as minimum repertoire that all teachers should acquire.
3. Helping Iraqi EFL student-teachers notice and respond to both strong and weak aspects of their teaching. They could get the benefits from the suggested.

2.Literature Review

2.1. ACTFL

Believing in the intrinsic importance of language and communication in the human experience, ACTFL emphasizes the necessity for the U.S. to cultivate indigenous, immigrant, and global language resources. Additionally, ACTFL advocates for the education of students to be linguistically and culturally prepared as global citizens. Positioned uniquely to lead in this endeavor, ACTFL focuses on specific actions, including:

- Addressing the needs of language professionals.

- Ensuring an organization that is dynamic and responsive.

- Proactively engaging in advocacy and outreach.

- Working towards a language-teaching profession that mirrors the racial, ethnic, and linguistic diversity of U.S. society.

- Promoting research that plays a role in shaping professional programs and enhancing the overall quality of language teaching and learning.

The Standards of the American Council for the Teaching of Foreign Languages:

The national standards for foreign language education revolve around five core elements known as the five Cs of foreign language education: Communication, Cultures, Connections, Comparisons, and Communities (Blaz, 2013:35).

Under the category of Communication, it is recommended to address oral, written, listening, and presentational activities. It is advisable to begin by reviewing the text and workbook for activities that engage in the oral production of the target language (interpersonal mode) and

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

presenting it to others (presentational mode).

Figure: (1) Evaluation details of the sub-standard: Oral Production and Presentation Questions

• Cultures: Acquire Knowledge and Insight into Other Cultures by considering the three Ps of Culture—Practices, Products, and Perspectives. Start by exploring various visuals such as overheads, book illustrations, or videos.

- Standard 2.1: (Culture Questions for Visual Materials)
- Standard 2.2: (Questions about Cultural Content)

• Comparisons: Identify sections that draw comparisons between the foreign language and English.

3.The Procedures

3.1. Population and Sample of the Study

A population refers to a collection of items or individuals with shared and observable characteristics from which a sample can be drawn. Conversely, a sample is a selected group of individuals chosen to represent a population (Richards and Schmidt, 2010:506).The population of the study consists of the fourth-year students at the Departments of English, Colleges of Education, for the academic year 2022-2023. These colleges are at University of Misan, Al-Mustansiriya University, University of Babylon, University of Diayla, Tikrit University, and university of Musol, the total number of the population is 1127.

3.2. **Instrument of the Study**

To achieve the aims of the current study a checklist has been constructed to be the essential instrument that used to assess student teachers' proficiencies. The method used in this study is descriptive qualitative method.

3.3. Construction of Checklist

The checklist method is an instrument that helps to evaluate student teachers in an effective and practical way. This device helps to ensure the consideration of the important aspects of the act observed (Moore, 2007, p.351). Gronlund (1981:325) states, "A checklist is basically a method of recording whether a characteristic is present or absent".

3.4. Validity of the Checklist

The term validity, in fact, has been viewed differently in the field of

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

ELT. To this, Harris (1969: 19) puts his view of validity within two questions:

1. "What precisely does the test measure?
2. How well does the test measure?"

Besides, Brown (2000:221) considers validity as "The degree to which the test actually measures what is intended to measure".

Two types of validity are considered in the present research: Face validity and construct validity. To estimate the validity of the checklist, construct validity and face validity have been considered.

3.4.2.1. Face Validity

Face validity serves as the suitable method to ascertain the checklist's validity for the current study's objectives. According to Lado (1964:169), it represents the "degree to which a test measures what it claims to measure." McNamra (2000:133) defines face validity as meeting the expectations of stakeholders such as administrators, teachers, candidates, and test score users.

Wallen and Fraenkel (2011, 89) highlight face validity as a judgment made by acknowledged experts on the measured variable.

To assess construct validity, the correlation between each item's score and the overall checklist score is calculated using the Pearson Correlation Coefficient Formula. This correlation indicates item homogeneity and serves as a measure of their validity in capturing the phenomenon (Al-Zoubani et al., 1981:43).

4. Analysis of Data and Discussion of Results

To achieve the first aim of this current study; i.e., measuring of the English language proficiency of The Iraqi EFL Student Teachers at the Colleges of Basic Education According to the ACTFL, table (1) below shows the descriptive statistics of results related to the language proficiency.

Table 1

The Ranking Order and the Weighted Mean of the language proficiency of The Iraqi EFL Student Teachers at the Colleges of Basic Education According to the ACTFL

Item No.	The item	Rank order	Weighted Means	Weighted Percentile
1	He can present his opinions in social and political issues	11	2.78	55.6

As it is seen from the table (1) above, the weighted mean of the

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

speaking is (3.06) and its weighted percentile is (61.18).

The Speaking Proficiency

From the inspection of table (1) it is indicated that this area is statistically significant, since the average weighted mean is (3.06) which is higher than the theoretical mean (3). The ranking order and the weighted mean of this area is arranged respectively as follow: the items (12, 10, 8, 11, and 9) take the weighted means (3.63, 3.42, 3.33, 3.22, and 3.17) respectively, which are higher than the theoretical mean. These items are related to: " His pronunciation, vocabulary, and syntax may be strongly influenced by his native language", "He can use communication strategies, such as paraphrasing, circumlocution and illustrations", " He tends to function reactively, for example, by responding to direct questions or requests for information", " He can ask a few appropriate questions", "His discourse may still reflect the oral structure of his own language rather than that of the target language".

Table (2)
The Ranking Order and the Weighted Means of the Items Related to the "Speaking Proficiency"

Item No.	The item	Rank order	Weighted Means	Weighted Percentile
1	He can present his opinions in social and political issues	11	2.78	55.6
2	He can use cultural and historical references to say less and mean more	10	2.82	56.4
3	He can be understood by native speakers	9	2.86	57.2
4	He can discuss, abstractly, some topics related to personal interests and special fields of expertise	7	2.92	58.4
5	He can explain in detail and narrate fully and accurately in all time frames	6	2.96	59.2
6	He can use hypothetical discourse for representational discourse	8	2.89	57.8
7	He can communicate with fluency and accuracy in formal and informal settings from concrete and abstract perspectives	12	2.71	54.2
8	He tends to function reactively, for example, by responding to direct questions or requests for information	3	3.33	66.6
9	His discourse may still reflect the oral structure of his own language rather than that of the target language	5	3.17	63.4
10	He can use communication strategies, such as paraphrasing, circumlocution and illustrations	2	3.42	68.4
11	He can ask a few appropriate questions	4	3.22	64.4
12	His pronunciation, vocabulary, and syntax may be strongly influenced by his native language	1	3.63	72.6

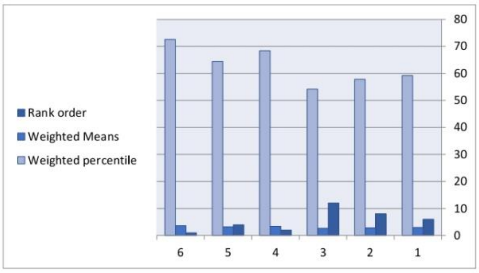

Figure: (3)

Figure: (3)

The Ranking Order and the Weighted Means of the Items Related to the "Speaking Proficiency"

On the other hand, items (5, 4, 6, 3, 2, 1 and 7) are not statistically significant since they take the weighted means (2.96, 2.92, 2.89, 2.86, 2.82, 2.78, and

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

2.71) which are lower than theoretical mean , these items are related to "He can explain in detail and narrate fully and accurately in all time frames", "He can discuss, abstractly, some topics related to personal interests and special fields of expertise", ", "He can use hypothetical discourse for representational discourse", "He can be understood by native speakers", "He can use cultural and historical references to say less and mean more"," He can present his opinions in social and political issues" and " He can communicate with fluency and accuracy in formal and informal settings from concrete and abstract perspectives".

Iraqi EFL student-teachers may face deficiencies in speaking English for several reasons:

1. **Limited English Language Exposure in Iraqi Society:** The limited exposure to English language outside the classroom environment in Iraqi society restricts opportunities for student-teachers to practice and reinforce their speaking Proficiency. This lack of exposure further contributes to their inadequate speaking proficiency.
2. **Traditional Teaching Methods**: The prevalent use of traditional teaching methods in Iraqi EFL classrooms often focuses on rote memorization and grammar drills, neglecting the development of speaking Proficiency. This pedagogical approach fails to provide student-teachers with ample opportunities to practice and refine their speaking abilities.
3. **Limited Speaking Practice in Teacher Education Programs:** Teacher education programs in Iraq often prioritize theoretical knowledge over practical application, resulting in limited opportunities for student-teachers to engage in authentic speaking practice. The absence of communicative activities and speaking assessments further hinders their speaking proficiency development.
4. **Sociolinguistic Constraints**: Sociolinguistic factors, such as cultural norms and societal expectations, can create inhibitions and anxiety among Iraqi EFL student-teachers when speaking English. Fear of making mistakes or being judged by peers and superiors can significantly impede their willingness to engage in oral communication.
5. **Insufficient Vocabulary and Grammar Knowledge**: Inadequate vocabulary and grammar knowledge pose significant challenges for Iraqi EFL student-teachers when attempting to express themselves fluently and accurately. Limited lexical resources and grammatical accuracy impede their ability to convey complex ideas and engage in meaningful conversations.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

6. **Limited Interaction**: In some cases, the classroom environment does not facilitate sufficient opportunities for students to engage in authentic conversations and meaningful interactions in English. Large class sizes can limit individual speaking time.
7. **Emphasis on Written Proficiency**: Teaching methods or curricula may place more emphasis on reading and writing Proficiencies, leaving speaking Proficiency underdeveloped. Besides, the focus is on high-stakes examinations and assessments, which often prioritize written tests over oral assessments, can lead to a neglect of speaking Proficiency.
8. **Pronunciation Differences**: Differences between Arabic and English pronunciation can affect their ability to speak clearly and be understood.
9. **Limited Resources**: A shortage of language labs, audiovisual materials, and modern teaching resources can impede the integration of speaking activities into the curriculum.

To enhance speaking proficiency among Iraqi EFL student-teachers, there are some suggestions to develop this proficiency of Iraqi EFL student-teachers:

1. **Communicative Language Teaching (CLT**): Emphasize the use of CLT methodologies that prioritize real communication, role-playing, and authentic interactions in the classroom. This approach encourages students to use English for practical purposes.
2. **Speaking-Centered Curriculum:** Revise the curriculum to allocate more time and focus to speaking Proficiency. Incorporate structured speaking tasks, debates, and discussions to provide opportunities for students to express themselves orally.
3. **Language Labs and Technology**: Invest in language labs equipped with modern technology and software for improving speaking proficiency. These tools can facilitate audio and video practice, pronunciation feedback, and interactive language learning apps.
4. **Professional Development for Teachers**: Provide ongoing training and professional development opportunities for EFL instructors to enhance their ability to teach speaking skill effectively. Training programs can include methodologies for fostering speaking proficiency.
5. **Incorporate Pronunciation and Accent Training:** Include pronunciation and accent training as part of the curriculum. Help students improve their pronunciation by focusing on common pronunciation challenges and accent reduction techniques.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

6. **Authentic Materials and Contexts**: Use authentic materials, such as news articles, podcasts, and films, to expose students to real-world contexts and accents. This can help bridge the gap between classroom learning and the outside world.
7. **Language Exchange Programs**: Establish language exchange programs or partnerships with native English speakers or English-speaking countries. This provides students with opportunities for real conversations in English.
8. **Encourage Extracurricular Activities:** Promote extracurricular clubs, speaking competitions, or language-related events to motivate students to engage in speaking practice outside the classroom.
9. **Encourage Error Tolerance**: Create an environment where students are encouraged to speak without the fear of making mistakes. Stress that mistakes are part of the learning process and provide constructive feedback
10. **Cultural Exchange**: Integrate cultural exchange components into the curriculum, allowing students to not only practice speaking but also learn about the cultural aspects of English-speaking countries.
11. **Continuous Assessment**: Implement regular speaking assessments as part of the grading system, providing students with clear objectives and feedback to monitor their speaking progress

5. Conclusions

The outcomes derived from this comprehensive study yield critical insights that bear substantial implications for the landscape of English as a Foreign Language (EFL) education in Iraq. Foremost among these revelations is the discernible imperative for the provision of a meticulously crafted and contemporaneously informed training program tailored to the specific needs of Iraqi EFL student-teachers. The efficacy of these educators in executing pedagogical strategies within the dynamic classroom milieu is contingent upon the infusion of such a program, which addresses the nuances and demands of the educational context.

A more profound exploration into the research findings uncovers a significant lacuna in the linguistic proficiency exhibited by Iraqi EFL student teachers. This deficiency, elucidated through a rigorous evaluative lens, underscores a notable gap that warrants systematic attention and remediation within the broader educational framework. The manifestation of suboptimal linguistic competence among this academic cohort substantiates the necessity for targeted interventions and pedagogical enhancements to uplift their language proficiency to the desired standards.

ISSN:2707-8191(online) ISSN: 2707-8183(prent)

Additionally, a nuanced observation surfaces concerning the proclivity of Iraqi EFL student teachers towards self-directed linguistic development. The study illuminates a prevailing trend wherein autonomous efforts to augment linguistic proficiency are conspicuously lacking among this cohort. The identification of this inclination, or lack thereof, toward self-development becomes pivotal in shaping strategies for educational improvement.

REFRENCES

- ACTFL (American Council on the Teaching of Foreign Languages). (2012). ACTFL Proficiency Guidelines 2012. Retrieved May 5, 2021, from https://www.actfl.org/
- Blaz, D. (2013). Bringing the Standards for Foreign Language Learning to Life. New York, NY 10017, USA: Routledge.
- Brown, H. D. (2000) Principles of Language Learning and Teaching. (4th ed.). London: Addison Wesley Longman, Inc.
- Lado, R. (1964). Language Teaching: A Scientific Approach. New York: Mc Graw Hill.
- McNamra, Tim (2000) "Language Testing" Oxford: Oxford University Press
- Moore, K. D. (2007). Classroom teaching skills (6th ed.). McGraw Hill Companies Inc.
- Nunan, D. (1993). Task-based syllabus design: selecting, grading and sequencing tasks. In G. Crookes and S.M. Gass (Eds.). Tasks in a pedagogical context. Cleveland, UK: Multilingual Matters
- Swender, E. (2003). Oral proficiency testing in the real world: Answers to frequently asked questions. Foreign Language Annals, 36(4), 520-526. doi: 10.1111/j.1944- 9720. 2003.tb02141.x
- Wallen, N. E., & Fraenkel. J. R. (2011). Educational research: A guide to the process. Taylar and Francis